الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
معهد الحضارة الإسلامية
قسنطينة

قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

بين الدين والفن

رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الأدب والدراسات القرآنية

إعداد
الطالب الباحث: سناني سناني

إشراف
الدكتور: حسيني علي رضوان

السنة الجامعية: 1417/1416هـ ـ 1996/1995م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى روح شيخي وأستاذي محمد الغزالي رحمه الله رحمة واسعة.

إلى روح أخي رشيد الذي رحل عنا وهو في عز شبابه...أسأل الله له المغفرة والرحمة.

إلى والدي الكريمين ...اللذين كانا سببا في كل ما أنا عليه ...أثابهما الله وأطال في عمرهما.

إلى أفراد أسرتي الكبيرة صغيرا وكبيرا.

إلى زوجتي التي ساهمت معي في الإعداد لهذا البحث.

إلى ابنايّ جهاد وخليل اللذين أمتعاني بشغبهما خلال فترة إنجاز البحث ...فأسأل الله أن ينبتهما نباتا حسنا.

- إلى ابني علي يوسف الذي ولد مع ميلاد هذه الرسالة وقد سميته باسمها علّه ينال بعضا من قبسات يوسف عليه السلام.

- إلى كل من ساهم معي من قريب أو بعيد في إنجاز هذا الجهد المقل.

- إلى هؤلاء جميعا أهدي هذه الرسالة المتواضعة.

من سناني
المدعو أحمد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــرس العـــام

الفهرس العام:.....أ
المقدمة:.....ج

التمهيد:.....1
المبحث الأول: مفهوم الفن والدين فـي القصةالقرآنية:.....2
المبحث الثاني: شبهات حو ل القصة القرآنية.....5
المبحث الثالث: المقدمات الضرورية اللتى لابد منها لدارس القصةالقرآنية.....17

الفصل الأول:قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بين الغرض الديني والغرض الفني.....26
المبحث الأول: الغرض الديني في قصة يوسف.....27
المبحث الثاني: الغرض الفني في قصة يوسف.....83
المبحث الثالث: آثار خضوع قصة يوسف للغرض الديني.....93

الفصل الثاني:اللمسات الفنية لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....102
المبحث الأول: طريقة عرض القصة.....104
المبحث الثاني: العناصر الفنيـــة في القصـــة.....106
المبحث الثالث: الفجـــوات الزمنيـــة.....138
المبحث الرابع: المفاجأة وتنوع طريقة عرضها.....153

الفصل الثالث:ملامح الشخوص في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....170
المبحث الأول: الشخصية الأصلية وملامحها.....172

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الشخصية الثانوية وملامحها.....180

الفصل الرابع:التصوير الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....200

المبحث الأول: مشهد السيارة.....203

المبحث الثاني: مشهد النسوة.....206

المبحث الثالث: مشهد أخذ يوسف لشقيقه.....210

المبحث الرابع: المشهد الختامي.....216

الخاتمة.....220

قائمة المصادر والمراجع.....224

الفهرس التفصيلي.....229

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

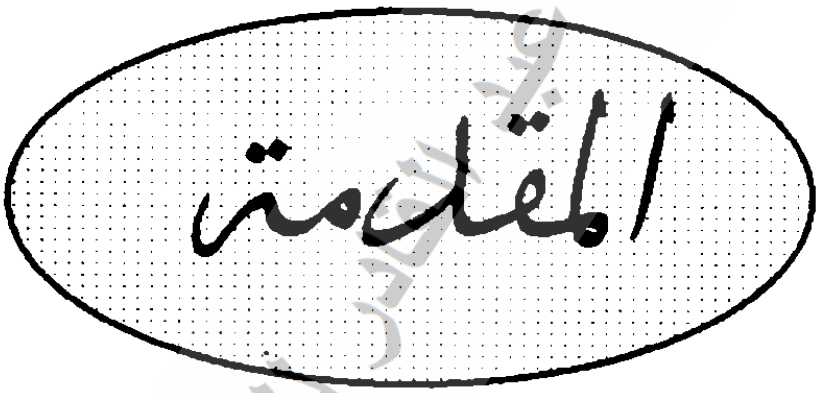

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

قبل البدء في تقديم هذا البحث، أرى من الضروري تنبيه القارئ الكريم إلى أسباب اختياري لقصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ موضوعا للبحث.

لقد كانت دراستي لكتاب *التصوير الفني في القرآن * للشهيد سيد قطب مدعاة لي بأن أختار مجال الدراسة الفنية للقرآن الكريم؛خاصة وأن الشهيد قد قعّد قواعد نظرية التصوير ودعا الباحثين والدارسين إلى إسقاط قواعد هذه النظرية على كامل النص القرآني.

وقد كلفني أستاذي الدكتور: حسيني علي رضوان ـ أثناء دراستي النظرية في مرحلة الماجستير ـ بإعداد بحث حول * التصوير الفني في سورة الحج *... هذا البحث زادني ارتباطا بتلك النظرية مما دعاني إلى التفكير في اختيار نص قرآني آخر أبرز فيه ظاهرة التصوير الفني وأقدّمه كمشروع بحث لرسالة الماجستير ..

وانتهى الأمر بي إلى اختيار قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ،وتقدمت بخطة بحث لأستاذي تحت عنوان *التصوير الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ*، ولكنه ارتأى تعديل العنوان من العنوان المقترح إلى العنوان الجديد * قصة يوسف بين الدين والفن* .وكان الأمر كذلك؛حيث أصبح العنوان الجديد أشمل من السابق ، وعدّ موضوع التصوير كفصل من فصول هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واختياري لمجال القصة القرآنية، يعود إلى كون هذه الأخيرة أحداث تمت في واقع الحياة، أعاد النص القرآني عرضها في ثوب جديد وكأنها تحدث الآن؛ وذلك من خلال قوة عرضه للأحداث ودقة رسمه للأحاسيس والمشاعر، وبراعة إبرازه لملامح الشخصيات التي تدور في القصة.

وسبب اختياري لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ تحديدا، كونها القصة الوحيدة التي وردت مفصّلة في سورة واحدة تعد من طوال السور، وقد سميّت باسم هذا النبي الكريم يوسف ـ عليه السلام. بالإضافة إلى أنها ـ

اتهت ببناء فني محكم لا مثيل له. كما سنرى ذلك في فصول البحث. وقد تجلّت فيها ظاهرة التصوير أي ما جلاء . . . . زد على ذلك ثراؤها في مجال التوجيهات الدينية ،من عقائد وأخلاق، ومعاملات. . . .

هذا الثراء في المجال الديني، والفني جعلني أختارها دون غيرها . . .

وجعلني من خلال هذا البحث، أبرز الغرض الديني، وأبرز الغرض الفني في القصة. وأحاول أن أوّضح كيف استطاعت قصة يوسف. عليه السلام. أن تجمع بين الغرض الديني والغرض الفني في آن واحد ؟

وكيف استطاعت أن تجعل الغرض الفني خادما للغرض الديني. وهو غرضها الأساس.؟

وكيف انعكست آثار خضوع هذه القصة للغرض الديني على الغرض الفني دون أن يفقد هذا الأخير من تمامه وكماله وجماله . . .

وقد وضعت لذلك خطة تفصيلية تشتمل على أربعة فصول يتقدمها فصل تمهيدي.

ففي الفصل التمهيدي، عرّفت بمفهوم الدين والفن في القصة القرآنية عموما، وتنبهت إلى بعض الشبهات التي يثيرها خصوم هذه الأمة حول القصة القرآنية، وحاولت الرّد عنها . . .

وتطرّقت إلى أهم المقدمات الضرورية التي يجب على دارس القصة القرآنية أن يعرفها .

أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بين الغرض الديني والغرض الفني.

وقد تركت الحيّز الأكبر في هذا الفصل للغرض الديني ومواضعه في القصة.

فلممت بالغرض الفني إلماما، وتركت التفصيل فيه للفصول اللاحقة.

وبيّنت من خلال هذا الفصل الآثار التي انعكست على الغرض الفني من خلال خضوع القصة للغرض الديني.

أما الفصول (الثاني، والثالث، والرابع) فقد خصّصتهم للجانب الفني الجمالي من القصة. حيث تناولت في الفصل الثاني اللّمسات الفنية في القصة، فبيّنت فيه عناصر القصة: من أحداث، وشخوص، وحوار، و قوى - غيبية ... وبيّنت فيه ظاهرة الفجوات الفنية بين مشاهد القصة، كيف وضعت ولماذا تركت؟ وما قيمتها الجمالية؟

وبينت فيه أخيرا ظاهرة المفاجآت الفنية في مشاهد القصة، وتنوع طريقة عرضها . . . . .

تجدر الإشارة إلى أن الفصلين الثالث والرابع، قد تولّدا من الفصل الثاني.

حيث أرجأت التفصيل في مطلب الشخوص، من مبحث العناصر الفنية في القصة، من الفصل الثاني، إلى الفصل الثالث؛ الذي عنونته تحت اسم<ملامح الشخوص في قصة يوسف>>

وأرجأت التفصيل أيضا في فرع طريقة عرض الأحداث، من مطلب الأحداث، من مبحث العناصر الفنية، من الفصل الثاني،إلى الفصل الرابع ؛الذي سميته: التصوير الفني في قصة يوسف. ذلك أن التصوير هو الأسلوب المفضل لعرض الأحداث.

وعلى ذلك يكون الفصل الثالث قد خصص للشخوص الواردة في القصة،وبين من خلاله كيف استطاعت هذه القصة الكريمة أن ترسم ملامح هذه الشخوص وصفاتها . . .

ويكون الفصل الرابع قد خصص لظاهرة التصوير الفني في قصة يوسف . ونعطي من خلاله نماذج لبعض مشاهد القصة، نبرز فيها ظاهرة التصوير بألوانه المختلفة. . .

هذا من حيث المنهج المعتمد لهذا البحث. . .ومن الأمانة العلمية، التنبيه إلى أن هذا المنهج قد استوحيته في عمومه من المنهج الذي اعتمده الشهيد سيد قطب في دراسته للقصة القرآنية عموما من خلال الفصل الذي أعده ((التصوير في القصة)) .(1)في كتابه التصوير .

وقد استفدت كثيرا أيضا من دراسته لسورة يوسف من خلال كتابه القدير(في ظلال القرآن) باعتبار الظلال ألفه بعد التصوير،فجاءت دراسته تطبيقا عمليا لما قعد له في كتابه التصوير.

وقد رجعت في هذه الدراسة إلى كتب التفسير عموما؛ القديم منها والحديث،وإلى كتب التاريخ وقصص الأنبياء والمرسلين.وعدت أيضا إلى كتب الدراسات الحديثة حول القصة

---

(1)انظر/سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:190.

القرآنية وفنيتها واستفدت من بعض كتب اللغة والأدب والإعجاز ،وكذا من بعض كتب العقائد والأخلاق والأحكام.

كل هذه الكتب استفدت منها بالقدر الذي يحتاجه كل فصل أو مبحث على حدة. . .

ولا أنسى أيضا أنني اعتمدت في فن إخراج هذه الرسالة شكلا ومضمونا على كتاب:((فن كتابة البحوث العلمية)) .(1)

أما من حيث المشاكل التي اعترضتني في إعداد هذا البحث فأذكر أن قصة يوسف ـ عليه السلام . قد تناولها الكثير بالدراسة والتفسير. . .ولكنني وجدت بعض المفسرين قد أسهبوا في ذكر الإسرائيليات المتعلقة بهذه القصة ،وخاصة في ملء الفجوات الزمنية التي سكت عنها النص القرآني ،مما جعلني أحتار في دراسة مبحث الفجوات وكيفية ملئها ،أأعتمد على ما ذكره المفسرون من استطرادات أهل الكتاب ؟أم أكتفي بظاهر النص القرآني،وأترك ما وقع في الفجوات الزمنية لخيال المتلقي يتصوره كيف شاء ؟دون الدخول في تفاصيل الإسرائيليات التي قد تصح وقد تخطيء ؟ .

ووجدت بعض المفسرين يسهبون في موضوع الهم. . .ويضخمونه على حساب أحداث القصة الأخرى.ولكنني تعمّدت عدم التطرق إلى هذا الموضوع لكونه لا يخدم البحث دينيّا ولا فنيّا

---

(1)انظر إلى /محمد عثمان الخشب،،فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية(الجزائر:دار رحاب)

هذا من حيث القدامى. . .أما المحدثون فقد وجدت بعضهم قد تناول القصة،أو بعضا منها من الناحية الفنية فقط.

وللأسف حاول أن يسقطها إسقاطا كليا على القصة الفنية الحديثة، دون مراعاة لخصوصياتها الدينية والتاريخية والغيبية.

ومن أمثال هؤلاء الدكتور: محمدأحمد خلف الله في كتابه((الفن القصصي)) .(1)

ومع ذلك فقد وجدت ثلة من العلماء الأفذاذ أناروا دربي وعبّدوا الطريق أمامي،حتى صرت إلى نهاية هذه الرسالة. ومن هؤلاء إضافة إلى الشهيد سيد قطب،محمد رشيد رضا في :تفسير المنار،وعبد الكريم الخطيب في :القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، وأخيرا أستاذي وشيخي محمد الغزالي رحمه الله رحمة واسعة في كتابه:نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.

أكتفي بهذه التوطئة وأترك القارئ مع فصول هذه الرسالة .

والله نسأل التوفيق والسداد

س/سناني

الطريق الرابط بين مدينة باتنة ومدينة الجزائر.

في 20/05/1996م. الساعة :1:58 صباحا .

---

(1)محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن ،ص:218

التمهيد

المبحث الأول: **مفهوم الفن والدين في القصة القرآنية.**

المبحث الثاني: **شبهات حول القصة القرآنية**

توطئة:

المطلب الأول: التكرار في القصص القرآني.

المطلب الثاني: نفي الحقيقة التاريخية عن القصة القرآنية .

المطلب الثالث: الخيال في القصة القرآنية التمثيلية.

المطلب الرابع: الأسطورة في القصة القرآنية.

المبحث الثالث: **المقدمات الضرورية التي لابد منها لدارس القصة القرآنية.**

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المطلب الثاني: مكانة القصة القرآنية.

المطلب الثالث: أهداف القصة القرآنية.

المطلب الرابع: عناصر القصة القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

- وبه نستعين -

المبحث الأول: مفهوم الفن والدين في القصة القرآنية:

القرآن الكريم كتاب هداية ...مصداقا لقوله تعالى في أول سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾. (1)

ولكن أسلوبه المحكم، يستعمل كل المفاتيح التي تفتح النفس البشرية؛من أجل الوصول إلى ذلك الهدف الكبير هداية العالمين...

وهذه المفاتيح كثيرة جدا ...فمنها المفتاح النفسي والاجتماعي ، ومنها المفتاح العلمي التجريبي ، ومنها المفتاح الفني الجمالي، وهناك مفاتيح أخرى لاتعد ولاتحصى ...

والمفتاح الفني الجمالي الذي هو موضوع بحثنا ،كان له الأثر الكبير على النفس البشرية منذ أول نزول للقرآن.

فهؤلاء العرب المعاصرون لنزول القرآن قد ((تلقوه مسحورين، يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون ، فهؤلاء يسحرون فيؤمنون ، وهؤلاء يسحرون فيهربون ، ثم يتحدث هؤلاء و هؤلاء عما مسهم منه ، فإذا هو حديث غامض لايعطيك أكثر من صورة المسحور المبهور ، الذي لايعلم موضع السحر فيما يسمع من هذا النظم العجيب ، وإن كان يحس منه في أعماقه هذا التأثير الغريب)).(2)

ولماكانت القصة القرآنيةجزءالا يتجزأمن القرآن الكريم؛فإنها لا محالة تهدف إلى الغرض الديني البحت؛الذي هو هداية الناس إلى منهج ربهم القويم.والقصة أيضا استعملت في طريقة عرضها على النفس البشرية أساليب عديدة وعلى رأسها (الأسلوب الفني الجمالي).

---

(1) سورة البقرة / الآية:1.

(2) سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن** (ط8؛ بيروت :دار الشروق ،1983م)،ص:25.

ولكن ... عند الحديث عن الجانب الفني في القصة القرآنية.

ـ يجب التنبيه، إلى أن القصة القرآنية ليست عملا فنياً محضاً، يخضع لكل القواعد الفنية المتعارف عليها في القصة الحديثة.

وللأسف فإن هذا هو الاتجاه الذي نهجه كثير من الباحثين في القصةالقرآنية، وراحوا يطبقون عليها المناهج الحديثة حرفيا ،مما جعلهم يثيرون كثيرا من الشبهات حول القصة القرآنية. ـ سنورد بعضها في مبحث خاص ـ(1)

فقد رأى هؤلاء الباحثون ((أن هناك عوامل مشتركة بين القصة القرآنية ، والقصة الحديثة ومن هنا يمكنهم التخليط كما يمكنهم أن يدسوا سمومهم وهم يتظاهرون بتطبيق قواعد القصة الحديثة على القصة القرآنية...)).(2)

فـ ((... التعرض لقصص القرآن من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية، وقصة واقعية يعتبرتجاوزا عما في هذا القصص من إعجاز فني ، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال ،وبأسلوب لم ولن يكون له مثيل)).(3)

ولقد أجاد الشهيد سيد قطب في هذا الموضوع ، فهو يقول في كتابه التصوير الفني: إن((القصة في القرآن ليست عملا فنياً مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارةحوادثه ـ كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق ـ إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية ، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)).(4)

---

(1) انظر إلىمبحث (شبهات حول القصة القرآنية)،ص5.

(2) فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**(الجزائر:شركة الشهاب للنشر والتوزيع ،1989م) ص:426.

(3) محمد كامل حسن المحامي،**القرآن والقصة الحديثة** (ط1؛ بيروت:دار البحوث العلمية ،1970م)ص:18.

(4) سيد قطب ، **التصوير الفني في القرآن الكريم**،ص:143.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالغرض الفني في القصة القرآنية لايتعارض أبدا مع الغرض الديني ، بل يعدّ وسيلة لتثبيته في القلوب((إذ أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني و الغرض الفني ، فيما يعرضه من الصور و المشاهد ، بل إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ،فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ، والفن و الدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني ، حين يرتفع الفن إلى المستوى الرفيع ، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال)).(1)

وهكذا يتبين أن مفهوم الفن بهذا المنظور الصافي النقي،هو من متطلبات المفهوم الحقيقي للدين؛ الذي لايمكنه ـ أي الدين ـ أن يكون مواعظ جافة لاروح فيها ولا إحساس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) سيد قطب ، **التصوير الفني في القرآن الكريم**،ص:143ـ144.

المبحث الثاني: شبهات حول القصة القرآنية:

ـ توطئة

إن الانتكاسة الحضاريةالتي أصابت الأمةالإسلامية؛تولدت عنهاحركة استشراقية واسعة. قامت أساسا لضرب جذورهذه الأمة من الأساس، والتشكيك في كل مقوماتها.

و لم تكتف هذه الحركة بتجنيد الغربيين فقط؛ من أجل القيام بهدفها ؛بل راحت تجند جحافل من أبناء المسلمين؛ من أجل جعلهم معاول هدم لحضارتهم ،وتراثهم الفكري والأدبي وحتى اللغوي ؛ ((حيث وجدنا أن أولئك المثقفين الذين هيأت لهم ظروفهم أن يتصلوا بالغرب، وقضوا فيه حقبة من أعمارهم، رجعوا حربا على هذا الدين وحضارة هذه الأمة ، فوجدنا حملة مسعورة في النصف الأول من هذا القرن.وهذه الحملة لم تكن لتقتصر على زاوية واحدة من زوايا تلك الحضارة ،وإنما جاءت لتشمل التاريخ و التشريع بل اللغة كذلك ...ثم تعدت ذلك كله فتحدت مشاعر الأمة وعواطفها لتنال من هذا القرآن الكريم والسنة المطهرة وقدسيتها)).(1)

فكما وجدنا طه حسين يخرج على العالم الإسلامي والعربي بشبهة (الانتحال في الشعر الجاهلي) ؛التي تهدف أساسا إلى ضرب أصول اللغة العربية ، وهي لغة القرآن التي أنزل بها؛ من أجل التشكيك في صحته وإعجازه .

نجد مثقفين آخرين يقذفون بجملة من الشبهات حول القصص القرآني؛((ويظهر أن القصة القرآنية إنما كانت الهدف ، لأنها الموضوع الذي يستطيعون أن يتسرّبوا من خلاله إلى الموضوعات القرآنية الأخرى ،هذا أولا.

وأما ثانيا : فلأنهم ظنوا أن التمويه في قضية القصة قد يسهل عليهم أكثر من غيره من بقية الموضوعات)).(2)

وسنورد في هذاالمبحث جملةمن الشبهات التي أثارها هؤلاء المستشرقون(المستغربون) من أبناء جلدتنا، ونحاول الرد عليها إن شاء الله.

---

(1)فضل حسن عباس ، **القصص القرآني إيحاءه ونفحاته** ،ص:425.

(2)فضل حسن عباس، **المرجع السابق**، ص: 425.

المطلب الأول: التكرار في القصص القرآني

إنّ ظاهرة التكرارفي القصص القرآني واضحة أشدّ الوضوح ،فلا نكاد نجد من القصص القرآني غيرالمكرر إلا النزر القليل. مثل: قصة يوسف ـ عليه السلام ـ التي هي موضوع بحثنا .

ولكن المستشرقين ومن سار على نهجهم راحوا يعدون هذه الظاهرة معرّة في النسق القرآني؛حيث ((وجد أصحاب الأهواء ومرضى القلوب من الملحدين وأعداء الإسلام في هذا التكرار مدخلا ملتويا يدخلون منه على هذا الدين ،للطعن في القرآن والنيل من بلاغته وإعجازه)).(1)

((وهؤلاء لم يظهروا إلابعد أن فسد الذوق البياني ،وضعفت السليقة العربية...واجتمع الطاعنون على دين الله من كل صوب، وتألبوا على دين الله ،فبدأ الحديث عن شبهة التكرار)).(2)

والحقيقة أنّ ظاهرة التكرار في القصص القرآني، لم تكن أبدا شبهة يطعن من خلالها القرآن الكريم . إنما كانت في ذاتها ظاهرة إعجاز لآيات القرآن العظيم؛ وهذا ما ذهب إليه المفسرون القدامى، والمحدثون والمهتمون بظاهرة الإعجاز والدراسات القرآنية.

فهذا الإمام الباقلاني (3) في كتابه إعجاز القرآن يقول:((وأعيد كثير من القصص القرآني في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة،ونبّهوا ـ أي العرب ـ بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله ، مبتدأ ومكررا)).(4)

---

(1) عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**(بيروت:دار المعرفة)ص:230.

(2)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاءه ونفحاته**،ص425.

(3) الباقلاني هو:أبوبكر الباقلاني توفي سنة: 403هـ.

(4) محمدبن الطيب الباقلاني(تحقيق السيدأحمدصقر)،**إعجاز القرآن**(ط:3؛القاهرة:دار المعرفة،1971م)ص24.

وراح مجموعة من أئمّة الإعجاز يعدّون فوائد التكرار في كتبهم ، فلم يتركوا مظهرا بلاغيا أو إعجازيا للتكرار إلا وذكروه، ومنهم الإمام الجرجاني ، والإمام الباقلاني في كتاباتهم عن إعجاز القرآن ،وكذلك الإمام الخطابي - في رسالته(بيان إعجاز القرآن).

ومما ذكره الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، حول فوائد التكرارقوله رحمه الله:((إن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن،وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية.لصحةنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم،بأن كرر ذكر القصةفي مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء.وبأي عبارةعبروا...)).(1)

وجاء من المحدثين،من أرادأن يردّ شبهة التكرارفي القصص القرآني، لكنه للأسف أضاف شبهة أخرى وادعاء آخر،وعلى رأس هؤلاء الدكتورمحمد أحمدخلف الله في كتابه - الفن القصصي - إذ يزعم هذا الأخير أنه لاتكرار في القرآن والذي حدث : أن القصة الواحدة (الحادثة) وردت في شكل عدة أقاصيص؛لأن الحدث ليس هدفا في ذاته،وإنماالهدف في العبرة منه. فنستمع إليه وهو يقول في رده عن شبهة التكرار:((نقول بأن هذا موقف وذاك آخر، وليس من اللازم أن يقوم هذا الاختلاف على أساس الذي وقع فعلا وإنما يقوم على أساس القصد الذي يرمي إليه القرآن من الصور القصصية ،فما دامت هذه القصة قد وردت لغرض ومقصد كالتسلية أو التسرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتلك لغرض آخر فهذه قصة وتلك قصة...)).(2) ونستمع إليه أيضا وهو يقررعن وحدة الشخصية في القصة القرآنية؛حيث يقول:((إن هذه الوحدة إنما هي وحدة الغرض و العبرة لا وحدة الشخص ،ومن هنا تكون هذه قصة وتلك قصة، وتكون أقاصيص متعددة لشخص واحد عن موقف واحد لتعدد الأغراض واختلاف صورالعرض باختلاف المقصد والغرض)).(3)

---

(1) محمدبن عبدالله الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**(بيروت:دارالجيل)،ج1،ص27 .

(2) محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم** (ط:3؛القاهرة:مكتبة الأنجلوالمصرية،1965م)، ص:196.

(3)محمد أحمد خلف الله، **المرجع السابق** ،ص:197.

والحقيقة التي نقررها، وأقرها زمرة من العلماء القدامى، و المحدثين هي: أنه ليس في القصص القرآني تكرار ...وليس في القصص القرآني أقاصيص للحادثة الواحدة...

إنما في القصص القرآني عرض للقصة الواحدة من زوايا مختلفة ،وليس في ذلك غرابة، ونحن في القرن العشرين نرى المخرج السينمائي، أو التلفزيوني، يعرض لنا صورا مختلفة ولقطات متنوعة للمشهد الواحد ، وللحادثة الواحدة ،وهذه اللقطات المختلفة لاتعبر عن تكرار في العرض، ولا عن مشاهد مختلفة ،إنما بعضها يكمل البعض،وتعطي جميعاصورة كاملة مفصلة عن المشهد أو الحادث .

وهذا ماذهب إليه الأستاذ عبد الكريم الخطيب؛حيث يقول:((إن هذه الصورة المتكررة يكمل بعضها بعضا ،وأنها في مجموعها تعطي صورة واضحة كاملة مجسمة أو شبه مجسمة للحدث ،وأن مايبدو من أنه اختلاف بين المقولات في الواقعة الواحدة أو الحدث الواحد ليس إلا تجميعا لمتناثر الأقوال عن هذه الواقعة أوذلك الحدث...)).(1)

ونعتقد أن ماتم عرضه كاف لتوضيح الشبهة والرد عليها.

المطلب الثاني: نفي الحقيقة التاريخية عن القصة القرآنية

* رسالة وشبهات...

وقبل التطرق إلى هذه الشبهة أرى من الضروري تعريف القارىءبأخطركتاب صدر حول القصة القرآنية في العصر الحديث ؛ والذي طرح فيه صاحبه جملة من الشبهات حول القصة القرآنية.

الكتاب هو<< الفن القصصي في القرآن الكريم>> لصاحبه الدكتورمحمد أحمد خلف الله، وهو رسالة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف أستاذه (أمين الخولي)، وذلك في مطلع الخمسينيات من هذا القرن.

---

(1)عبد الكريم الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:334.

((وهذه الرسالة قد أحدثت ضجة في مصر، وفي العالم الإسلامي كلـه ، حيث هب المسلمون من ذوي الغيرة على هذا الدين ، علماء ومثقفين وأدباء من الأزهر يستنكرون بشدة وبقوة ما جاء في هـذه الرسالة .منكرين على كاتبها والمشرف عليها والمؤيد لها من أمثال الكاتب والمشرف ، والمؤيدين بـالطبع هـم مـن أولئك الذين يسيرون على هذا المنوال المفتنين بآراء المستشرقين الحاقدين ،وفي هذه الرسالة التي ردت أكثر من مرة ولكنها نشرت بعد ذلك وطبعت أكثر من طبعة و لم يرجع كاتبها عن غيـه، انحرافـات ومنزلقـات بل كلها كذلك..)).(1)

ولقد طبعت هذه الرسالة عدة طبعات ،فكانت الطبعة الأولى سنة1953م. وكانت الطبعة الثانية سنة1957م، ثم جاءت الطبعة الثالثة سنة1965م.

ومن غريب ما قال المشرف على هذه الرسالة في مقدمة الطبعة الثالثة، إصرارا منه على آرائـه المدسوسة في كتاب تلميذه((..تجربة تكررت واطردت نتيجتها، حتى تقرربها القبول بأن : مـن النواميس الاجتماعيـة أن تعد الفكرةحيناماكافرة تحرم، ثم تصبح عقيدة تعتنق ...كذلك تقدم رسالة *الفن القصصي في القـرآن الكريم * صورة أخرى من تلك التجربة آمنت بها الحياة وأقرت نتيجتها)).(2)

فكأني بالمشرف (أمين الخولي)، يعتبر الإيمان والكفر شيئين يتغيران بتغير الزمن؟؟ وكـأني بـه أيضـا يعتبر مقياس الحقيقة، هو إقرار الحياة بشيء ما ،وإن كان خاطئا؟؟

ومن الشبهات الخطيرة التي طرحتها الرسالة:

*نفي الحقيقة التاريخية عن القصص القرآني.

*الخيال في القصة التمثيلية القرآنية.

*الأسطورة في القصة القرآنية.

---

(1) فضل حسن عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص:427.

(2) محمد أحمد خلف الله ،**الفن القصصي في القرآن الكريم**،من مقدمة الطبعـة الثالثـة للكتـاب.لأسـتاذه أمين الخولي(بدون ترقيم).

مما زعمه الدكتور خلف الله في رسالته (الفن القصصي) أن القصة القرآنية لايمكن اعتمادها مصدرا تاريخيا لحادثة ما، إذ أن القصة القرآنية لم يكن غرضها التاريخ بمفهومه العلمي، وإنما كان غرضها غير ذلك...حيث يقول :((إن القصة التاريخية أي في القرآن الكريم - ليست عرضا تاريخيا تطلب فيه المطابقة الواقعية المحققة للصدق العقلي، وإنما هي عرض أدبي يطلب فيه التأثير وقوة الوقع ليتحقق به الصدق الفني أو الأدبي، ويكون التوجيه نحو الغاية المبتغاة،... والقصةالتاريخية في القرآن قصة أدبية يقصد منها غير ما يقصد من التاريخ)).(1)

ويقول أستاذه والمشرف على رسالته، في إحدى مقدمات طبعاتها...

يقول: ((وبهذا التفريق بين العرضين - الفني والتاريخي - للحادثة والواقعة تبيّن في وضوح قريب أن عرض القرآن لأحداث الماضين،ووقائع حياتهم،والحديث عن تلك الأحـــداث والأشخاص ليس إلا العرض الفني الأدبي - لاالعرض التاريخي التحقيقي -)).(2)

وكأني بالكاتب و مشرفه يريدان القول إن القصة القرآنية ، من أجل تأديتها للغرض الفني الأدبي، تخرج من الحقيقة الواقعية للحادثة ، إلى الخيال الفني ؟؟

وبالتالي فلا يمكن اعتبار القصة التاريخية القرآنية، مصدرا تاريخيا يعتمد عليه في إثبات الحقائق...

وهذا قول خطير نشتم من بين ثناياه روائح السموم الاستشراقية، التي تهدف إلى تشكيك الأمة في مصادرها التاريخية، وعلى رأسها القرآن الكريم.

ومن الذين ناقشوا المشرف، وتلميذه في هذا الموضوع مناقشة علمية أدبية هادئة وهادفة الأستاذ:عبد الكريم الخطيب في كتابه (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه)؛حيث رد على الشبهة ردا محكما.

---

(1) محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن الكريم**،ص:131.

(2) محمد أحمد خلف الله ، من مقدمة المرجع السابق ،ص:د.

ومما قاله:((ونحن لاننكر على القرآن ، ولاعلى قصص القرآن أن يلبس ثوب الفن ،فما الفن إلاالجمال والبهاء والجلال ، والقرآن هو مصدر كل جمال وبهاء وجلال ،ولكن الذي ننكره هو أن يكون نسيج هذا الثوب من أيّة مادة غير الحق، والحقّ الخالص المصفّى من كل شائبة من شوائب التخييل ، أو التمويه أو الفرض...وهل بعد جمال الحق جمال؟.

وهل بعد جلال الحق وروعته جلال وروعة ؟؟؟)).(1)

ومن هنا فإنا لانرى أيّ مبرر علمي أدبي لهذه المزاعم، إلا الطعن في أصول هذه الأمة و التشكيك في مصادرها التاريخية...

وبالتالي عدم تصديقها بما ورد في القصص القرآني من أخبار عن تاريخ الأمم السابقة ، وخاصة اليهود وبنو إسرائيل، وهم بيت القصيد...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ، ص:278.

المطلب الثالث: الخيال في القصة التمثيلية القرآنية

القصة التمثيلية هي لون من ألوان القصص القرآني ، وهي القصة التي تضرب للمثل والتمثيل ،كقوله تعالى في سورة يس: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً : أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ...﴾.(1)

وقوله في سورة القلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ...﴾.(2)

وما أكثر هذا اللون القصصي في القرآن الكريم.

والقضيةالتي نحن بصدد مناقشتها هي:هل هذا النوع من القصص القرآني قدحدث حقيقة في واقع البشرية قبل نزول القرآن ؟أو أنه مجرد خيال مفتعل لضرب المثل لاغير ؟

بعض الباحثين وخاصة المتأثرين بالتيار الاستشراقي ذهبوا إلى القول صراحة بأن هذا اللون من القصص ليس له أي حقيقة واقعية ،بل هو مجرد خيال مفتعل لضرب المثل ولتحقيق التفوق الأدبي الفني في القصة القرآنية.

ويتقدم هؤلاء طبعا الدكتور محمدأحمدخلف الله،حيث يقول في كتابه(الفن القصصي):

((وهكذا نستطيع أن ننتهي من الحديث عن هذا اللون القصصي إلى القول بأن القصة التمثيلية أو الخيالية موجودة في القرآن الكريم باعتراف أئمة التفسيرمن القدماءوالمحدثين وأن القصة التمثيلية قصة أدبية وأنها تدخل تحت صورة التعريف الأدبي للقصة.

(و)...القصة هي العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيّل القاص لحوادث وقعت من بطل لاوجود له ،أو من بطل له وجود ولكن الأحداث التي ألمت به لم تقع له أصلا)).(3)

وكأني بالدكتور خلف الله يريد أن يطوّع القصة القرآنية ،تطويعا حتى توافق ما أخذه عن أسياده ،في تعريف القصة الأدبية؟؟؟..

---

(1)سورة يس الآية:16.

(2)سورة القلم الآية:17.

(3) محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم**،ص:170.

ونجد بعض الباحثين تركوا السؤال عالقا، بين حقيقة القصة التمثيلية وخيالها ،ومن هؤلاء الباحث المقتدر سيد قطب في كتابه (التصويرالفني في القرآن)؛حيث نجده في خاتمة الكتاب، يعرض بعض الصعوبات التي واجهته في البحث فيقول: ((فلست أنكر أن صعوبات اعترضت طريقي، وأنا أبحث موضوع (القصةفي القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن)أهذا كله مسوق على أنه صور واقع؟ أم إن بعضه مسوق على أنه صور وأمثال؟.

ووقفت طويلا أمام هذه الصعوبات ،ولكنني لم أحد بين يديّ حقيقة واحدة من حقائق التاريخ أو حقائق التفكير ، أطمئنّ إلى يقينها وقطعيتها ، فأحاكم القرآن إليها ، وما كان يجوز لديّ أن أحاكم القرآن إلى ظنّ أو ترجيح...)).(1)

ولست هنا بمعقب على الشهيد سيد قطب رحمة الله عليه ، وماأنا بأهل لذلك...

ولكنها مجرد ملاحظة أردت أن أبديها حول هذا الموضوع.

إن الله تعالى بعلمه بما وقع وماسيقع، قادرعلى أن يقص للناس قصة واقعية لاخيال فيها. من أجل أن يضرب لهم مثلا معيّنا ،وما أكثر هذه النماذج في الحياة البشرية من يوم أن خلقها الله تعالى ، إلى أن يبعثها يوم القيامة . وهو أعلم بها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؟.(2)

وقادر على أن يسوقها قصّة تمثيليّة واقعيّة ،تجمع بين ضرب المثل،والجمال الفني،والحقيقة الواقعية.

وقد كان هذا الرأي للشهيد سيد قطب عند تأليفه لكتاب التصوير ،لكنه في كتاباته اللاّحقة اطمأن إلى أن القصة التمثيلية في القرآن هي قصة حقيقية لاخيال فيها؛ وتجلى ذلك عند تناوله لمثل هذه القصص في كتابه العظيم (في ظلال القرآن).

أما زعم الدكتور خلف الله بأن حاجة الخيال في القصة التمثيلية للبشر لا لله ، إنما هو قول باطل ، لأن الله قادر على ضرب الأمثال من الواقع لامن الخيال.

ونعتقد أن القول بالخيال في القصة التمثيلية (شبهة) يجب أن تزال بما تقدم والله أعلى وأعلم.

---

(1)سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ص:258

(2)سورة الملك/الآية:14.

المطلب الرابع: الأسطورة في القصة القرآنية

ومن أخطر ماقيل من شبهات حول القصة القرآنية،أسطوريّة بعض القصص القرآني.

فبالرغم من أن هذه الشبهة قد ردها القرآن الكريم على المشركين في مهد النزول القرآني. كقوله تعالى في وصفه لمن يكابر في تقبل آيات القرآن: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.(1)

قلت بالرغم من ذلك النفي القرآني لوجود الأساطير بين ثناياه ، وجدنا من المحدثين من يساير المستشرقين، ويزعم بأن في القصص القرآني أساطير...

ومن يكون من هؤلاء،غير ذلك الذي ارتمى في أحضان المستشرقين وراح يرمي القصص القرآني بجملة من الشبهات ،مدّعيا في ذلك العلمية في البحث ، ومسايرة ما توصل إليه الفن الأدبي الحديث ؛حيث نجده يخلص من بحثه إلى وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم، وهذا زعم غريب لايقبله دين ولا عقل.

يقول:((ونستطيع الآن أن ننتهي من هذه الفقرة إلى القول بأن القرآن الكريم لاينكر أنّ فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجئه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء.

ومن هنا يجب ألا يزعجنا أن يثبت عالم من العلماء أو أديب من الأدباء أن بالقرآن أساطير ذلك لأن هذا الإثبات لن يعارض نصا من نصوص القرآن ... وإذا ما قال المستشرقون أن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى ـ عليه السلام ـ في سورة الكهف قد بنيّت على بعض الأساطير قلنا ليس في ذلك على القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخرا أن كتابنا الكريم قدسنّ السنن وقعّد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين)).(2)

---

(1) سورة القلم الآية:15.

(2) محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم**،ص: 182.

وبالرغم من خطورة هذا القول الشنيع ، الذي ينص صراحة على أن جزءا كبيرا من القرآن الكريم يتضمن مجموعة من الأساطير.

فإني أردت أن أقف مع الكاتب عند بعض النقاط التي تطرق إليها في نصه السابق.

أولا: قوله: (أن القرآن الكريم لاينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من محمد ـ عليه الصلاة و السلام ـ) . أقول: إن الآية السالفة الذكر الواردة في سورة القلم ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ .(1)

تنص صراحة، أن حجّة المكذّبين و المشككين في القرآن هي:وصفه بالأساطير التي لا تمت للحقيقة بصلة، وبذلك يكون كلامه مردودا؛لأن آيات القرآن هي آيات الله(آياتنا). فالضمير في الآية يعود على الله عز وجل، لا على القرآن الكريم ولا على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ . والله تعالى منزّه أن يكون في آياته أساطير ،وهو القادر على الإتيان بالقصص القرآني من محض الحقيقة ، لامن شبهة الخيال و الأساطير...

ثانيا: إن عقيدة الكاتب يعتريها غبش ؛حيث أنه يقدم أقوال البشر من أدباء وعلماء ،على قول رب البشر وهو القرآن الكريم .

فوجدناه يضع أقوال الأدباء و العلماء موضع الحقيقة المطلقة، ثم يبحث في آيات القرآن ليلوّي عنقها حتى تتوافق مع أقوال هؤلاء؟؟..إنه لشيء غريب!

ثالثا: ولانجد أنفسنا قد افترينا على الكاتب كذبا ؛حينما قرّرنا بأنه ساقط في أحضان المستشرقين ،يحقق أهدافهم وأغراضهم ، ويضرب جذور أمته بيده...

لأن الكاتب يقرّ صراحة بقوله :((وإذا قال المستشرقون أن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى ـ عليه السلام ـ في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير ،قلنا ليس في ذلك على القرآن من بأس)).(2)

---

(1) سورة القلم الآية:15.

(2) محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم**،ص:182.

رابعا: ومن أخطر ما قاله الكاتب ،أنه قارن بين القرآن الكريم والدين الإسلامي، وبين الآداب العالمية والأديان الأخرى ؛ويكون بذلك قد حاول إزالة القداسة الإلهية على القرآن الكريم، باعتباره كلام الله؛ وقارنه مع الآداب البشرية التي تصيب وتخطئ ولا تحضى بأي قداسة.

أما محاولته في إظهار القرآن الكريم ،على أنه قد سبق غيره في سنّ السنن، وتقعيد القواعد فهي محاولة فاشلة ببساطة؛ لأنه فعل ذلك بعدما لوّى عنق القرآن ،وحاول تكييفه مع الآداب العالمية جبرا.

والواجب: أنّ السّنن والقواعد تستخرج من القرآن أولا؛ ثم تكيّف معها الآداب العالمية ثانيا؛ ويقال حينذاك بأن القرآن قد سبق غيره في هذه الميادين...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: المقدمات الضرورية التي لابد منها لدارس القصة القرآنية

إنّ الولوج في عمق القصة القرآنية،يقتضي من صاحبه معرفةأبجديات أوّليةعن هذه القصة. وبدون معرفة هذه المقدمات لايمكنه التوغّل في أسرارها، ومعرفة كنهها.

ونحسب أن أهم هذه المقدمات تتمثل في:

1ـ مفهوم القصة القرآنية.

2ـ مكانة القصة القرآنية .

3ـ أهداف القصة القرآنية.

4ـ عناصر القصة القرآنية.

وسنحاول بإذن الله تعالى، البسط في كل مقدمة على حدة .

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية

القصة في معناها اللغوي تتبّع الأثر ((فالقصة مشتقّة من القصّ وهو تتبّع الأثر، قال تعالى﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾(1)أي تتبعي آثاره..على ما انتهى إليه أمره.)).(2)

وإذا كان هذا هو معنى القصة من الناحية اللغوية ، فمفهوم القصة القرآنية إذن :هو تتبع آثار وأخبار من ورد ذكرهم في القرآن الكريم ،قال تعالى ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.(3)أي بحثا وتنقيبا.

((والقصة في القرآن إنما تَتَّبِعُ أحداثا ماضية واقعة ،وتعرض منها ماترى عرضه ، ومن هذا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصا ،مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ..)).(4)

---

(1) سورة القصص الآية :11.

(2) عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:44.

(3) سورة الكهف الآية:13.

(4) عبد الكريم الخطيب، **المرجع السابق**،ص:45.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولكنّ هذا التتبّع للأخبار، لايعني التفصيل المطلق لكل صغيرة وكبيرة ،إنما يعني عرض القدر الكافي من الأخبار ؛وذلك قدر الحاجة التي توصل إلى الغاية من سرد القصة، وهذه الأخبار ((محدودة في الدائرة التي علم الله سبحانه ،حاجة العبادة إلى التعريف بمضمونها وذلك كأنباء الأنبياء مع أقوامهم ،وغير أقوامهم وكأنباء غير الأنبياء في تلك الدائـــرة وبقدر الحاجة)).(1)

والملاحظ في القصة القرآنية أنّها، ترد أحيانا باسم النبأ ؛وذلك للقصة البعيدة الضاربة في أعماق التاريخ كقوله تعالى :﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَاكُنتَ تَعْلَمَهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.(2)

وترد أحيانا أخرى باسم الخبر ؛وذلك للقصة القريبة الوقوع، كقوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىَ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.(3)

حيث((استعمل القرآن الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي،وإن كان قد فرّق بينهما في المجال الذي استعملا فيه ،جريا على ماقام عليه نظمه من دقة وإحكام وإيجاز ... فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة، زمانا أو مكانا،ولفهافي أطوائه... على حين أنه استعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع،أوالتي ـ

لاتزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان ...)).(4)

ومماسبق يتبيّن بأن مفهوم القصة القرآنية ،هوسرد أحداث وقعت لأشخاص أوأقوام في الزمن القريب أو البعيد ،وبالقدر الذي يحتاجه السياق ،دون تزييف أو تحريف.

---

(1) السيدعبد الحافظ عبدربه ،**بحوث في قصص القرآن**(ط:1؛بيروت :دار الكتاب اللبناني،1972 م)،ص:44.

(2) سورة هود الآية:49.

(3)سورة محمد الآية:31.

(4)نفس النص نقل عن كتابين،أورداه بدون تعليق.ولست أدرى من صاحب النص الحقيقي؟ أهوصاحب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، أوصاحب بحوث في القصص القرآني.وأعتقد أن الثاني نقل عن الأول ؛ لأني وجدته ينقل عنه في عدة مواضع من كتابه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعليه فالقصةالقرآنية تمثل الحقيقة المطلقة في سرد الأحداث بعيدا عن((تأليف الحكايات أو تلفيق الوقائع أو اصطناع الأخبار المكذوبة، التي يلفقها الكبت والظلم فتسعى سعيها لإخفاء عارها وكذبها (فنياً) ثم تنتحل الصدق انتحالا لهذاالفن فتسميه صدقا فنياً)).(1)

وهي بذلك ((وثيقة تاريخية من أوثق مابين يدي التاريخ من وثائق،فيما جاء فيها من أشخاص وأحداث ...)).(2)

ولمّا كان ذلك هو مفهوم القصة القرآنية ،فما هو موقع هذه القصة ومكانتها من القرآن الكريم؟.

المطلب الثاني: مكانة القصة القرآنية

إنّ مكانة القصة القرآنية تستمدّها من مكانة القرآن الكريم ،فهي جزء لا يتجزأ من مجموع النص القرآني؛ وهي بالتالي تأخذ مكانة القرآن، في القداسة والسموّ والخلود وعدم التحريف ؛وهي فوق ذلك كلّه تسند إلى رب الوجود جَلّ وعلا؛الذي يتصف بكل صفات ،الجمال، والجلال ،والكمال ...

وكيف لا وهو الذي يقول في حقها لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.(3)

ومكانتها تستمدّ أيضا،من كونها أخذت مكانا شاسعا من مجموع القرآن((لأن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله كانت مساحة واسعة ،مانظن أن موضوعا آخر كان له ماكان للقصة من نصيب ، فالقصص القرآني لايقلّ الحيّز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلا،فإذا كان القرآن ثلاثين جزءا،فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد....)).(4)

---

(1)صادق الحكيم **مجلة الأنصار**،نقلاعن:**خصائص الأدب العربي**،لأنور الجندى،ص:335.

(2) عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:39.

(3)سورة يوسف /الآية:3.

(4)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحائه ونفحاته**،ص:15.

ولكن قد يتبادر للذهن سؤال مفاده:لماذا كانت للقصة القرآنية هذه المكانة المعتبرة في القرآن الكريم؟.ولماذا قصد القرآن الكريم إلى التركيز عليها؟..

ذلك ما سنحاول معرفته في المقدمة الثالثة ،التي لابد منها لدارس القصة القرآنية.وهي: أهداف وأغراض القصة القرآنية.

المطلب الثالث: أهداف القصة القرآنية

إن القرآن الكريم كتاب هداية للناس كافة.وهدفه الرئيسي تعبيد الناس لربهم.وما دامت القصة القرآنيةجزء لا يتجزأمن هذا القرآن،فهدفها الأساسي إذن لايخرج عن تلك الغاية.

فكل ما ورد في القصة القرآنية سيق((على وجه العبرة للمصدّقين والردع والزجرللمكذبين فهي توجّه الأوّلين إلى الثبات على الحق، والاستزادة من عمل البر والخير.. كما تصرف المتهيئ من المكذبين، عن الباطل والشرك والشر بأنواعه ،بقدر مافيهم من استعداد وتهيؤ...)).(1)

ولايشك أحد في أن الغرض الأساسي للقصة القرآنية ديني بحت، وقد تأتي من خلاله أغراض أخرى لكنها تبقى خادمة للغرض الأساس.

فالقصة في القرآن سيقت((لتحقيق أغراض دينية بحتة كما أسلفنا ،وقد تناولت هذه الأغراض عددا وفيرامن الصعب استقصاؤه ،لأنه يكاد يتسرب إلىجميع الأغراض القرآنية فإثبات الوحي والرسالة وإثبات وحدانية الله،وتوحد الأديان في أساسها والإنذار والتبشير،ومظاهر القدرة الإلهية،وعاقبةالخير والشر،والعجلة والتريث،والصبروالجزع والشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية،والمرامي الخلقية،قد تناولته القصة وكانت أداة له وسبيلا إليه)).(2)

---

(1)السيد عبد الحفيظ عبد ربه،**بحوث في قصص القرآن**،ص:44.

(2)سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ص:144.

فـ((القصص القرآني مصدر للعبرة ،وكشف عن سنة الله الثابتة في خلقه ،ونواميسه النافذة في المجتمعات)).(1)

وإذ أردنا تفصيلا أكثر في أهداف القصة القرآنية. فإننا نوجز جملة منها فيما يلي:

- تعميق العقيدة وإثبات الوحي والرسالة.

- بيان أن الدين كله من عند الله، وأن الرسل كلهم من نفس المنبع ،ودعوتهم واحدة.

- بيان أن رسائل الأنبياء في الدعوة إلى الله واحدة ،وعلى رأسها الصفات الخيّرة فيهم ليكونوا للناس قدوة.

- بيان أن كل الأمم في شتى العصور استقبلوا أنبيائهم بمواقف متشابهة.

- بيان أسباب الهلاك الذي يمكن أن يصيب الأمم.

- بيان أن الله ينصر أنبياءه وأولياءه في النهاية،ويهلك المكذبين و الضالين.

- تنبيه بني آدم إلى عداوة الشيطان لهم بدءا بأبيهم.

- التركيز على أن الإنسان المؤمن إيجابي في حياته العملية.

- بيان قدرة الله على الخوارق والمعجزات.

- بيان عاقبة فعل الخير والصلاح، وعاقبة فعل الشر والفساد.

وإلى غير ذلك من الأهداف و الأغراض التي لايمكن حصرها؛ ومما تجدر الإشارة إليه، أن للقصة القرآنية أهداف أخرى تنبعث من خلال هدفها الرئيسي الذي ذكرناه.

هذه الأهداف تتمثل في((...رونق الأسلوب ،وبديع النظم،وجمال الصورة،مما ترقص له قلوب الأدباء ،وعدا مافيها كذلك من المواقف والتحاليل النفسية ،والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم،وغير هؤلاء وأولئك ،مما يَطّلِعُ عليه من يتأمل هذا القصص ويتدبره)).(2)

وحسبنا هذا القدر من أهداف القصة القرآنية،لنتعرف فيما بعد،على عناصر هذه القصة.

---

(1) أنور الجندي، **خصائص الأدب العربي**(ط:2؛ بيروت :دارالكتاب اللبناني،مكتبة المدرسة،1985م) ص:335.

(2) فضل حسن عباس ، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص:11.

المطلب الرابع: عناصر القصة القرآنية

إنّ الباحثين في مجال القصة الفنية،حددوا لها عناصر أساسية، لايكتمل بناؤها إلا إذا توافرت هذه العناصر؛حيث((يفرض العلماء في القصة الفنية بمعناها العام وجود ثلاث عناصر رئيسية وهي: الموضوع، والشخصيات ،والحوار.

ثم يصفون بدقة شروط كل من هذه العناصر ،ويبينون أنواع الخلل التي تطرأ عليها فتحيلها من قصة فنية إلى غير فنية)).(1)

تلك هي عناصرالقصة الفنية عموما؛فما هي عناصرالقصة القرآنية على وجه الخصوص؟. وهل تتفق فيها مع القصة الفنية؟.

للإجابة عن هذا السؤال، نجد الدكتور بكري شيخ أمين يقول:((على الرغم من أن غرض القصة القرآنية ديني خض .فإنا نستطيع أن نجد بعض العناصر البارزة قائمة في معظم القصص التي وردت في الكتاب الكريم. منها: عنصرالشخصية ،والحوار ،والصراع والمفاجأة والتصميم...)).(2)

ويوضح ذلك أحد علماء الأزهر، وهو السيد عبد الحافظ عبد ربه بقوله:((وإذا... فإن القصص القرآني يتفق مع سائر القصص،في أنه لابد له من شخص،وحوار، وحدث،وأنه قد يهمل بعض هذه العناصر لعدم الاعتداد بأمره ،ولعدم تعلق الغرض بذكره... فلا يذكر اسم شخص معين لأنه لاعبرة في ذكر اسمه ويقتصر في ذكر معناه وصفته على قدر ما تتطلبه حاجة البيان...)).(3)

ويؤكد الأستاذ عبد الكريم الخطيب على وجود هذه العناصر في القصة القرآنية،ولكن بتميّز عن القصة الفنية؛حيث يقول:

((يقوم العمل القصصي على محورين،إما الشخصية و إما الحدث..بمعنى أن تكون الأحداث هي المركز

---

(1)بكرى شيخ أمين،**التعبير الفني في القرآن**(ط:4؛بيروت :دار الشروق،1980م)،ص:216.

(2) بكري شيخ أمين، **المرجع السابق**،ص:221.

(3) السيد عبد الحافظ عبد ربه،**بحوث في قصص القرآني**،ص:52.

الذي تدور في دائرته الشخصيات ،وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث،فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد مرة...وفي القصص القرآني نرى تدبيرا عجيبا معجزا،في توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكما متوازيا ،بين الحدث والشخصية..فلا تجد موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها ،أو الحادثة وحدها...وإنما تلتقي الشخصية والحادثة،أو الحادثة مع الشخصية فيتخلّق من اجتماعهما مضمون هو الذي يصبح بطل الموقف...)).(1)

وإذا كانت تلك هي أهم عناصر القصص القرآني، أي:الحدث،والشخصية ،والحوار.

فإن الباحثين في القصة القرآنية، أضافوا مجموعة أخرى من العناصر والخصائص تتوزع على القصص القرآني في مجموعه،ويختلف تواجدها من قصة إلى أخرى.

وهذه العناصر نوردها بصفة الإيجاز والإجمال كما يلي:

- العنصر الزمني وكيفية توزيعه في ثنايا القصة.
- الفراغات و الأبعاد وكيف تملأ (الفجوات).
- الصراع في مفهومه العام بين الخير والشر.
- المفاجأة و تنوعها .
- تخطيط القصة وكيفية عرضها(تنوع طريقة العرض).
- التصوير الفني في القصة القرآنية.
- القوى الغيبية في القصص القرآني.
- القدر وحسابه في القصص القرآني.
- التكرار في القصص القرآني.

(1) عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:40،41.

هذه هي أهم العناصر، والخصائص ،التي يتميز بها القصص القرآني عن غيره من القصص الأدبي.

وهذه هي أهم المقدمات التي يجب أن يعرفها كل دارس للقصة القرآنيـــــة .

وا لله نسأل التوفيق والسداد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بين الغرض الديني

و الغرض الفني

المبحث الأول ـ الغرض الديني في قصة يوسف

المطلب الأول:تخفيف المحنة عن النبي(ص)

المطلب الثاني:تثبيت المحاور الكبرى للعقيدةالإسلامية

المطلب الثالث: الدعوةإلى الفضائل والتحذير من الرذائل

المطلب الرابع:استنباط بعض الأحكام الشرعية

المطلب الخامس:دروس عملية للدعاة إلى الله

المبحث الثاني: الغرض الفني في قصة يوسف عليه السلام

المطلب الأو ل:الكمال الفني للقصة

المطلب الثاني :الغرض الفني في إفراد القصة

المطلب الثالث:الحبكة الفنية للقصة

المبحث الثالث: آثار خضوع قصة يوسف للغرض الديني

المطلب الأول:عرض القصة بالقد رالذي يكفي لأداء الغرض الديني

المطلب الثاني:مزج التوجيهات الدينية بسياق القصة

المطلب الثالث:التناسق بين الغرضين الد يني والفني في القصة

تـوطئة

لقد سبق أن ذكرنا بأن القصة القرآنية لم يكن غرضها فنيا بالدرجة الأولى، إنماكان غرضها الأساسي دينيا محض ،حيث إن ((القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حواداته - كما هو الشأن في القصة الفنية الحديثة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق - إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء،والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)).(1)

ونختلف هنا اختلافا كليا مع الدكتور محمد أحمد خلف الله،الذي يزعم في كتابه:

(الفن القصصي في القرآن الكريم)أن الغرض الديني، لم يكن هو الغرض الأساسي للقصة القرآنية.إنماكان أحد أغراضها بقوله:((إن أمور الدعوة الإسلامية وشرح عقائدهاوتوضيح مبادئهاكانت ترد في ثنايا القصة وبين طياتها في كل ماجاء في القرآن من قصص، وأنها كانت غرضا،لكنه ليس بالغرض الذي تنتهي عنده القصة ،ويكون منهاالنهايةأوالختام،وإنه من أجل ذلك كانت هذه التوجيهات من الموضوعات لامن الأغراض)).(2)

وكأني به يسوّي بين الغرض الديني في القصة والغرض الفني وغيره من الأغراض. سواء بسواء. وهذا خطأ من الأساس؛لأن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية قبل كل شيء. ونستمع إليه،وهو يؤكد زعمه هذا في موقع آخر من كتابه بقوله:((وعلى الجملة فالقيم الخلقية في القصص القرآني ليست بالكثيرة...)).(3)

((وقصة يوسف في القرآن قصة الشخصية والأحداث جميعا،لاتسجل واقعا وحسب وإنما تنتصر للقيم الإنسانية الجديرة بالخلود..تنتصر للإيمان،للصبر،للعفاف،للتوكل على الله... كما أنها تشيد بالعلم (تأويل الأحلام،حفيظ عليم))).(4)

---

(1)سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ص:143.

(2)محمدأحمد خلف الله،**الفن القصصي** ،ص:225.

(3) محمدأحمد خلف الله، المرجع السابق ،ص:112.

(4)أحمدماهرمحمودالبقري،**يوسف في القرآن**(الإسكندرية:مؤسسةالثقافة)،ص:123.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولما كان هذا هو حال القصة القرآنية عموما،فإن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ لاتخرج عن هذا المجال فغرضها الأساسي ديني محض،والبناء الفني أحد وسائلها، لتبليغ هذا الغرض وإن كانت تتميز عن غيرها من القصص القرآني في كمال بنائها الفني. وسنعرض ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله.

المبحث الأول ـ الغرض الديني في القصة:

الجو الذي نزلت فيه القصة

المعلوم أن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ نزلت كاملة في سورة يوسف، ولمعرفة الأغراض الدينية التي سيقت من أجلها،لابد من معرفة الجوالدعوى(الديني)الذي نزلت فيه على قلب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليتعلم منها ويعلم أصحابه وأتباعه من بعده.

والثابت أن هذه السورة ((مكية كلها،وقيل نزلت ما بين مكة والمدينةوقت الهجرة)).(1)

وقد نزلت في فترة حرجة من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين بيعة العقبة الأولى تم الثانية التي جعل الله فيها لرسول الله وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية فرجا ومخرجا بالهجرة إلى المدينة...)).(2)

((والسورة كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحا في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وفي إيحاءاتها ،بل إن عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصة .. ففي الوقت الذي كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعاني من الوحشةوالغربة والانقطاع في جاهليةقريش ـ منذ عام الحزن ـ وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة. كان الله سبحانه يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم ـ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ـ وهو يعاني صنوفا من المحن و الابتلاءات ...)).(3)

---

(1)محمدبن علي الشوكاني،**فتح القدير**(بيروت:دارإحياءالتراث العربي)ج:3،ص:3.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**(ط:10؛بيروت:دارالشروق،1982م)ج:4،ص:1949.

(3) سيد قطب ، المرجع السابق،ج:4،ص:1950.

فإذا كان ذلك هو الجو الذي نزلت فيه القصة.فماهي الأغراض الدينية التي أراد الله تعالى أن يوصلها إلى عبده محمد عليه الصلاة والسلام - وهو في ذلك الجومن الوحشة والغربة وقلة الحيلة وغلبة الأعداء؟

والواضح من خلال الجو الذي نزلت فيه القصة.أن الغرض الأساسي للقصة هو تثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه،وتأتي بعد ذلك أغراض دينية متناثرة خلال القصة سنتناولها بنوع من التفصيل إن شاء الله؛ذلك أن القصة القرآنية تقوم أساسا على إقحام النصائح، والعظات في ثناياها حتى((لايندمج القارئ مع القصة،وينصرف إليها بكل تفكيره ،فيطول به العهد وينسى المساق الأصلي للقصة.وتلك هي آفة الاستعانة بالقصة في التربية والتهذيب.إذ من شأنهاأن تبعد القارئ أوالسامع تدريجيا عن مساقها الذي انطلقت منه وغاياتها التي تسير إليها ،بسبب انشغال الفكر بأحداثها ومفاجآتها وربما قد يكون لها من مشاهد مثيرة))(1)،ولذلك كانت القصة القرآنية ،وقصة يوسف - عليه السلام - بالخصوص ذات ((أسلوب حكيم لايقصي السامع خلال مراحلها المختلفة عن المحور التربوي الذي انطلق منه)).(2)

ويمكن ترتيب الأغراض الدينية في القصة كما يلي:

المطلب الأول:تخفيف المحنةعن الرسول - صلى الله عليه وسلم -

فالجو الذي نزلت فيه السورة كان مشحونا بضغط عال، توالت فيه الشدائد والمحن على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه((فلا عجب أن تكون هذه السورة ،بما احتوته من قصة ذلك النبي الكريم،ومن التعقيبات عليها بعد ذلك ،مما يتنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والجماعة المسلمة معه في مكة ،في هذه الفترة بالذات تسلية وتسرية، وتطمينا كذلك وتثبيتا للمطاردين المغتربين الموحشين)).(3)

---

(1) محمد سعيد رمضان البوطي،**منهج تربوي فريد في القرآن**(باتنة/الجزائر: دار الشهاب ،1985م)ص:54.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق،ص:55.

(3) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1990،و:**علي بن أحمد النيسابوري،أسباب النزول**(بيروت المكتبة الثقافية)،ص155.

وكأنّي بقصة يوسف ـ عليه السلام ـ تخاطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه وتقول لهم:((...فاصبر يا محمد ،على ماناللك من الله ،فإني قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادرا على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به مافعلوا،ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ،ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ماينالك به هؤلاء المشركون،لغير هوان بك عليّ،ولكن لسابق علمي فيك وفيهم،ثم يصيرأمرك وأمرهم إلى علوِّك عليهم وإذعانهم لك كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم)).(1)

وهي بالتالي ـ أي قصة يوسف عليه السلام ـ تخفف المحنة عن النبي ـ صلى الله عليه ـ وسلم ـ وأصحابه، باستشراف مستقبلهم الدعوي، وصيرورته الحتمية إلى ماصارت إليه الأمور في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)محمد بن جريرالطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (القاهرة:دارالمعرفة،1969م)، ج16،ص:7.

المطلب الثاني: تثبيت المحاور الكبرى للعقيدة الإسلامية

من البديهي أن يكون من بين أغراض قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تثبيت العقيدةالإسلاميةفي محاورها الأساسية ؛وكيف لا وهي جزء لايتجزأ من القرآن الكريم المكي؛ الذي ظل يتنزل على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمدة ثلاثة عشر عاما، ومحوره الأساسي غرس العقيدة الإسلامية، ومحو عقائد الشرك والضلال.

ومن المحاور العقدية التي دأبت هذه القصة إلى غرسها، وتثبيتها نذكر مايلي:

الفرع الأول: إثبات الوحي والرسالة

هذا المحور العقدي واضح أشد الوضوح في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ؛حيث ورد تأكيده في مقدمة القصة ،وجاء على شكل مدخل ضروري لها.

نقرأ ذلك في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ،نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.(1)

وتتنزل هذه الآيات على قلب رجل أميّ، لايعرف الكتابة، ولا القراءة،ولايعرف القصص ناهيك بأحسن القصص. ذلك كله، لإثبات أن الذي ينزل عليه، وحي من السمـــــاء؛((...وأن هذا القصص الذي يقصه النبي على الناس إنما هو من عند الله ، و أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن قبل أن يصطفيه الله تعالى لرسالته ،ملتفتا إلى شيء من هذا، أو طالبا له ،بل كان غافلا عن هذا الأمر كله،وأنه لم يكن يتوقع أن يكون رسول الله إلى الناس ،حتى فاجأه وحي السماء...)).(2)

ثم يأتي تأكيد هذا المحور، في خاتمة القصة؛ حتى يحصل التناسق بين المقدمة والتعقيب، ونترك الآيةتعبر عن نفسها:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ...﴾(3).

---

(1) سورة يوسف /الآية:2،3.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه و مفهومه** ،ص:406.

(3) سورة يوسف/الآية :102.

فإذا كان في مقدمة القصة،قد أكد سبحانه وتعالى لنبيه أنه سيوحي إليه قصة من أحسن القصص، لم يكن يعلمها من قبل ، فإنه في آخرها أكد له بعد تفصيلها ،أن ما قصّه عليه كان من أنباء الغيب الذي لايعلم كنهه.((ذلك القصص الذي مضى في السياق من الغيب الذي لاتعلمه،ولكننا نوحيه إليك وآية وحيه أنه كان غيبا بالقياس إليك ،وماكنت معهم إذ احتمعوا واتفق رأيهم،وهم يمكرون ذلك المكر الذي تحدثت عنه القصة في مواضعه. وهم يمكرون بيوسف ،وهم يمكرون بأبيهم ،وهم يدبرون أمرهم بعد أخذ أخيه، وقد خلصوا نجيا (وهو من المكر بمعنى التدبير)،وكذلك ماكان هناك من مكر بيوسف من ناحية النسوة ومن ناحية رجال الحاشية وهم يودعونه السجن..كل أولئك مكر ماكنت حاضره لتحكي عنه إنما هو الوحي الذي سيقت السورة لتثبته من بين ماتثبت من قضايا هذه العقيدة وهذا الدين...)).(1)

وأحسب أن هذا العنصر العقدي الهام، قد أخذ حظه الوافر من القصة.

الفرع الثاني:بيان أن الدين كله من عند الله،وأن وسائل الأنبياء موحدة

ذكرنا في المحور الأول، أن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ نزلت على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسليةً وتسريةً،ذلك لأنهما على نفس الدرب ..درب النبوة والدعوة إلى الله، وإن تباعدت بينهم السنين. ذلك ((أن الدين كله من عند الله ،من عهد نوح إلى عهد محمد. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع...)).(2)

والجامع بينهما وبين سائر الأنبياء هو ((وحدة الرسالات ،ووحدة الأساليب التي يتبعها الرسل في الدعوة إلى الله،والوحدة الروحية التي يعيشها الأنبياء فيما ينطلقون به من دعوة وفيمايواجهونه من مشاكل وصعوبات تعترض طريقهم،أوفيما يقابلونه من تحديات أعداء الله كدليل على الخط الواحد الذي أراد الله لرسالته أن تسير عليه، وعلى المشاكل ـ

---

(1)سيد قطب ،**في ظلال القرآن**،ج4،ص2031.

(2)سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**،ص146.

الواحدة التي يواجهها الدعاة في كل زمان ومكان ،على الرغم من اختلاف الظروف المحيطة بكل واحد منهم...)).(1)

ويتضح لنا أيضا من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أن هذا الأخير، إنما هو حلقة من تلك السلسلة النبوية المباركة التي أرسلها الله لنشر دينه، ويتجلى لنا ذلك في نصح يعقوب ـ عليه السلام ـ لابنه يوسف ـ عليه السلام ـ وهو مازال صبيا بقوله :﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.(2)

((فأنت ممن يختارهم الله تعالى للنبوة،فتكون سماء تطلع على الناس بالحق والهدى... وهي نعمة ينالها آل يعقوب ـ أي أبناؤه جميعا كما نالها من قبل أبوهم إبراهيم وإسحاق ... وفي هذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن يوسف :(الكريم ابن الكريم،ابن الكريم ،ابن الكريم ،يوسف بن يعقوب بن إسحاق،بن إبراهيم)...)).(3) وهكذا يتم الربط النبوي، إذ أن ((الأنبياء من آدم ونوح ،ثم من جاء بعدهم .. إلى أن توّجوا بخاتمهم محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... هؤلاء جميعا شرحوا أصول العقيدة والخلق والمعاملة شرحا فياضا بالصدق ،عامرا بالإخلاص وإنك لتسمع إليهم واحدا بعد الآخر ـ فيما سجل القرآن من وصاياهم ونصائحهم وإرشادهم لأممهم ـ فتجد كلاما منسقا وهديا منسجما،صدر عن مشكاة واحدة ،وانساق إلى هدف واحد يمهّد أوله لآخره ،وتصدّق نهاياته بداياته،وكأنهم خطباء في حفل واحد اجتمعوا في أمسية موعودة أوليلة مشهودة ،وليسوا رجالا توزعتهم أكناف القرون المتطاولة ،فبين النبي والنبي أعصار وأعصار،وبين الأمة والأمة عبرت قرى وبادت أمصار)).(4)

والذي دعا إليه يوسف في السجن ،هو نفسه الذي دعا إليه جميع الأنبياء والرسل.

---

(1)محمدحسين فضل الله،**الحوارفي القرآن**(الجزائر:دارالمنصوري للنشر)،ج2،ص16.

(2) سورة يوسف/الآية:6.

(3)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ص:29.

(4)محمد الغزالي،**نظرات في القرآن**(ط:6؛باتنة:دار الشهاب،1980م)،ص110، 111.

الفرع الثالث:بيان أن الدين كله موحد الأساس والمنطلق

حيث إنه دين الله واحد ، ينطلق من أساس واحد وهو التوحيد .وكانت أصول رسالات الأنبياء، وعقائدها الأولى واحدة ، لاتختلف من رسالة إلى أخرى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.(1)

ولاأدل على ذلك في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مماسنقرأه في هذه الآيات التي تبوأ فيها ـ عليه السلام ـ مكانة الداعي إلى الله، وإلى ملة آبائه ممن سبقه إلى هذا الطريق ، حيث نستمع إليه وهويخاطب صاحبي السجن بقوله :

﴿ ...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَاوَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ* يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّاإِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ..﴾.(2)

إنه ملخّص جامع مانع لهذه الدعوة الموحدة في أساسها، وفي أهدافها، ومنطلقاتها... وهي باختصاردعوة كل الأنبياء لأقوامهم من أجل عبادة الله وحده.

((فهي ملة التوحيد الخالص الذي لايشرك بالله شيئا قط،والهداية إلى التوحيد فضل من الله على المهتدين.... لقد رسم يوسف ـ عليه السلام ـ بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة،كل معالم هذاالدين ،وكل مقومات هذه العقيدة...)).(3)

(1)سورة الشورى الآية::11

(2)سورة يوسف/الآيات من:37إلى 40.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص:1987.

الفرع الرابع: بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية

وكان هذا الغرض واضحا أتم الوضوح، في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ؛حيث مر بكل المراحل الصعبة من كيد الإخوة، إلى وحشة البئر،إلى الرق،إلى كيد امرأة العزيز ،إلى كيد النسوة،إلى وحشة السجن.لينتقل منه مباشرة إلى سدة الحكم،بعد أن صبر ونجح في كل الامتحانات التي مر عليها.

ويلخص يوسف ـ عليه السلام ـ ذلك كله بعد اجتماعه مع أهله بقوله:﴿...وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.(1) ونترك الشهيد سيد قطب يصور لنا هذا المشهد((وياله من مشهد بعد كرالأعوام وانقضاء الأيام،بعد اليأس والقنوط،وبعد الألم والضيق،وبعدالامتحان والابتلاء.وبعد الشوق المضني والحزن الكامد واللهف الظامئ الشديد. ياله من مشهد حافل بالانفعال والخفقات والفرح والدموع، وياله من مشهد ختامي موصول بمطلع القصة:ذلك في ضمير الغيب وهذافي واقع الحياة،ويوسف بين هذاكله يذكر الله ولاينساه...)).(2)وهي رسالة واضحة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تدعوه لتحمل المشقة والمصاعب إلى حين بزوغ فجر النصر الآتي لا محالة.وبالفعل ما أن ثبت النبي مع أصحابه على الشدائد والمصاعب،حتى جاءهم نصر الله بفتح مكةالعظيم.فما أشبه نصر يوسف ـ عليه السلام ـ بنصر محمـــد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(1)سورة يوسف/ الآيات من:99 إلى 100.

(2) سيدقطب، **في ظلال القرآن** ، ج4،ص:2029.

وتأتي الآيات المعقّبة على قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مؤكدة هذا المعنى؛حيث نقرأ في قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ* حَتَّىَ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾.(1).

ونترك الشهيد سيد قطب يعلق على هذه الآيات بقوله:((تلك سنة الله في الدعوات. لابد من الشدائد،لابد من الكروب،حتى لا تبقى بقيّة من جهد ،ولابقيّة من طاقة ،ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند الله ، فينجو الذين يستحقون النجاة ، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين ، وينجون من البطش والتعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون، ويحلّ بأس الله بالمجرمين،مدمرا ماحقا لايقفون له ،و لايصده عنهم وليٌّ ولا نصير، ذلك كي لا يكون النصر رخيصا فتكون الدعوات هزلا...)).(2)

((وهكذا حياة أصحاب الرسالات من الأنبياء و الرسل،والقادة،والمصلحين..إنها زرع وحصاد،وإنه بقدر الجهد المبذول في الزرع ،وبقدر العناء والمكابدة في الغرس ،والسقي والرعاية، يكون الثمر ،كثرة وطيبا...)).(3)

---

(1) سورة يوسف/الآيات من 109إلى110.

(2) سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:2036.

(3) عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص494.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الخامس: بيان قدرة الله على الخوارق

إن القصص القرآني من أغراضه الدينية العقائدية بيان قدرة الله على الخوارق، والمعجزات التي يجريها على أيدي أنبيائه، وأصفيائه ؛حيث نجد ذلك في ((قصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منه جزءا.وقصة (الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها) وقد أحياه الله بعد موته مائة عام)).(1)

وهو أيضا مانجده في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ؛حيث أجرى الله على يديه وبواسطة قميصه، معجزة استرداد بصر أبيه بعد أن فقده تماما.

وكيف لا، والقرآن يصرّح أن يعقوب ـ عليه السلام ـ ابيضت عيناه من شدة الحزن على يوسف﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.(2) وبياض العين كما هو معروف علميا هو ذهابها تماما أي عدم الإبصار بها إطلاقا. وتأتي المعجزة بأمر يوسف لإخوته﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا..﴾(3)

وتتحقق المعجزة ميدانيا بعد أن وصل البشير إلى يعقوب ـ عليه السلام ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...﴾.(4)

((كيف عرف يوسف أن رائحته سترد على أبيه بصره الكليل؟ذلك مما علمه الله. والمفاجأة تصنع في الكثير من الحالات فعل الخارقة ...ومالها لاتكون خارقة ويوسف نبي رسول ويعقوب نبي رسول؟)).(5)

((إنها آية من آيات الله أجراها الله سبحانه وتعالى بين يدي نبيين كريمين يعقوب،ويوسف)).(6)

وذلك غرض عقدي من أغراض قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:155.

(2)سورة يوسف/الآية:84 .

(3) سورة يوسف /الآية:93 .

(4)سورة يوسف/الآية:96.

(5)سيد قطب ،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:2027.

(6)عبد الكريم الخطيب ،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:484.

الفرع السادس:تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان

إن القصص القرآني في عمومه يهدف إلى تنبيه أبناء آدم لعدوهم الأزلي وهوالشيطان. ذلك العدو الذي لايرى بالعين المجردة ولكن يتلمس الإنسان آثاره في واقعه وحياته. ((وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى ،وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعوإلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لايريد بالناس الخير)).(1)

وإذا كان ذلك هو الحال مع القصص القرآني عموما .فكيف استطاعت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أن تبرز هذه الظاهرة؟

إن المتتبع لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ يجد أن الشيطان ورد باسمه ثلاث مرات ،ووقع التحذير منه بصيغ مختلفة،ونلتمس ورود الشيطان في مواقع متعددة من القصة،ولكن دون ذكر اسمه.

ـ أما الآيات الذي ذكر فيها اسم الشيطان صراحة فهي :

1ـ ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(2)

أي ((أن الشيطان عدو لآدم وبنيه ،ظاهر العداوة ،فاحذر أن يغري إخوتك بك)).(3) وهنا نجد أن التحذير من الشيطان جاء قبل فعل فعلته.

2ـ ﴿ ...مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي...﴾(4) أي((من بعد أن أفسد الشيطان و أغوى بيني وبين إخوتي)).(5)

ويأتي ذكر الشيطان في هذه الآية في شكل تحسّر من يوسف على أن الشيطان استطاع أن يوقع إخوته في شباكه.من بعد ما حذره أبوه في الآية الأولى من غوايته.

---

(1) سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**، ص:154.

(2) سورة يوسف/ الآية: 5.

(3) محمدعلي الصابوني وصالح أحمدرضا،**مختصرتفسيرالطبري**(ط2؛الجزائر:مكتبة رحاب،1987م)، ج2، ص:391.

(4) سورة يوسف/الآية:100.

(5) محمد علي الصابوني وصالح أحمد رضا،**المرجع السابق**،ج2 ،ص410.

وبذلك تكون هذه الآية تعقيبا على الآية الأولى.ويكون التحذير فيهامن الشيطان بصورة أخرى تحمل البعد المستقبلي...أي أنه من لم يحذر الشيطان فسيقع دائما في حباله...

3-﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ،فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.(1)

فأنساه الشيطان ذكر ربه؛النسبة تعود((على الناجي،كما قاله مجاهد وغير واحد،ويقال إن الضميرعائد على يوسف -عليه السلام- رواه ابن جريرعن ابن عباس ومجاهد أيضا)).(2)

ومهما كانت النسبة فإن الذي يعنينا في هذا المقام ، أن الشيطان فعل فعله المتمثل في النسيان وهو تنبيه خفي للإنسان حتى لايبقى عرضة للشيطان بكثرة نسيانه.

ومن الآية الأولى﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(3) نستشف ((أن أعمال الكيد التي يقوم بهاالناس - قريبهم وبعيدهم - تجاه الحق والصدق والتقوى،إنماالشيطان هو(بطلها) الحقيقي.وهذه علاقة بالغة الدلالة لرصد بطولات الشيطان في كل مواطن التأزم والكيد في القصة وفي تسلسل الحوادث)).(4)

وأماالآيات التي نتلمّس فيها دورا للشيطان،ونتلمّس فيها أيضا تحذيرا ضمنيا،فهي كثيرة والوسيلة التي تساعدنا على استكشافها هي ((أن السرج الذي يركبه الشيطان من الإنسان هو في الأعم الأغلب النفس)).(5)

ونكتفي في هذا المقام بسرد بضع آيات لاستبيان هذا الغرض:

1-﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ،إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.(6)

---

(1)سورة يوسف /الآية:42.

(2)محمدعلي الصابوني،**مختصر تفسيرابن كثير**(ط:7؛بيروت:دار القرآن الكريم،1981م) ج2،ص:251.

(3) سورة يوسف /الآية:5.

(4)محمدعلي أبوحمده،**في التذوق الجمالي لسورةيوسف**(عين مليلة/الجزائر:دارالهدى، 1992م)،ص:32.

(5)محمدعلي ابوحمده،المرجع السابق،ص:32.

(6)سورة يوسف/الآية:8.

ويتضح من خلال الآية ،دور الشيطان في إذكاء هذه النعرة في نفوس الإخوة ضد أخيهم الأصغر،وأبيهم أيضا؟.

2- ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾(1)

وكأني - من خلال هذه الآية أسمع الشيطان يتكلم على ألسنة إخوة يوسف.ويدبر لهم المكيدة كاملة.

3- ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ،قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.(2)

يعقوب - عليه السلام - بفطنته النبوية يشتم رائحةالمؤامرة،وينسبهامباشرة إلى أنفس أبنائه المعرضة - طبعا - إلى ركوب الشيطان.

4- ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ،قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.(3)

وفي هذه الآية نجد الشيطان قد تمكن أي ما تمكن من نفس امرأة العزيز،ولكنه بالمقابل صُدَّ صدا شديدا عن نفس يوسف - عليه السلام - .

والواقع أن المتتبع لما جرى في قصر العزيز.من طرف امرأته،ونسوة المدينة.يرى الدور البارز الذي لعبه الشيطان، في حبك المؤامرات للإيقاع بيوسف - عليه السلام - في مستنقع الرذيلة. ذلك أن (((الخط البياني)لحياة امرأة العزيز وطريقة تفكيرها،وموقعها الاجتماعي،ومركزها الوظيفي قد كان يؤذن أن تكون المرأة ودودة رحيمة ذكية القلب والروح،طائعة لزوجها راجحة العقل،متزنة الشخصية؛ولكن الانكسار الحاد المفاجئ في هذا الخط يشير حتما إلى (أصابع) خفية قد كانت وراء هذا الانكسار)).(4)

---

(1)سورة يوسف/الآية :9.

(2)سورة يوسف/الآية:18.

(3)سورة يوسف/الآية:23.

(4) محمدعلي أبوحمدة،**في التذوق الجمالي لسورة يوسف** ،ص:33.

كيف لا ونحن نجد الشيطان يعلن عن نفسه؟ـ إذا جاز التعبير ـ في اعتراف امرأة العزيز (الكامل) أن النفس أمارة بالسوء...﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ*ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ* وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.(1)

ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.(2)

ونلمس كيد الشيطان كذلك في الرد الثاني ليعقوب على أبنائه.((فالشيطان قد ركب هذه المرة أيضا النفوس فسوّل لها أمرا.وإذن فبطل هذا اللّغز هو بطل ذلك اللغز هو الشيطان وإذا فضياع الأخ من الأب وضياع يوسف إنما هما وجهان لعملة واحدة،أو قل هي خطة واحدة في البداية والنهاية، وبطلها الشيطان)).(3)

ومما سبق نجد أن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ كان من بين أغراضها التركيز على مكائد الشيطان،وعلى الفضاعات التي يتحرك من خلالها.بغية تنبيه بني آدم إلى خطورته عليهم وتحذيرهم من الوقوع في شباكه.

خاصة أن من وقعوا في شباكه من خلال القصة أصبحوا في النهاية نادمين .فهذه امرأة العزيز،ونسوة المدينة يعلنن ندمهن وتوبتهن .

وهؤلاء إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ يطلبون الصفح والمغفرة ، من أخيهم ، وأبيهم.

ويعلنون صراحة أنهم كانوا مخطئين.

تلك إذا قصة الشيطان مع الإنسان ترتسم من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

---

(1)سورة يوسف/الآية: 51إلى53.

(2) سورة يوسف/الآية:83.

(3)محمدعلي أبوحمدة،في التذوق الجمالي لسورة يوسف،ص:33.

الفرع السابع: الدعوة إلى بعض أركان العقيدة الإسلامية

إضافة إلى المحاور العقدية التي دأبت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ على تثبيتها،فقد دعت أيضا إلى بعض أركان العقيدة المتعارف عليها ،نذكر منها مايلي:

1ـ الدعوة إلى الإسلام:

إن المتتبع لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ يلتمس حقيقةبدون عناء تتمثل في دعوةهذاالنبي الكريم للإسلام.لمن كان حوله آنذاك،ولمن قرأ قصته من بعد . ونلمس ذلك جليا من خلال الآيتين التاليتين:

1ـ﴿...ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾.(1) لم يتردد يوسف عليه السلام أثناء دعوته لصاحبي السجن عن وصف ما يدعوهم إليه بأنه (الدين القيم)،وهوالدين الذي اتبعه آباؤه من قبل﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَاءِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾.(2)ولنتبين حقيقة هذا(الدين القيم) الذي دعاهم إليه.وماعلاقته بالإسلام الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟.

يفصح لنا سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ عن اسم هذا الدين بصراحة في الآية الموالية:

2ـ﴿ ...تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.(3)وهكذا نجد يوسف في تمام قصته وتمام النعمةعليه،يتوجه إلى ربه مبتهلا،وشاكراوراجيا منه.أن يميته علىالدين القيّم وهو الإسلام .

2ـ الدعوة إلى التوحيد:

وإذاكان التوحيد(4)هوالركن الأساس في أركان العقيدة الإسلامية وهو((القاعدةالأولى في الإسلام التي يجب أن يؤمن بهاقلب المسلم، وينطق بهالسانه بقوله (أشهد أن لاإله إلا الله))).(5)فإن قصة يوسف تدعوإليه من خلال عدة محاور ((وسوق الأدلةعلى التوحيدفي سياق قصةيجعله يسري إلى النفس من غير مقاومة)).(6)

---

(1) سورة يوسف/الآية:40 (2)سورة يوسف /الآية:38. (3)سورة يوسف/الآية:101

(4) ((التوحيد في عرف الشرع،نفي المثل والكفءعن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته عز وجل)) ذكره:أبو بكر جابر الجزائري،**عقيدة المؤمن** (القاهرة:دار الكتب السلفية،1985م)،ص66

(5)عفيف عبدالفتاح طبارة،**روح الدين الإسلامي**(بيروت:دارالعلم للملايين،1985م)،ص93

(6) محمدأبو زهرة،**المعجزة الكبرى<القرآن>**(بيروت :دار الفكر)،ص177.

أ- الدعوة إلى الإيمان با لله:

وتنكشف لنا هذه الدعوة من خلال نكران يوسف ـ عليه السلام ـ لفعل القوم الذين تركهم.والمتمثل في كونهم لايؤمنون با لله﴿...إِنِّيَ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ بِا للَّهِ..﴾.(1)

وكما هو معلوم لغويا بأن الشيء يعرف بضده،فإن مضمون الدعوة التي أراد أن يوجهها ـ يوسف ـ عليه السلام ـ هي: الدعوة إلى الإيمان با لله، وهذا الأسلوب يعدّ من اللّفتات الفنية التي سنكشف عنها مستقبلا من خلال البحث ـ حيث يستعمل الغرض الفني وسيلة لتبليغ الغرض الديني.

ب ـ الدعوة إلى عبادة ا لله وحده:

وتتجلى لنا هذه الدعوة من خلال قوله تعالى ـ على لسان يوسف، وهو يدعو صاحبي السجن ـ :﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ا للَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ. إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴾.(2)

من خلال الآية الكريمة. يتضح لنا أن مصطلح العبادة قد ورد مرتين .

فالمرة الأولى ورد في صيغة الإنكار (أي إنكار عبادة غير ا لله)﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم...﴾(3).وهي دعوة ضمنية لعبادة ا لله وحده ،انطلاقا من مفهوم المخالفة. والمرة الثانية ورد مصطلح(العبادة) في صيغة تقرير،وأمر لعبادة ا لله وحده.﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ،أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ... ﴾.(4)

فالعبادة التي أمر ا لله بها كان المقصود بها ((هو الدينونة لله وحده ،والخضوع له وحده واتباع أمره وحده ،سواء تعلق هذا الأمر بشعيرة تعبدية ،أوتعلق بتوجيه أخلاقي أوتعلق بشريعة قانونية،فالدينونة لله وحده في هذا كله هي مدلول العبادة التي خص الله ـ سبحانه ـ بها نفسه ،ولم يجعلها لأحد من خلقه)).(5)

---

(1)سورة يوسف/الآية:37.

(2)(3)(4)سورةيوسف /الآية:40.

(5)سيد قطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص:1991.

جـ ـ الدعوة إلى الاحتكام إلى الله وحده:

وهذه الدعوة تتجلّى لنا أيضا، من خلال الآية السابقة التي يقول فيها المولى ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ :﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ... ﴾.(1)

وهو تقريرحازم أن الحكم لايكون إلا لله ((فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته سواء ادعى هذا الحق فرد،أو طبقة ،أو حزب،أو هيئة ،أوأمة،أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية...فالناس بجملتهم لايملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده. والناس إنما يزاولون تطبيق ماشرعه الله بسلطانه ،أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان له ولاشرعية وما أنزل الله به من سلطان)).(2)

د ـ التحذير من الشرك والكفر:

وإذا كانت القصة تتضمن صيغة الدعوة إلى الإيمان بالله وإلى عبادة الله،وإلى الاحتكام إليه.لتحقيق المفهوم المتكامل لمعنى التوحيد .

فإنها تتضمن أيضا صيغة التحذير والترهيب، من الشرك والكفر؛ اللّذان يخرجان العبد من دائرة الإيمان والتوحيد . ويتجلّى لنا ذلك من خلال الآيات التالية:

1ـ ﴿...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(3)إن يوسف قد ترك ((عبادة تلك المعبودات الفاسدة الضالة التي يعبدها أولئك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر من المشركين والملحدين....)).(4)

وهوتعبير صريح يحمل في طياته التحذير مماوقع فيه هؤلاء القوم من شرك وكفروإلحاد.

2ـ ﴿...مَاكَانَ لَنَاأَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾.(5)

وهي صيغة توحي باستحالة وقوع يوسف ـ عليه السلام ـ وآبائه في هذا الذنب العظيم وهو الشرك بالله.

---

(1)سورة يوسف/الآية:40.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص:1990.

(3)سورة يوسف/الآية:37.

(4)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:445.

(5)سورة يوسف/الآية:38.

ـ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ،أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.(1)

إن يوسف ـ عليه السلام ـ من خلال هذه الآية يوازن بين الشرك والتوحيد.في صيغةسؤال((وهوسؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزّها هزا شديدا ..إن الفطرة تعرف لها إلها واحدا ففيم إذن تعدد الأرباب؟....والله الواحد ألقاهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدين للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلة القاصرة العمياء عن رؤية ماوراء المنظور القريب ـ كالشأن في كل الأرباب إلا الله ـ .....)).(2)

فالجواب إذن: محسوم لصالح التوحيد ، وماعلىالإنسان إلاأن يبتعد عن الشرك ويهجره تماما.

ـ﴿يَابَنِيَّ إِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَايَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.(3)

إن يعقوب ـ عليه السلام ـ وهو يوصي أبناءه بأن لا ييأسوا من رحمة الله (في البحث عن أخيهم يوسف وشقيقه) .أكدّ لهم أن هذه الصفة(اليأس من رحمة الله) هي صفة الكافرين...

((أما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله ،الندّية أرواحهم بروحه الشاعرون بنفحاته المحيّية الرّخية ،فإنهم لاييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب واشتد بهم الضيق ...)).(4)

وكأني بيعقوب ـ عليه السلام ـ يحذر أبناءه من الكفر إذا هم استسلموا لليأس في البحث عن أخويهم .

---

(1)سورة يوسف/الآية:39.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن،ج4**،ص:1989.

(3) سورة يوسف/الآية:87.

(4)سيد قطب،المرجع السابق ،ج:4،ص:2026.

3 ـ الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

إن هذا الركن من أركان العقيدة قد أخذ حقه أيضا من قصة يوسف ـ عليه السلام ـ . حيث ورد تأكيده في أربعة مواضع من السورة الكريمة .ولايخلو كل موضع من الدعوة الصريحة إلى الإيمان باليوم الآخر، وهذه المواضع هي:

1ـ ﴿...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.(1)

إن يوسف ـ عليه السلام ـ يصف القوم الذين تركهم و لم يتّبعهم .بأنهم لايؤمنون بالله وبأنهم أيضا يكفرون باليوم الآخر.

((وذِكْرَ الآخرة هنا في قول يوسف ـ عليه السلام ـ يقرر..أن الإيمان بالآخرة كان عنصرا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعا...)).(2)

2ـ ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.(3)

وهي دعوة صريحة للمؤمنين ،والمتقين،بأن ينتظروا الأجر الوفير في الآخرة .وجاءت هذه الآية تعقيبا على الأجر الدنيوي، الذي تلقاه يوسف ـ عليه السلام ـ بعد تمكينه في الأرض ((وهذا شأن الله في عباده الصالحين يهب نعمته لمن يختاره منهم ،ويثبتهم في الدنيا على الإحسان الذي صنعوه،ثم إن ثواب الله في الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا وكانو يتقون ربهم)).(4)

والذي يعنينا من هذا،هو ترغيب المؤمنين في أجر الآخرة ،ومن باب أولى دعوتهم للإيمان باليوم الآخر..

3ـ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ،فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.(5)

---

(1)سورة يوسف /الآية:37.

(2)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:1988.

(3)سورة يوسف/الآية:57.

(4)عفيف عبد الفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن الكريم**(ط:14؛بيروت:دار العلم للملايين ،1985م)ص:173.

(5)سورة يوسف/الآية:101.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وها هو يوسف في محراب الابتهال يسأل ربه أن يتولّى أمره في الدنيا والآخرة ،وهي دعوة ضمنية أيضا للإيمان باليوم الآخر.

ـ ﴿...وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.(1)

وتأتي هذه الآية كذلك في معرض التعقيبات على قصة يوسف ـ عليه السلام ـ،لتؤكّد بأن ((الآخرة خير للذين اتقوا ربهم،بأداء فرائضه،واجتناب معاصيه))(2)،وهي دعوة صريحة إلى الإيمان باليوم الآخر والإعداد له .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)سورة يوسف/الآية:109

(2)محمدعلي الصابوني وصالح أحمد رضا،**مختصر تفسير الطبري** ،ج1،ص412.

ـ الدعوة إلى الإيمان بالقدر ـ خيره وشره ـ :

إن الدعوة إلى الإيمان بالقدر من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تتجلّى لنا من خلال الآيتين التاليتين:

1ـ﴿ وَقَالَ يَابَنِيَّ لَاتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ،وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ،إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.(1)

((يقول يعقوب لبنيه هذا القول،وينصح لهم به ، وهو على إيمان ويقين بأن ذلك التدبير الذي دبر لهم،لايغني عنهم من قدرا لله وقضائه شيئا،وأن ماقدره الله تعالى كائن لامحالة. ولكنه كإنسان مطلوب منه أن يفكر ،ويفكر،ويأخذ بالأسباب التي يراها جالبةخيرا أو دافعة شرا)).(2) قال ابن العربي:((وهذالايرد القدر إنما تستأنس به النفوس...)).(3)

وحكم الله الوارد في الآية ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾((يعني هنا حكم الله القدري القهري الذي لامفرمنه ولافكاك ، وقضاؤه الإلهي الذي يجري به قدره فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئا .وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره)).(4)

2ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَاكَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّاحَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا،وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.(5)

يعقوب ـ عليه السلام ـ اتخذ أسباب الحيطة،والحذر؛ ويعلم أنها لاترد قضاءا ولاقدرا . ((ثم لايمنع هذا من أن تجري الأمور على خلاف مافكر المرء وقدر)).(6)

وهو درس عملي لكل المؤمنين في كل زمان ومكان ... حتى يأخذوا المفهوم الصحيح للقضاء والقدر و لا يبقوا مكتوفي الأيدي ؛ إنما عليهم تقديم الأسباب الظاهرة ، وترك النتائج تؤول إلى ماقدره الله تعالى.

---

(1)سورة يوسف/الآية :67.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:464.

(3) محمد بن العربي،**أحكام القرآن**(بيروت:دار الجيل)،ج3،ص1094 .

(4)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:2017.

(5)سورة يوسف /الآية:68.

(6)عبد الكريم الخطيب،**المرجع السابق**،ص:464.

المطلب الثالث:الدعوة إلى الفضائل و التحذير من الرذائل

تمهيد:

قصة يوسف ـ عليه السلام ـ من أغنى القصص القرآني في مجال توجيه العظات والإرشادات الدينية.التي تسمو بالمرء من مستنقع الرذائل إلى رحابة الفضائل((فنجدها تفيض بالجمل المعترضة، التي تنبه القارئ إلى العبرة والعظة.كلما أوشكت أحداث القصة ومشاهدها المثيرة أن توقعه في غفلة وذهول عنها)).(1)

ذلك، لأن القصة لم تنسق وراء سرد الأحداث الجافة بدون عبرة ولا موعظة . إنما صيغت بروح الموعظة و العبرة ،ودبجت بالجمل والعبارات الإرشادية، التي تتوجه من القاص إلى السامعين أو القارئين .

وهذه القصة هي((مورد غزير المادة لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة الطاهرة ، ويشرح الاستقامة على المبادئ الحقةوأثرها في النفس.وموضع درس عميق في علم النفس. ولايكون العالم النفسي مسرفا إذا وضع في الأخلاق وعلم النفس كتابا كبيرا وافيا،مرجعه فيه((سورة يوسف ــ عليه السلام ــ)) ،وجعل أحوال يوسف وما حصل منه وله موضع تطبيقها ...)).(2)

والباحث في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ يجدها معينا لاينضب، في الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة .ويصعب عليه استقصاء كل الفضائل التي احتوتها . وعلى هذا الأساس سنحاول تسليط الأضواء على أهم الفضائل،والرذائل،التي وردت في القصة بنوع من الاقتضاب والاختصار؛ لأن التفصيل فيها كما قال فضيلة الأستاذ عبد الوهاب النجار. يقتضي كتابا كبيرا وافيا...

مع التنبيه قبل بداية التفصيل في هذا المبحث؛أن جملة الفضائل التي سنذكرها لاتكون بالضرورة ضمن العناصرالمصطلح عليها بـ(علم الأخلاق)،إنما هي مجموعة من الفضائل وردت في القصة ،بصورة أو بأخرى حريّ بكل مسلم أن يأخذبها في حياته اليومية.

---

(1)محمد سعيد رمضان البوطي،**منهج تربوي فريد في القرآن** ،ص:58.

(2)عبد الوهاب النجار،**قصص الأنبياء**(بيروت دار الفكر)،ص:196.

الفرع الأول: فضائل العلم

1- الدعوة إلى العلم:

إن مصطلح العلم ورد كثيرا في القصة الكريمة ،والذي يفهم من خلال السياق العام للآيات،أن القصة تدعوا إلى فضيلة العلم ،والتعلم.وإليك الآيات التالية:

- ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾.(1)
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.(2)
- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾.(3)
- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي.﴾.(4)
- ﴿....وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.(5)
- ﴿...لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.(6)
- ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.(7)
- ﴿...وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(8)
- ﴿...وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا،وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.(9)
- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(10)
- ﴿...قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(11)
- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾.(12)

ومما يلاحظ من الآيات السابقة ،أن صفة العلم؛إما أن تكون نعمة يمن الله بها على بعض عباده،أو صفة يزكي بها المرء نفسه،أو حجة يحتج بها عند الحاجة ،أو نعمة يشكر بها العبد ربه.

وأين ماكان موقعها، فإن القصة تدعوا ضمنيا إلى طلب العلم،والتحلي به...

---

(1)(2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11)(12):سورةيوسف/الآيات:

(6)(22) (21) (37) (44) (46) (55) (68) (81) (8 6) (96)(101)

2ـ **الدعوة إلى عدم ادعاء العلم بغيرعلم**:ونلتمسها من خلال رد المستشارين على ملكهم ﴿...وَمَانَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.(1)

3ـ **الدعوة إلى احترام أهل الاختصاص(في العلم)**:ونلتمسها من خلال قول صاحب السجن:﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.(2)

4ـ **دعوة الحكام إلى احترام أهل العلم وتقديمهم على غيرهم في الحكم**:

ونستشف ذلك من خلال قول الملك،بعد تفسير الرؤيا:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.(3)((قال أبوالأسود:ليس شيء أعز من العلم،الملوك حكام على الناس ،والعلماءحكام على الملوك...)).(4)

5ـ **دعوة العالم إلى تزكية نفسه للحكم**:وخاصةإذاتصف بصفةالحفظ والأمانة ونلمس ذلك من قول يوسف للملك ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(5)

الفرع الثاني: فضائل الأدب مع الله

إن القصة تضمنت عددا لا بأس به من فضائل الأدب مع الله. نوردها على الشكل التالي:

1ـ **الاستعانة با لله عند الشدائد والمحن**:وهذا الأدب الرفيع يتجلّى لنامن خلال موقف يعقوب ـ عليه السلام ـ عندما ألمّت به محنة اختفاء ابنه يوسف،وادعاء أبنائه بأن الذئب قد أكله؛حيث يلجأ إلى الله بقوله:﴿...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.(6) وهونفس الموقف الذي يكرره عند اختفاء ابنه الآخر بقوله لأبنائه:﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.(7)

2ـ **دعاء الله عند الحاجة**:ويتضح ذلك جلياً من خلال دعوة يوسف لربه بأن يثبّته ويخرجه من فتنة الغراية.

---

(1)سورة يوسف/الآية:44 . (2) سورة يوسف/الآيتين:45،46 (3)سورة يوسف/الآية:54.

(4)أبوحامد الغزالي،إحياء علوم الدين(بيروت:المكتبة العصرية،1992م)ج1،ص13.

(5)سورة يوسف/الآية:55 . (6)سورةيوسف/الآية:.18 (7)سورة يوسف/الآية:83.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.(1)ولأن الله تعالى لايوجد بينه وبين عباده حاجب إذا ما دعوه...

جاءت الإستجابة ليوسف مباشرة بعد دعائه﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.(3)

3ـ **الاستغفار من الذنب**:ويتضح لنا ذلك من خلال دعوة امرأة العزيز ؛ بأن تستغفر لذنبها الذي ارتكبته ضد يوسف﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.(4)

وكذلك من خلال طلب إخوة يوسف من أبيهم بأن يستغفر لهم ذنوبهم﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾(5).

4ـ **التوكل على الله**:ونلمس ذلك عند يعقوب ـ عليه السلام ـ بعدما نصح أبناءه بألا يدخلوا من باب واحد،ويدخلوا من أبواب متفرقة حيث عقب على نصيحته لهم بقوله: ﴿...إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(6).

5ـ **الأمل في الله**:ونلمسه أيضاعند يعقوب ـ عليه السلام ـ(وكيف لاوهو النبي القدوة).

وذلك حينماربط أملا في الله بأن يأتيه بأبنائه.بقوله:﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(7)

((ولاتيأسنَّ هذه الأمةمن روح الله،أي رحمته،لقوله تعالى:إنه لايأس من روح الله إلا القوم الكافرون.)).(8)

وأيضا عندما طلب من أبنائه،أن يتحسّسوا من يوسف وأخيه،وأن لاييأسوا من رحمة الله بقوله:﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.(9)

---

(1)سورة يوسف/الآية:33 (3)سورة يوسف/الآية:34 (4)سورة يوسف/الآية:29

(5)سورة يوسف/الآية:97 (6)سورة يوسف/الآية:67 (7)سورة يوسف الآية:83

(8)علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ،**نهج البلاغة**،(بيروت:مؤسسة المعارف)،ص:766

(9)سورة يوسف/الآية:87

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- **الشكوى إلى الله**:موقف إيماني آخر ،يصدر من يعقوب - عليه السلام -؛حيث يلتجئ إلى الله بالشكوى .بعدأن ضاق به،من حوله من أبنائه وذويه.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(1)

7- **شكر الله على النعم**:إن فضيلةالشكر* لايلقاها إلا القليل من الناس، ولكن يوسف ←

- عليه السلام - كان إمام الشاكرين لله على نعمائه ؛حيث يلتجئ إلى الله شاكرا حامدا، وهو في عز النعماء،والعظمة.فيقول:﴿...وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ،وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾إلى أن يقول﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.(3)

8- **التقوى**:والقصةتدعوإلى تقوى الله عزّ وجلّ،وتحث عليها،وتبين عاقبتها على المؤمن.

ذلك أن((مكانةالتقوىوأهميتها في دين الله حتى كأنها هي الكلمةالجامعة للتكليف)).(4)

ومن هنا أكدت القصة على أن أجر الآخرة لايكون إلا للمؤمنين المتقين﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.(5)وأكدت أيضا على أن المؤمن المتقي ينال أجره في الدنيا قبل الآخرة،ويتضح ذلك من خلال قول يوسف لإخوته:﴿...قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(6)

الفرع الثالث:فضائل الأدب مع الوالدين:

إن القصة ترسم لنا نموذجين،لعقوق وبر الوالدين.

1- **عقوق الوالدين**:هذا النموذج يظهرفي أبناء يعقوب ؛حيث نجدهم يستعملون كل الوسائل .التي لاتظهر برهم وطاعتهم لأبيهم، ونستمع إليهم وهم يخاطبونه بهذه اللهجة الحادة، التي لاتحمل معها ذرة من ذرات الطاعة والبر.

---

(1)سورة يوسف/الآية:86.

(2)،(3) سورة يوسف/الآيتين:100،101.

(4)سعيدحوى،**المستخلص في تزكيةالأنفس**(الجزائر:دارالسلام ،1992م)ص:299 .

(5)(6)سورة يوسف /الآيتين:57،90.

*قال رسول الله(ص):((إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها)) رواه مسلم. أورده:محي الدين النووي،**رياض الصالحين**(بيروت :المكتبة العصرية،1995م)،ص425.

﴿قَالُوا تَا اللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.(1)

﴿قَالُوا تَا اللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.(2)

2- **برّ الوالدين**:أما النموذج الثاني فيتمثل في يوسف ـ عليه السلام ـ ؛حيث يمثل قمة البر بالوالدين والعطف بهما.

وننظر معا إلى هذه المشاهد الحية،التي يصورها القرآن في تعامل يوسف مع والديه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ *وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.(3)

الفرع الرابع:فضائل المعاملة مع الناس

كما أوردت القصة أيضاجملة من الفضائل؛ تتعلق بحسن المعاملة مع الناس،وهو مايعرف بالأخلاق العامة.نوردها كما يلي:

1- **الصبر**:لقد كان خلق الصبر في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بارزا أشد البروز.وقد تحلى به النبيان الكريمان،يعقوب،ويوسف ـ عليهما السلام ـ .

لقد صبر يعقوب ـ عليه السلام ـ في محنته الأولى على أبنائه بقوله لهم:﴿..قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا،فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.(4)

وبقي صابرا إلى أن جاءته المحنة الثانية بفقدان ابنه الثاني.فلم تزده إلا صبرا على صبروهاهو يردد نفس المقولة على أبنائه﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا...﴾.(5)

وبقي ثابتا على صبره إلى أن جاءه الفرج؛بارتداد بصره،وعلمه بحال يوسف ،وأخيه.فما كان قوله؟

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾(6).

---

(1) سورة يوسف/الآيتن :85.

(2)سورة يوسف/الآية:95.

(3) سورة يوسف/الآيتين:99،100.

(4)سورة يوسف/الآية:18.

(5)سورة يوسف/الآية:83.

(6)سورة يوسف/الآية:96.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنه اطمئنان المؤمن بفرج الله...أما يوسف ـ عليه السلام ـ فقد دخل عالم الابتلاء وهو غلام. وظل يواجه الابتلاء بعد الآخر بالصبر.حيث ((تبتدئ حياة يوسف بانسلاخه من أهله وإلقائه في البئر،ثم إنقاذه؛ والعيش بعيدا عن أهله مع ما في ذلك من ألم مكبوت على فراق أهله وكيد إخوته،ثم تأتي مرحلة قاسيةعليه وهي زجه في السجن ظلما وعدوانا جزاء أمانته)).(1) ولكن يوسف لم يبال بهذه المحن،وكان سلاحه ضدها الصبر على البلاء إلى أن جاءه الفرج:حيث نستمع إليه وهو يعاتب إخوته عتابا خفيفا بقوله:﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(2)

ولذلك قال العلماء:((اعلم أن من حسن التوفيق وأمارة السعادةالصبر على الملمات)).(3)

2ـ **الإحسان:**لقد دعت قصة يوسف إلى فضيلة الإحسان في التعامل مع الله،ومع الخلق. والإحسان ضد الإساءة،ويأتي بمعنى إتقان العمل.

والملفت في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أن صفة الإحسان أطلقت على شخص سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ فقط.في خمسة مواضع من القصة.

ـ فقد وصفه الله تعالى بهذه الصفةمرتين:

الأولى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ...﴾.(4)

((فيوسف لم يؤت العلم والحكمة محاباة بل لسابق إحسانه...)).(5)

الثانية:﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(6)((فهذه الآية وعد إلهي بأن من كان محسنا مكّنه الله في الأرض.وأصابه برحمته فليس هذا العطاء متعلقا بالشخص ولكنه مرتبط بالوصف)).(7)

فالله تعالى قدشهد ليوسف بالإحسان مرتين.

---

(1)عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن**،ص:192.

(2) سورةيوسف/الآية:90 .

(3)أبوالحسن الماوردى،**أدب الدنيا والدين**(بيروت:المكتبة الثقافية)،ص277.

(4) سورة يوسف/الاية:22

(5)عفيف عبدالفتاح طبارة،المرجع السابق،ص:193.

(6)سورة يوسف/الآية:56.

(7)عفيف عبدالفتاح طبارة،المرجع السابق،ص:193.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ وقد وصف يوسف بالإحسان من غير الله ،مرتين كذلك:

الأولى:وصفه بها صاحبا السجن عندما طلبا منه تأويل رؤيتيهما﴿إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(1)

وهي شهادة توحي بأن صاحبي السجن،ما شهداهاإلابعد أن عاشرا يوسف ،والتمسا منه الإحسان في المعاملة.

الثانية:وصفه بهاإخوته حينما كانوا يتّجونه بأن يأخذ أحدهم مكان أخيه.وعقّبوا على رجائهم: ﴿...إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(2)،وهي شهادة أيضا توحي بأنهم؛لمسوامنه حسن المعاملة، وحسن السلوك.

ـ فتلك مواضع أربع ،أما الموضع الخامس،فقد وصَفَ يوسف نفسه بالإحسان،وهو في موضع تعداد نعم الله عليه.وذلك بقوله :﴿...قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(3)

وهو إقرار لما وصفه الله تعالى به في الآية الثانية﴿لَانُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(4)((فما أحلى وقعها على النفس فهي بلسم لأصحاب النفوس السامية المحسنة وحافز لهم للاستمرار في كفاحهم في سبيل الإحسان)).(5)

3ـ **العفة:**إن أعظم درس تقدمه لنا قصة يوسف ـ عليه السلام ـ هو:العفة ،وعدم الوقوع في الفاحشة.

ذلك أن الموقع الذي كان فيه يوسف ـ عليه السلام ـ لايثبت فيه إلا ذووا الإيمان العميق؛حيث تهيئ له امرأة العزيز كل أجواء الإغراء، وتعرض نفسها عليه مباشرة (هيت لك) ويكون رده الحاسم.

في الآية الموالية:

---

(1)سورة يوسف/الآية:36.

(2) سورة يوسف/الآية:78.

(3) سورة يوسف/الآية:90.

(4) سورة يوسف/الآية:56.

(5) عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن الكريم**،ص:193.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.(1)

((بهذا الأسلوب الرصين الوديع كان رد يوسف على مادعته إليه امرأة العزيز)).(2) إنه موقف جدير بالتسجيل ،والتمعن ،وكيف لا ،وامرأة العزيز((تدعوه إلى نفسها فيعرض ،وتلح عليه فيرفض ـ أرادت قسره على مافيه السعادة ظاهرا فأبى،ونازعته ثوبه فنبا. استمساكا بمبدأ العفاف والتقوى)).(3)

وبذلك يسجل يوسف ـ عليه السلام ـ ((درسا في العفة وفي مغالبة الشهوة والانتصار عليها مما يعتبرأعظم مثل يمكن أن يقتدي به الكثيرون الذين يبتغون السمو الإنساني)).(4)

ومن الضروري أن نذكر في هذا المقام.أن الكثير من الناس يظنون بأن قصة يوسف :هي قصة غرامية؛فنجد بعضهم يتلذذ بتكرارها في الأغاني والقصص،وبعضهم ينصرف عنها ولايعدها من القرآن.

والحقيقة التي يجب الوقوف عليها؛((أن الدين لايتنكر للحديث عن الجوانب العاطفية في حياة الإنسان.بما في ذلك قصص الغرام والحب.التي يعيشها الناس،إذا كانت تخدم الأهداف الرساليه،باعتبارهاتمثل موقفامن مواقف الانتصارعلى النفس في نوازعهاالغريزية وشهواتها الجنسية ...لتعطينا النموذج الواقعي للإنسان الذي ينسجم مع رسالةالله،كدليل حي على واقعية الإسلام في شريعته ومفاهيمه)).(5)

فلن تجد في الإسلام ((الرهبانية التي يضيق الناس ذرعا بها، ويتحرجون من صرامتها. كما أنك لن تجد فيه الحيوانية القائمة على عبث الشهوات ومطاوعة الأهواء)).(6)

---

(1)سورة يوسف/الآية:23.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه**،ص:426.

(3)عبد الوهاب النجار،**قصص الأنبياء**(بيروت،دار الفكر)،ص:198.

(4)عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن**،ص:191.

(5) محمدحسين فضل الله،**الحوارفي القرآن**،ج2،ص:127.

(6)محمدالغزالي،**خلق المسلم**(باتنة/الجزائر:دارالشهاب)ص:139

ـ الوفاء: من الفضائل التي نتعلمها من هذه القصة،خلق الوفاء،وعدم الخيانة؛حيث نلتمس ذلك من خلال سلوك شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ في القصة .

فنجده يصدع بالوفاء ، أمام من دعته لخيانة زوجها بقوله:﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(1).

((قال يوسف:اعتصم واستجير بالله،إن صاحبك وزوجك سيدي،أحسن منزلتي وأكرمني واتمنني ،فلا أخونه في أهله)).(2)

والمتتبع لصيرورة القصة يعلم أن العزيز،لم يأبه بموقف يوسف ـ عليه السلام ـ وألصقت به التهمة قصرا وأدخل السجن.

ولكن يوسف لم ينس تلك الفضيلةالأخلاقية؛حيث طلب إعادة التحقيق في قضيته،لما طلبه الملك. ولما تبيّنت براءته أعاد على مسامع الجميع ،والعزيز بصفة خاصة،مقولته الأولى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.(3)

أي((ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعفّفت عنها)).(4) إنه خلق الوفاء يتجلّى في أسمى صورةٍ.وإذا كان الشيء يعرف بضده،فان القصة حذرت من رذيلة الخيانة أيّ ما تحذير وذلك من خلال الآية الكريمة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(5).

ـ الوفاء بالعهود والمواثيق: إذا كانت القصة دعت إلى خلق الوفاء بصفةعامة كما رأينا من قبل في وفاء يوسف ـ عليه السلام ـ لسيده العزيز.فإن القصة أيضا تدعوا إلى الوفاء بالعهود، و المواثيق بصفة خاصة ويتضح ذلك في اشتراط يعقوب ـ عليه السلام ـ على أبنائه أن يعطوه عهدا وميثاقا، مقابل إرسال ابنه الثاني معهم، ولما أعطوه عهدهم أشهد الله على ذلك...((والوفاءبالوعد علامةالمؤمنين وخلف الوعد علامةالمنافقين)).(6)

---

(1)سورة يوسف/الآية:23.

(2)محمدعلي الصابوني،**مختصر تفسير الطبري** ،ج1،ص:395

(3)،(5) سورة يوسف/الآية:52.

(4)محمدعلي الصابوني،**صفوة التفاسير**(ط:4؛بيروت:دارالقرآن،1981م)،ج2،ص:57 .

(5) سورة يوسف/الآية:52.

(6)منصور علي ناصف،**التاج الجامع للأصول**(بيروت: دار الجيل)ج5،ص57.

ولكن... حصل الذي حصل مع يوسف ـ عليه السلام ـ. وخلصوا من مصر نجيًّا،وأخوهم ليس معهم.فكيف يجيبون أباهم وقد أعطوه موثقا؟

هنا تتضح لنافضيلة الوفاء بالعهود والعقود؛من موقف أحد أبناء يعقوب.إذ ألزم نفسه بأن لايبرح الأرض حتى يأذن له أبوه،أو يحكم الله له...وفي تتبع الآيات تتجلّى لنا الفضيلة أيّ ما جلاء..

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ،فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.(1)

﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.(2)

ومن خلال القصة يتضح لنا أنه ((إذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه.وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها ،ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه،فيُعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ،لاخوف من نقضها ولامطمع في مخالفتها)).(3)

وماكان موقف كبير الإخوة حادا بهذه الصفة،إلا تكفيرا عن عدم الوفاء بالعهد السابق ـ الذي أعطاه لأبيه عند أخذه ليوسف مع إخوته ـ ويظهر ذلك من قوله لإخوته:﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ. فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ...﴾.(4)

---

(1)سورة يوسف/الآية:66.

(2)سورة يوسف/الآية:80.

(3) محمد الغزالي،**خلق المسلم** ،ص:54.

(4)سورة يوسف/الآية:80.

6 ـ **كظم الغيظ**:وهوخلق كريم،حيث يصبر الإنسان على أذى الآخرين ،ولايرده إليهم بل يحسبه في نفسه ويغالبها على ذلك.وقال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه:((من كظم غيظاوهو قادر على أن ينفّذه دعاه الله عزوجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره الله من الحور مايشاء)).(1)

وفي قصةيوسف ـ عليه السلام ـ نأخذدروساعمليةفي كظم الغيظ ومغالبةالنفس على ذلك.

فالدرس الأول:نأخذه من سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ حينما قذفه إخوته بالسرقة ظلما وبهتانا.فلم يردّ عليهم بالمثل؛بل كظم ذلك وأسرّه في نفسه.﴿**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ**﴾(2).((لقد قذفوا بها يوسف وأخاه ﴿فأسرها يوسف في نفسه ﴾أسرهذه الفعلة وحفظها في نفسه،ولم يبد تأثيره منها.وهو يعلم براءته وبراءة أخيه...)).(3)

والدرس الثاني:نأخذه من سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ وهويواجه المحن،الواحدة تلو الأخرى ويواجه خداع ونفاق الأبناء، بل وعقوقهم بالتولي عنهم،والركون إلى الحزن الانفرادي وكظم الغيظ الشديد. بدل الصياح والنواح،والسب والشتم.إنه خلق الأنبياء...

﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾.(4)

((لقد انصرف يعقوب عن الحديث مع أبنائه في شأن أخيهم هذا الذي افتقدوه في مصر وأسلم نفسه إلى مايعتمل في كيانه من أسى ،وحسرة على يوسف)).(5)

7ـ **التصدق على الفقراء**:ومن الفضائل التي دعت إليها القصة، التصدق على الفقراء والمحتاجين،ونلمس ذلك من خلال، دعوةإخوة يوسف لأخيهم،بأن يتصدق عليهم رفقا بحالهم المزري الذي آلو إليه .وعقبوا على ذلك بأن الله تعالى يجازي من تصدق وأحسن إلى من هم في مثل حالهم.

---

(1)سليمان بن الأشعث السجستاني،**سنن أبي داوود**(بيروت:دارالجيل،1992م)،ج4،ص248.

(2)سورة يوسف/الآية:77.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج2،ص:2022.

(4)سورة يوسف /الآية:84.

(5)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:476.

﴿...قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾.(1)وتتضمن الآية أيضا:دعوة إلى استيفاء الكيل في المبادلات التجارية.

8ـ **اتهام النفس**:لقد دعت القصة إلى اتهام النفس، مهما كان صاحبها تقيا وورعا. ذلك أن النفس مطية للشيطان.وهو يراودها دائما على العصيان.وإن اتهامها في حالة البراءة،مدعاة لها بأن لاتقع في الخطأ والخطيئة. فضلا علىاتهامها علنا في حالة الذنب. وذلك ما يتضح من خلال موقف يوسف ـ عليه السلام ـ مع نفسه إذ قال بصراحة ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي..﴾(2).وهذه الآية إن كانت من كلام يوسف(*)ـ ((فهومن باب الهضم للنفس،وعدم التزكية بها مع أنه قد علم هو وغيره من الناس أنه بريء وظهر ذلك ظهور الشمس...))(3).وإن كانت من كلام امرأة العزيز(**) ((فهو واقع على الحقيقةلأنها أقرت بالذنب،واعترفت بالمراودة والافتراءعلىيوسف))(4).

9ـ **الاعتراف بالخطأ**:ومن الفضائل التي ركزت عليها القصة فضيلة الاعتراف بالخطأ.

ذلك أن أناسا، قد أخطئوا في حق يوسف ـ عليه السلام ـ ؛ولكن سياق القصة لم يتركهم مصرين على خطئهم دون توبة واعتراف؛بل كان اعترافهم غرض بعينه قصدته القصة.

ـ فنجد نسوة المدينة يخطئن في حق يوسف ـ عليه السلام ـ ويتهمنه بالفاحشة... ويمضي السياق إلى أن تأتي ساعة الحقيقة فتقر النسوة ومعهن امرأةالعزيز بخطئهن وببراءة يوسف.

﴿...قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ،قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(5).

---

(1) سورة يوسف /الآية:88.

(2) سورة يوسف/الآية:53.

(3)(4)محمدعلي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج1،ص34.

(*)ذهب أكثرالمفسرون إلى أن هذا من كلام يوسف ـ عليه السلام ـ(فتح القدير،ص:34).

(**)وذهب بعضهم إلىأن هذامن كلام امرأة العزيز(فتح القدير،ص:34).

(5)سورة يوسف/الآية:51.

ولقد كان اعتراف امرأة العزيز صريحا.وذلك لأن((ضميرها قد استيقظ بعد هذا الإجماع من النسوة على الشهادة بطهره وعفافه فلم تجد بدا أمام هذا الموقف من أن تعترف بالحقيقة بأنها هي التي حاولت إغرائه،ولكنه صمد أمام إغرائها...)).(1)

ونجد إخوة يوسف يعترفون بخطئهم ،بعد تعرفهم على أخيهم.ويقرون له بأن الله قد فضله عليهم .حيث نسمعهم وهم يقولون:﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾(2).وهو نفس الموقف، الذي يكررونه مع أبيهم .حيث يعترفون له بخطئهم معه، ويطلبون منه الاستغفارفنسمعهم يقولون:﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.(3)

إنها فضيلة ((الاعتراف بالخطأ، والإقرار بالذنب ...)).(4)

((فالنساء يتبرأن أن يكون يوسف قد خالف قواعد الشرف والفضيلة،وامرأة العزيز تعلن(حصحصة)الحق والإخوة يعلنون خطأهم مرة أمام يوسف ومرة أمام يعقوب ويطلبون المغفرة)).(5)

10- **المسامحة والمغافرة:** وإذاكان من الفضيلة الاعتراف بالخطأ، فإنه من الفضيلة أيضا، للمعترف له - المسامحة والمغافرة - ونلمس ذلك في موقف (يوسف عليه السلام) من إخوته بعد اعترافهم له بالخطأ. فماذاكان رده عليهم؟أكان رد اللوم والعتاب؟أم رد المسامحة والمغافرة؟ذلك ما نستوضحه في قوله لهم : ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.(6)

أي((لامؤاخذة لكم،ولاتأنيب اليوم،فقد انتهى الأمر في نفسي ،ولم تعد له جذور ،والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين...)).(7)

وهو درس عظيم في المسامحة ونسيان الأحقاد...

---

(1)عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياءفي القرآن**،ص:172.

(2)سورة يوسف/الآية:91.

(3)سورة يوسف/الآية:97.

(4)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:2027.

(5)محمدعلي أبوحمدة،**في التذوق الجمالي لسورةيوسف**،ص:41.

(6)سورةيوسف/الآية:92.

(7)سيدقطب،المرجع السابق،ج:4،ص:2027.

ونلمسه أيضا في موقف يعقوب ـ عليه السلام ـ بعد أن طلب منه أبناؤه أن يستغفرلهم . حيث وعدهم بأنه سوف يستغفر لهم ،بالرغم من كل مالحقه منهم.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.(1)

((ونلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئا من بنيه،وأنه لم يصف لهم بعد،وإن كان يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح .....وبداية عبارته بكلمة(سوف) لا تخلوا من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم)).(2)

وفي مقارنة مسامحة يوسف ـ عليه السلام ـ لإخوته،ومسامحة يعقوب لبنيه نجد نوعا من الفارق؛حيث سامحهم الأول في حينه،أما الثاني فربط مسامحته،واستغفاره بالمستقبل...

((أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء.قال طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ. ألم ترإلى قول يوسف:(لاتثريب عليكم اليوم).

وقول يعقوب:(سوف أستغفرلكم ربي))).(3)وهي حكمة من حكم هذه القصة العظيمة.

الفرع الخامس: التحذير من الرذائل

وكماتضح لنامن المبحث السابق،أن القصة دعت إلى مجموعةمن الفضائل،للتخلق بها ...

فهي أيضا تحذر من مجموعة من الرذائل لتجنبها والابتعاد عنها...

وكما هومعلوم فان لكل رذيلة، فضيلة تقابلها.وإذا ورد التحذير في القصةمن رذيلة معينة فهي دعوةضمنية إلى الفضيلةالتي تقابلها وذلك ما سنلحظه في العناصر التالية:

---

(1)سورة يوسف/الآية:98.

(2)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:2028.

(3)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل**(القاهرة:دارالكتاب العربي)ص:123.

1- **التحذير من الحسد**:أول مايقابلنا في سياق القصة،التحذيرمن رذيلة الحسد،وأعلى مراتب هذه الرذيلة ((أن يحب المرء زوال النعمة عن غيره ،وإن كانت لاتنتقل إليه وهذا غاية الخبث)).(1)وهي نفس الحقيقة التي تلمسها يعقوب - عليه السلام - في أبنائه وحذر يوسف من أن يقص عليهم رؤيته.لأنهم إن علموا بها،تحرك الحسد في أحشائهم. وتمنوا زوال هذه النعمة عنه.بل دبروا له المكائد لكي تزول عنه النعمة.

لقد((نهى يعقوب - عليه السلام - إبنه يوسف من أن يقصّ رؤياه على إخوته، لأنه قد علم تأويلها وخاف أن يقصها على إخوته فيفهمون تأويلها ويحصل منهم الحسد له)).(2)

ولهذا قال له:﴿...يَابُنَيَّ لَاتَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.(3)

إنها رذيلة الحسد التي تدعو صاحبها إلى تدبير المكائد، والمؤامرات ضد المحسود ،رغبة في زوال النعمة عنه،ورجوعها إليه.

2- **التحذير من الغيرة**: ومن الرذائل التي حذرت منها القصة رذيلة الغيرة. وهي تصدر من نفس مشكاة الرذيلة الأولى (الحسد).ويعرف علماء النفس كنهها بأنه((دافع نفسي دفين تعاني منه الإنسانية لدى بعض أفرادها المنحرفين إنه :الحقد أو الحسد المذموم أو الضغينة أوالغيرة الآثمة...أسماءمختلفة للدلالةعلى وجوه متعددة لدافع نفسي واحد.)).(4)

وتظهر الغيرة جلية، في قول إخوة يوسف:﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.(5)

---

(1)زكي مبارك،**الأخلاق عند الغزالي**(ط:1؛بيروت:دارالجيل،1988م)ص:210.

وذكره: سعيدحوى،**المستخلص في تزكيةالأنفس**،ص:179.

(2)محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج3،ص:5.

(3)سورة يوسف/الآية:5.

(4)عبدالحميدمحمدالهاشمي،**لمحات نفسيةفي القرآن الكريم** (الجزائر:مكتبةرحاب) ص:141.

(5)سورة يوسف/الآية:8.

وماتحركت هذه الغيرة فيهم إلا بعد ما علموا برؤيا يوسف ،فحسدوه عليها.وكانت حجتهم ووسيلتهم المكر بأخيهم،وتدبير المكائد له.فـ((أخوهم يوسف الذي آثره أبوهم بحبه،واستخلصه من بينهم لنفسه وشغل به عن النظر إليهم - ساءهم ذلك،وحرك نوازع الحسد والحقد في نفوسهم...)).(1) والسياق العام للقصة،يبين للقارئين والسامعين على حد سواء.أن هذا السلوك غير سويٍّ،وأن نتيجته ستكون وبالا،على أصحابها.ولذلك وجب على الجميع الحذر من هذه الرذيلة،وهي الغيرة في غير محلها .

د- **التحذير من جريمة القتل**:وهكذا تكون نتيجة الحسد والغيرة.إنه التفكيرفي ذنب أكبر وأشنع،إنه قتل النفس التي حرم الله.

والحسد والغيرة ،والحقد يدفعون((إلى التعبير الإشباعي المتطرف ليفكر أول ما يفكر بالقتل وهو أشد مظاهر العدوان إذ يرى فيه الحاقد أن مشكلته تزول بزوال شخصية المحقود عليه...)).(2)

وذلك ما وصل إليه إخوة يوسف؛نتيجة حقدهم وحسدهم وغيرتهم من أخيهم..إذ قالوا:﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾.(3)

ولكنّ أحدهم استيقظ ضميره وعلم أن الفعل الذي سيقدم عليه إخوته ضد يوسف،شنيع وعظيم.فقال لهم:﴿**لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾.(4)

إن هذا الموقف لهو دعوة صريحة لكل من سوّلت له نفسه أن يعاقب غيره،نتيجةغل أوحقد أوحسد أوغيرة.بأن يستعمل كل وسائل العقاب إلا القتل.وكيف لا والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤكد((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)).(5)

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:411.

(2)عبدالحميدمحمدالهاشمي،**لمحات نفسيةفي القرآن الكريم**،ص:143.

(3)سورة يوسف/الآية:9.

(4)سورة يوسف/الآية:10.

(5)**حديث صحيح**،أخرجه ،محمدبن عيسى بن سوري (الترمذي)،**سنن الترمذي(الجامع الصحيح)**،(ط1؛بيروت:دار الكتب العلمية،1987م)ج4،ص10/كتاب الديات،حديث رقم:1395.

والله تعالى يساوي قتل النفس الواحدة بغير حق،بقتل الناس جميعا﴿...أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ،أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.(1)

ـ التحذير من الكذب والخداع:الكذب والخداع صفة من صفات بني إسرائيل، منذ أيامهم الأولى((والكذب جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه،وخبث نتائجه..)).(2)

وقد رسمت لناقصةيوسف صورةحية عن كذب هؤلاء،وتركت السامع والقارئ يتقزز من فعلهم الشنيع وهي بذلك تحذرمن هذه الرذيلة التي تخلّق بها بنو إسرائيل إلى يوم الناس هذا...

لقد تآمروا على أخيهم ودبروا أمرهم.﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾.(3)بدموع التماسيح. و رووا له قصة مغايرة للتي قد حدثت...ولأنهم مقتنعون بأنها كذب .راحوا يتهمون أباهم بعدم تصديقهم ولو كانوا صادقين﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾(4).و لم يكتفوا بذلك ..بل أرادوا الاستدلال على كذبهم بدم في قميص يوسف .شهد الله بكذبه ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...﴾(5)وعلم يعقوب بالدليل المادي على كذبه؛حيث قال لهم:((متى كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف ولايخرق القميص))(6).

وورد التحذير من الكذب والدعوة إلى الصدق في موضع آخر من القصة والمتمثل في الشهادة التي أقيمت في بيت العزيز على صدق يوسف، وكذب امرأة العزيز.حيث وضع الشاهد معيارا لشهادته يتمثل في انتصاره للصدق على الكذب . فنستمع إليه وهو يقول:

﴿...إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ*وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ*فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ*يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(7).

---

(1)سورة الأنعام/الآية:32.

(2)أبو الحسن الماوردى ألما وردي ،أدب الدنيا والدين،ص254.

(3)سورة يوسف/الآية:16.

(4)سورة يوسف/الآية: 17

(5)سورة يوسف/الآية: 18

(6)محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج3،ص:11.

(7)سورة يوسف/الآيات:26،27،28،29.

((أي فتال الشاهد هذه المقالة مستدلا على بيان صدق الصادق منهما، وكذب الكاذب بأن قميص يوسف إن كان مقطوعا من قبل أي من جهةالقبل(فصدقت)أي فقد صدقت بأنه أراد بها سوءا (وهومن الكاذبين).(وإن كان قميصه قدّمن دبر)أي من ورائه(فكذبت)في دعواها عليه(وهومن الصادقين)في دعواه عليه...)).(1)

*ونلمس التحذير من الكذب، والدعوة إلى الصدق في مواضع أخرى من القصة،نكتفي فيها بذكر الآيات:

1- ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾.(2)

2- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.(3)

3- **التحذير من الفاحشة**: فكما رأينا أن القصةدعت إلىالعفة ،فقد حذرت أيضا من الفاحشة ونلمس ذلك في تعوذ يوسف وتقززه منها بعد أن دعته امرأة العزيز بقوله:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(4).

وهوما أكّده الله سبحانه وتعالى تعقيبا على ذلك السلوك اليوسفي بقوله:﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(5).فما كان الله ليصرف عنه شيئا إلا وفيه مضرة.

ويعطي يوسف ـ عليه السلام ـ درسا آخر في التحذير من الوقوع في الفاحشة،عندما فضل السجن على الفاحشة،حيث دعا ربه قائلا:﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.(6)((...فكان السجن هو الحصن الذي احتمى فيه من الفتنة ودواعيها،فغاب في غياهبه عن وجه المرأة التي تطلبه وتطارده، وحبس بين جدران السجن دواعي الفتنةأن تتحرك في نفسه وتعالت حكمة الله)).(7)

---

(1) محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير** ،ج:3ص:19

(2) سورة يوسف/الآية:74

(3) سورة يوسف/الآية:82.

(4)سورة يوسف/الآية:23.

(5)سورة يوسف/الآية:24.

(6)سورة يوسف/الآية:33.

(7)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:441.

6- **التحذير من الإفساد في الأرض**:ومما ورد في قصةيوسف التنبيه،إلى أن الإفساد في الأرض ليس من شيم الأبرارالمصلحين.وذلك ما نسمعه في رد إخوة يوسف عندما اتهموا بالسرقة. حيث قالوا:﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.(1)

((وإنهم ليدفعون تهمة السرقة عنهم بما علمه القوم عنهم ، وأنهم ما جاءوا ليفسدوا في الأرض... إنهم ليسوا من أهل الفساد،وإذن فلن يكونوا من السارقين،لأن السرقة وجه من وجوه الفساد في الأرض...)).(2)

7- **التحذير من الظلم**:التحذير من الظلم ورد أيضا في القصة؛ فقد أقرإخوة يوسف أن جزاء الظالمين في شريعتهم هو:

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(3). أي((أن جزاء من أخذ المكيال أن يؤخذ رقيقا،فهو الجزاء العادل للمذنب...)).(4)

ولقد اعتبر يوسف ـ عليه السلام ـ نفسه ظالما إذا أخذ شخصا آخر مكان الذي وجد عنده المكيال،حيث قال:﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾.(5)

أي((أعوذ بالله أن أظلم البريء ،وحاشا لي أن أخالف الحكم الذي تقره شريعتكم بالاسترقاق، ثم إن شريعة الملك في مصر لا تبيح أن أعاقب بريئا بجريرة آخر،ولوفعلت ذلك لكنت من الظالمين)).(6)

وهناك جملة أخرى من الرذائل حذرت منها القصة. كالتحذير من كيد المرأة التي لا تخاف الله،وتحذير النساء من إتباع شهواتهن،والتحذير من الإصرار على الخطأ، والتحذير من الشائعات التي تفتك بالمجتمعات،والتحذير من السرقة،والتحذير من الجهل،والطيش...الخ

---

(1)سورة يوسف/الآية:73.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:469.

(3)سورة يوسف/الآية:75.

(4)عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن الكريم**،ص:178.

(5)سورة يوسف/الآية:79.

(6)عفيف عبدالفتاح طبارة ،المرجع السابق،ص:179

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: استنباط بعض الأحكام الشرعية

إن الدارس لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ يستشف منها مجموعة من الأحكام الشرعية والتي يحتاج إليها المسلم في حياته اليومية.وفي مواجهة بعض ما يعترضه من مسائل في واقعه. ويحتاج إليها القاضي المسلم في الحكم بين الناس. أو الفقيه في الإفتاء للناس وإذا أردنا استقصاء هذه الأحكام من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .نوردها كما يلي:

الفرع الأول:جواز تفسير الرؤيا

ونستشف ذلك من قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾.(1) والآية((هي أصل في تعبيرالرؤيا،وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادةقال:الكواكب إخوة يوسف والشمس أبوه والقمر أمه...)).(2) وكذلك في تأويل يوسف لرؤيا صاحبي السجن، ورؤيا الملك. فكل هذه المواضع تثبت أن الرؤيا الصادقة يمكنها أن تتحقق في الواقع.ويجوز تفسيرها وتأويلها أيضا.كما أنها تثبت أيضا أنها((من أصول التعبيروفيهاصحةرؤيا الكافر...))(3).

الفرع الثاني:تفسير الرؤيا ظني لاقطعي:ويستنبط ذلك من قوله تعالى:﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا...﴾(4). وقد ((استدل به من قال إن تعبير الرؤيا ظني لا قطعي))(5).

و((قالوا:إنما أخبرعنه بالظن؛ لأن تفسير الرؤيا ليس بقطع،وإنما هو ظن)).(6)

الفرع الثالث:جواز ترك إظهار النعمة:لمن يخشى منه حسد أو مكر أو غدر ونستشف ذلك من قوله تعالى:﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾(7).قال الكيا:

((يدل على جوازترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد ومكر))(8).

---

(1)سورة يوسف/الاية:4.

(2)جلال الدين السيوطي، **الإكليل في استنباط التنزيل**،ص:130،وابن العربي،أحكام القرآن،ج3،ص1075.

(3) جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:132.

(4)سورة يوسف/الآية:42.

(5) جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:131.

(6) محمد بن العربي،**أحكام القرآن**،ج3،ص1088.

(7)سورة يوسف/الآية:5.

(8)جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:130

وقال ابن العربي((فيه حكم بالعادة أن الإخوة والقرابة يحسدون .قال وفيه أن يعقوب عرف تأويل الرؤيا و لم يبال بذلك فان الرجل يود أن يكون ولده خيرا منه والأخ لا يود ذلك لأخيه)).(1)

وعلى ماسبق فإن المؤمن قد لا يظهر نعمة أنعم الله بهاعليه ولايكون معارضا بذلك قوله تعالى في سورة الضحى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.(2)

الفرع الرابع:بيان أحكام اللقيط:استنبط العلماء أحكام اللقيط من قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع إخوته؛ حيث سموه باللقيط وهم يدبرون مؤامرتهم ضده .فقال أحدهم:﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾(3).

وهوماحدث فعلا بالتقاط وارد السيارة ليوسف وقوله:﴿..يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(4).وقد تكلم الإمام ابن حزم في أحكام اللقيط قائلا:((إن وجد صغير منبوذ ففرض على من بحضرته أن يقوم به.ولابد...لقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ولاإثم أعظم من إثم من أضاع نسمة مولودة على الإسلام صغيرة لا ذنب لها حتى تموت جوعا وبردا أو تأكلها الكلاب .هو قاتل نفس عمدا بلا شك،وقد صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)).(5)

((وروي عن الحسن أنه قضى بأن اللقيط حروقرأوشروه بثمن بخس دراهم معدودة)).(6)

الفرع الخامس: بعض أحكام الكذب:الملاحظ أن كذبة أبناء يعقوب على أبيهم، كانت مطابقة لما حذرهم منه.حيث حذرهم بقوله:﴿...وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾(6). فأجابوه كذبا بقولهم:﴿...فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾(7).

---

(1)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل**،ص:130.

(2)سورة الضحى/الآية الأخيرة.

(3)سورة يوسف/الآية:10.

(4)سورة يوسف/الآية:19.

(5)علي بن أحمد بن حزم،**المحلى(بيروت:دارالجيل)**ج:8،ص:273.

(6)ابن العربي،أحكام القرآن،ج3،ص1078،وذكره:الجصاص،**أحكام القرآن(بيروت:دار** الفكر) ج3،ص248.

(7)سورة يوسف/الآية:13.

(8)سورة يوسف/الآية:17.

((أخرج ابن مرديه من حديث ابن عمر موقوفا:لاتلقنوا الناس فيكذبون فإن بني يعقوب لما لقنهم أبوهم كذبوا فقالوا(أكله الذئب)))(1).

الفرع السادس:البكاء ليس دليلا على الصدق:

ويستفيد القضاة أيضا من القصة؛باعتبارأن البكاء لايعبر عن الحقيقة، بل قد يكون تصنعا؛وهو ماحدث مع إخوة يوسف؛ حيث:﴿...جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾.(2) ((قال ابن عربي قال علماؤنا هذا يدل على أن بكاء المرء لايدل على صدقه لاحتمال أن يكون تصنعا))(3)؛وهو ما يدفع القاضي بأن لا ينساق مع العواطف ويترك الأدلة.

الفرع السابع:ضرورة النظر إلى الأمارات والأدلة:

وللقضاة أيضا دروس عملية في القصة؛يتعلمون منها كيفية التحقيق العادل، في القضايا المطروحة عليهم.

1- **الدرس الأول**:في تحقيق يعقوب مع جريمة أبنائه؛حيث ادعوا أن الذئب قد أكل يوسف واستدلوا على ذلك ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.(4)

ولكن حصافة يعقوب ودقته في التحقيق ،والنظر إلى الأمارات والأدلةالمادية؛جعله يقول لهم:((متى كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف ولا يخرق القميص)).(5)

((قال ابن عباس:لوكان أكله الذئب لخرق قميصه أخرجه ابن أبي حاتم ففيه الحكم بالأمارات والنظر إلى التهمة حيث قال(بل سولت) إلى آخره)).(6)

((...وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات وتعارضها)).(7)

---

(1)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل**،ص:130.

(2)سورة يوسف/الآية:16.

(3)جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:130،الجصاص، **أحكام القرآن**،ج3،ص247.

(4)سورة يوسف/الآية:18.

(5)محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج3،ص:11

(6)جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:130.

(7)ابن العربي **أحكام القرآن**،ج3،1077،الجصاص المرجع السابق.

2- **الدرس الثاني**:يتمثل في تحقيق الرجل(الذي هو من آل امرأة العزيز)حول حادثة الاتهام المتبادل بينها وبين يوسف ـ عليه السلام ـ ؛حيث انسلخ الرجل من كل العواطف الأسرية التي تربطه مع امرأة العزيز،ووضع نفسه موضع القاضي العادل الذي لا يحكم إلا لصالح من كانت الأدلة المادية معه.

((والحكم بالقرائن من أدلة الشريعة ويمكن اعتباره في البصمات وتحاليل الدم وماأشبه ذلك مما جد في هذا العصر)).(1)وذلك ما سنلمسه في المحاكمة التالية:﴿...**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَاإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ*وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍفَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ* فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾(2).

((قال ابن الفرس يحتج به من يرى الحكم من العلماء بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البينات...))(3).

الفرع الثامن: جواز السعي لتبرئة النفس:فالمتهم المظلوم، يجوز له،بل يجب عليه أن يسعى لتبرئة نفسه في أول فرصة تتاح له.وذلك ما نلمسه من موقف يوسف ـ عليه السلام ـ المتهم البريء الذي أدخل السجن ظلما.فلما أتيحت له أول فرصة للخروج من السجن؛طلب تبرئته من التهمة التي ألصقت به؛حيث قال للذي جاء لإخراجه من السجن: ﴿**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾.(4) والآيةفيها((سعي الإنسان في براءة نفسه لئلا يتهم بخيانة أو نحوها خصوصا الأكابر ومن يقتدي بهم))(5).

---

(1)محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص31.

(2)سورة يوسف/الآيات:26،27،28.

(3)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل**،ص:130،ابن العربي،**أحكام القرآن**،ج3،ص1085

(4)سورة يوسف/الآية:50.

(5)جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،131،ابن العربي،المرجع السابق،ج،3ص1091

الفرع التاسع: جواز استعمال الحيلة للوصول إلى الحق أو المباح

قد يجد المسلم نفسه أحيانا، مضطرا لاستعمال وسائل ملتوية للحصول على حق من حقوقه أو الوصول إلى مباح، ليس فيه ضرر لأحد.وهو ما أدخله العلماء في إطار الحيل الشرعية التي لا تحل حلالا ولاتحرم حراما.

وقد جعلوا من حيلة يوسف مع إخوته ،من أجل الإبقاء بأخيه معه.تأصيلا شرعيا للحيل الشرعية؛حيث﴿...جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ....﴾.(1) ودارت فصول الحيلة كما هو موضح في الآيات إلى أن وصل يوسف إلى غايته؛﴿...ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾(2).

((قال الكيا:فيه دليل على جواز الحيلة في التوصل إلى المباح وما فيه الغبطة والصلاح واستخراج الحقوق...))(3)؛حيث كان عمله((حيلة لاجتماع شمله بأخيه وفصله عنهم إليه،وهو ضرر دفعه بأقل منه)).(4)

الفرع العاشر:جواز الجعالة:وقد استنبط العلماء جواز الجعالة من قصة يوسف ـ عليه السلام ــ وذلك من خلال قول خدم يوسف﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾(5).فيقول ابن حزم الأندلسي في كتابه المحلى : ((وأوجب قوم الجعل وألزموه الجاعل واحتجوا بقول الله تعالى:(وأوفوا بالعقود) وبقول يوسف وخدمته عنه(قالوانفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم))).(6)

---

(1)سورة يوسف/الآية:70.

(2)سورة يوسف/الآية:76.

(3)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل**،ص:132،

(4)محمد بن العربي،**أحكام القرآن**،ج3،ص1095،وذكره: الجصاص،**أحكام القرآن** (بيروت:دارالفكر)ج3،ص258،259.

(5)،سورة يوسف/الآية:72.

(6)أبي محمدعلي بن أحمدبن سعدبن حزم،**المحلى**(بيروت:دارالجيل)ص:204،ج:8.

الفرع الحادي عشر:جوازالضمان والكفالة:

كمااستدلوا أيضامن خلال الآيةالسابقة ﴿...وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.(1)على جواز الضمان في الأشخاص وكفالتهم.((قال علماؤناهذا نص في جواز الكفالة)).(2)

والآية((﴿وَأَنَابِهِ زَعِيمٌ﴾أصل في الضمان والكفالة))(3)أي تأصيل شرعي للضمان والكفالة.

الفرع الثاني عشر:جواز شهادة الرفقة:

إن إخوة يوسف لما أبلغوا أباهم بأن ابنه قد سرق،طلبوا منه أن يسأل من كان برفقتهم من أبناء القرية المجاورة ،للتأكد من صحة ما قالوا﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.(4)فاستدل العلماء بها على جوازشهادة الرفقة((استدل به من أجاز شهادة الرفقة وإن لم يكونوا عدولا فيما يختص بمعاملات السفر)).(5)

الفرع الثالث عشر:جواز البكاء على الميت

وقد استدلوا على جواز البكاء على الميت؛بموقف يعقوب ـ عليه السلام ـ ؛حينما أبلغ بضياع ابنه الثاني؛فاعتزل القوم مكلوما حزينا حتى ابيضت عيناه من شدة البكاء والحزن.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(6).

وإذا كان يعقوب يبكي على أبنائه الذين يرجو عودتهم،ولم ينقطع أمله فيهم فمن باب أولى أن يبكي على من لا يرجو عودته وهو ميت. والآية السابقة((قال ابن الفرس فيها دليل على جواز البكاء على الميت))(7).

وهو ما ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاة ابنه إبراهيم، بقوله:((...تدمع العين ويحزن القلب،ولانقول إلامايرضي ربنا،وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون)).(8)

---

(1)سورة يوسف/الآية72

(2)محمد بن العربي،**أحكام القرآن**،ج3،ص1095. أنظرإلىص:1095،1096من نفس المرجع.

(3)،(5)جلال الدين السيوطي،المرجع السابق،ص:132.وذكره ابن العربي،**أحكام القرآن**، ص، 1102

(4)سورة يوسف/الآية:82.

(6)سورة يوسف/الآية:84.

(7)جلال الدين السيوطي،**الإكليل في استنباط التنزيل** ،ص:133.

(8)محمد بن العربي،**أحكام القرآن**،ج3،ص1104.

المطلب الخامس: دروس عملية للدعاة إلى الله

توطئة:

مما تضمنته قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ؛أنها أعطت دروساعملية للدعاة إلى الله عز وجل. ابتداء من سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذي نزلت عليه...حيث كانت القصة بمثابة مثال نموذجي ،يقتدي به كل من حمل عبء الدعوة إلى الله. ((إن هذه القصة تعتبر درسا عمليا للدعاة إلى الله،ليكونوا امتداد للحركة الرسالية النبوية التي تخشع أمام الانتصارات، وتصلى لله بكل خضوع عند أي بادرة نجاح أو تقدم. كما تصلي له ـ بنفس الخضوع ـ لدى أي بادرة للفشل...

لأن الله هو مرجع الأمر كله.وليس للإنسان إلا أن يستعين بالله على مواجهة النجاح في اتجاه الرسالة،كما يستعين به على مواجهة السقوط في الاتجاه ذاته...))(1).

فالقصة إذن لها((...قيمتها في مجال الحركة الإسلامية، وإيحاءاته المتوافية مع حاجات الحركة في بعض مراحلها.ومع حاجاتها الثابتة التي لا تتعلق بمرحلة خاصة منها...))(2).

ونتوقف في هذا المبحث عند بعض الدروس التي يستفيد منها الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

الفرع الأول:درس في طريقة الدعوة الفردية

مما ركزت عليه القصة:أنها سلطت الأضواء على مشهد، يظهر فيه يوسف ـ عليه السلام ـ ممارسا للدعوة الفردية، مع سجينين كانا معه في السجن.

ـ ولكن دعوته لهما لم تكن مجردة جافة ،و لم تكن مباشرة بدون تهيئة وتمهيد.فيوسف ـ عليه السلام ـ لم يباشر معهما الدعوة إلا بعد أن أحسن معاملتهما،وأبرز لهما قدراته العلمية،وقدرته على تفسير الرؤى. مما دعاهما إلى طلب حاجتهما منه،وشهادتهما له بالإحسان.﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(3).

---

(1)محمدحسن فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،ج:2،ص:127.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج4،ص:1963.

(3)سورة يوسف/الآية:36.

حيث((يعيش يوسف في السجن مع رفقاء سجنه،وسرعان ما يكسب حب رفقائه،وينال تقتهم.بما يتجلى لهم من سمو أخلاقه وعلو نفسه،وسداد رأيه،ونفاذ بصيرته.وإذا هو الأمين على أسرارهم،والمفزع لكل امر ينو بهم...))(1).

فلما أيقن ـ عليه السلام ـ بأن الأرضية قد هيئت ؛وذلك بشهادتهما له :﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. انطلق مباشرة إلى الدعوة المباشرة ؛حيث ((اغتنم يوسف فرصة إعجاب السجناء به، واحترامهم له لما ينبئهم من تأويل الرؤى، وما يعلمهم به من بعض أنباء الغيب فراح يكشف لهم عن هويته...))(2).

((ويمسك يوسف بقولهما:﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾إذ يجد من حسن ظنهما فيه منطلقا إلى أمر هو أعظم و أنفع لهما من تأويل أحلامهما، وهو دعوتهما إلى الله،وإلى الإيمان به، إيمانا مبرأ من كل شك...))(3).

ذلك هو أسلوب يوسف في الدعوة الفردية...وهو درس عملي يحتذي به في كل عصر ومصر.

وفي ممارسة يوسف لمهمة الدعوة إلى الله داخل السجن؛درس آخر وجب على الدعاة أن يقتدوا به...

حيث أن طريق الدعوة إلى الله،طريق الابتلاءات والسجون.ولذلك وجب((على الداعية إلى الله ألا يجعل من السجن ـ في حالة تعرضه لدخول السجن ـ مجالا للاستسلام إلى الأفكار الذاتية التي يجتر في إطارها آلامه وأشواقه إلى آفاق الحرية..فينشغل بها عن قضيته، ويبتعد عن دعوته..بل يعمل على تحويل

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، ص:443.

(2)عفيف عبدالفتاح طبارة،**مع الأنبياء في القرآن الكريم**،ص:166.

(3)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:443.

السجن إلى مجال حي من مجالات الدعوة إلى الله لأنه يمثل الأرضية الصالحة للبذور الطيبة للفكر...)).(1)

ذلك أن أجواء السجن تجعل السجين مهيأ لقبول الدعوة، والاستماع إليها ،للفراغ الذي يعانيه ،والوحشة التي يطلب من يستأنس فيها...وهوما يشغله أصحاب الدعوات في السجون لنشردعواتهم.وكم رأينا،وسمعنا عن سجناء دخلواالسجن بسبب جرائم أخلاقية وخرجوا منه تائبين.. بل دعاة إلى الله.

ولعل آخر من سمعنا عنه؛الملاكم الأمريكي الشهير ـ تايسون ـ الذي دخل إلى السجن بسبب جريمة أخلاقية (اغتصاب فتاة)لكنه ما إن خرج من السجن أصبح شيئا آخر... حيث اعتنق الإسلام داخله، وغير اسمه ليصبح ـ مالك شباز ـ وهو اسم إسلامي. وذلك كله بسبب استغلال السجن للدعوة إلى الله.وما أعظم قصة يوسف؛حيث نجد دروسها حية نعيشها اليوم على مشارف القرن الواحد والعشرين.

إنها قبسات النبوة التي لا تنطفئ أنوارها...

(1)محمد حسين فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،ج2،ص:118.

الفرع الثاني:على الداعية أن يسعى لإزالة التهمة عنه

إن لقصة يوسف درسا آخر للدعاة إلى الله،من خلال إقدام يوسف ـ عليه السلام ـ على طلب تبرئته من التهمة التي ألصقت فيه ظلما ـ ردا على طلب الملك له.

وما أكثر التهم التي تلصق بالدعاة إلى الله ظلما وزورا.

فكان موقف يوسف درسا لهم ؛حيث أبى((أن يستجيب لدعوة الملك، الذي أرسل إليه من يحضره و لم تشغله فرحة الخروج من هذا القبر الذي أطبق عليه تلك السنين الطويلة، على أن يطلب التحقيق في أمر سجنه،وفي الأمر الذي زج به في هذا السجن...إن براءته على الملإ هي المطلوب عنده أولا لأن ذلك رد لاعتباره عند من ظنوا السوء به...)).(1)

ذلك أن يوسف ليس رجلا عاديا ،لاتهمه التهمة بقدر ما يهمه خروجه من السجن،وإنما هو رجل دعوة يعد نفسه لمهام دعوية وقيادية.ولا يؤتى له ذلك إلا بعد تبرئة ذمته تماما.

((...ليرضح للملأ كله على لسان أبطالها [أي التهمة] ببراءته منها.لشعوره العميق أنه يجب على الإنسان الذي يريد أن يحمل المسئولية ،أن يعمل على إيجاد الأجواء التي تدفع الناس إلى الثقة به،لأن القضية ليست قضيته الخاصة بل هي قضية المهمة التي يتولاها، والأمة ←

التي يقودها...فليس له أن يتغاضى عن أية تهمة توجه إليه مما يستطيع فضحه وتكذيبه لأن لذلك أثرا على رسالته وتأثيرها في حياة المجتمع.)).(2)

وقد كان ليوسف ما أراد بالفعل حيث برأ ساحته من التهمة تماما ليهيئ نفسه إلى مهام قيادية تنتظره. فقد((استطاع يوسف من موقع القوة التي حصل عليها،على أساس حاجتهم إليه،أن يقود أصحاب التهم كلهم إلى الاعتراف بكذبهم على رؤوس الأشهاد.. فكان له أن يستلم زمام إدارة البلد بكل قوة وثقة و اطمئنان))(3).

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:452.

(2)محمد حسن فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،ج2،ص:122.

(3)محمد حسن فضل الله،المرجع السابق،،ج2،ص:122.

الفرع الثالث:قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ومبدأ المشاركة السياسية

إن مبدأ المشاركة السياسيةفي الأنظمة الحاكمة؛ الذي يتبناه بعض الدعاةإلى الله اليوم؛ يجدله سندا شرعيا من خلال قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .

حيث وجدنا هذا النبي الكريم يهيئ كل الشروط الضرورية لتأهيل نفسه للمشاركة في نظام الحكم آنذاك...فقد أبرز قدراته العلمية من خلال تفسير رؤيا الملك...

ولما أحس بحاجة الملك إليه ؛طلب تبرئته من التهمة التي ألصقت به ظلما وبهتانا من طرف امرأة العزيز.

وعندما أشهد الجميع على براءته. لم يمتنع عن طلب الملك له...بل عرض نفسه مباشرة على تسيير قطاع من قطاعات الحكم في دولة الملك﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(1).

ويجدر بنا عند هذا الموقف النبوي أن نقف على عدة نقاط.محاولين بذلك المقارنة بين موقفه ـ عليه السلام ـ في محيطه الذي عاشه، وموقف الدعاةإلى الله اليوم في واقعنا الذي نحياه.

أولا:إن نظام الحكم الذي طلب يوسف ـ عليه السلام ـ أن يشارك فيه،هو نظام كافر بكل المقاييس الشرعية؛لوصف يوسف له بقوله﴿...إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾(2).

ولكنه مع علمه بكفره وابتعاده عن شريعة الله.. لم يتردد في طلب المشاركة فيه؛لعلمه المسبق أنه يستطيع تبليغ دعوته من موقع المشاركة.((فإن قلت كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعاله وتحت أمرته وطاعته.قلت...عن قتادة هردليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملامن يدسلطان جائر...وإذا علم النبي أوالعالم أنه لاسبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلابتمكين الملك الكافرأو الفاسق فله أن يستظهر به.)).(3)

---

(1)سورة يوسف/الآية:55.

(2)سورة يوسف/الآية:37.

(3) أبو القاسم محمودالزمخشري،**الكشاف**(بيروت:دار المعرفة)،ج2،ص263.

أما أنظمة الحكم التي يتعامل معها الدعاة إلى الله اليوم؛ فهي على الأقل تؤمن بالله وتؤمن بالإسلام عقيدة وشعائر،وإن كانت لا تطبقه شريعة وحكما؟.

فإذا كان يوسف ـ عليه السلام ـ قد قبل بالمشاركة في نظام حكم كافر،أو على الأقل مانع دينيا وأخلاقيا،وصورته أقرب ما تكون لصورة الأنظمة الأوربية اليوم.

فمن باب أولى،أن يقبل الدعاة إلى الله اليوم،المشاركة في أنظمة الحكم القائمة للوصول إلى غاياتهم وتحقيق أهدافهم.خاصة وأن غيرها من الوسائل قد أثبت فشله في أكثر من موقع؟.

ثانيا:إن الحقيبة الوزارية التي تولاها يوسف ـ عليه السلام ـ ؛كانت حقيبة تقنية محضة.

فقد تولى زمام أمور الخزائن.وهو ما يعرف اليوم بوزارة(الاقتصاد، أو المالية،أو التموين).

وأكثر من ذلك...حيث تولى هذه المهمة في وقت أزمة اقتصادية خانقة تمربها مصر آنذاك. فدوره إذن لم يتعد تسيير شؤون تلك الأزمة،وإخراج البلاد من تلك الضائقة الغذائية.

ولكنه مع ذلك لو يتردد في طلبها،ولم يعتبرها بعيدة عن تخصصه كنبي وداع إلى الله بل اعتبرها وسيلة هامة يبلغ دعوته من خلالها ،ويساهم في حل أزمة غذائية كادت تعصف بمجتمع لا تربطه به سوى علاقة الإنسانية.

وقدكان له ما أراد ...حيث أدخل بنو إسرائيل إلى مصر ومكنهم فيها ـ وهم يمثلون بيت النبوة آنذاك ـ وبقوا فيها قرونا من الزمن إلى أن خرج بهم موسى ـ عليه السلام ـ إلى أرض فلسطين.((دخل يعقوب وأولاده مصر وهم اثنان وسبعون إنسانا ما بين رجل وامرأة ،وكان ذلك حوالي سنة:1573قبل الميلاد،ثم خرجوامنها مع موسى وهم ستمائة وعشرون ألفا وكان ذلك في عام:1213 قبل الميلاد)).(1)

وهومايطرح على الدعاة إلى الله اليوم؛بأن لايترفعوا عن أي حقيبة تعرض عليهم ؛ بل يجعلوها مفتاحا يعبرون من خلاله إلى تحقيق أهدافهم ورسالتهم.

(1)محمد الصباحي عوض الله،**حياة وأخلاق الأنبياء**(ط3؛بيروت:دار إقرأ)،ص145.

ثالثا:لقد علل يوسف ـ عليه السلام ـ طلبه للوزارة بقوله:﴿...إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. والأمانة والعلم شرطان أساسيان يجب توفرهما فيمن يتولى زمام الحكم،والإمارة.((ونلحظ أن يوسف عرض الخصائص النفسيةوالعلميةالتي ترشحه للمنصب).(1)

و لم يكتف بمجرد الادعاء والقول؛ بل أثبت ذلك ميدانيا.

حيث بين حفظه ،وأمانته من خلال التحقيق الذي أجراه الملك مع النسوة.وإعلانهن مع امرأة العزيز ببراءته المطلقة﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ. قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(2).

وأثبت علمه،بتقديم برنامج عملي لحل الأزمة الإقتصادية، التي ستحل بمصر﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ*ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ*ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(3).

وهو ما يجب أن يتوفر عند رجال الدعوة اليوم؛حيث لا يكتفون بالقول والخطب الرنانة؛ بل يثبتو أمانتهم من خلال حياتهم العادية و معاملتهم مع الناس،ويثبتوا علمهم وقدرتهم على القيادة من خلال برامج ميدانية واقعية،بعيدا عن الشعارات والخطب...

((...إن على الداعية إلى الله أن يأخذ بأسباب العلم والمعرفة التي تدفع به إلى الصفوف الأمامية في حياة المجتمعات، لحاجتها إلى علمه ومعرفته مما يجعله أكثر قدرة على التأثير في الأمة،مما إذا كان بعيدا عن مواقع القوة الاجتماعية.

وربما يمتد ذلك إلى العمل على هذا الأساس في المشاركة في السلطة ،لأجل تحقيق الهدف الذي يسعى إليه من خلال ماتمنحه السلطة من حرية الحركة ،بشكل أكبر وأوسع مما هو عليه)).(4)

---

(1)محمد الغزالي،**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص34.

(2)سورة يوسف/الآية: 51.

(3)سورة يوسف/الآية: 47،48،49.

(4)محمد حسين فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،ج2،ص123.

الفرع الرابع: موقف الداعية المنتصر من خصومه

إن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تعطي درسا عظيما للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

ذلك الموقف يتمثل في كيفية تعامل الداعية المنتصر مع خصومه؟ أيعاملهم بالمثل،وبروح الانتقام؟ انتصارا لنفسه ولشهواتها.أم أن منطق الدعوة إلى الله غير ذلك؟

الواقع أن منطق الدعوة إلى الله ليس منطقا انتقاميا ؛وهو ما نلمسه في موقف يوسف ـ عليه السلام ـ من إخوته. فقد فعلوا به ما فعلوا ويدور الزمان دورته فإذا هم بين يديه صاغرين وهو الأعز.﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.(1)

((فلم يبادر هم بالعقوبة بل عفا عنهم عفوا كريما لا منة فيه ولاستكبار، فخاطبهم من وحي الخلق الرسالي...)).(2)

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.(3)

إن هذا الموقف الدعوي الذي سنه يوسف ـ عليه السلام ـ هو الذي جعل سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحذو حذوه في معاملة قريش يوم فتح مكة ؛حيث قال لهم : ((يا معشر قريش،ماترون أني فاعل فيكم؟قالوا:خيرا،أخ كريم،وابن أخ كريم.قال:اذهبوا فأنتم الطلقاء))(4).

وهو موقف يكاد يكون نسخة طبق الأصل لموقف يوسف ـ عليه السلام ـ وكيف لا وقصة يوسف نزلت على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسلية،وترسم له طريق الدعوة بكل مراحلها.((إن الكبير لايحقد وبعد انتصاره يزداد سماحة وتواضعا لله)).(5)

وهو نفس الموقف الذي يجب على الدعاة أن يلتزموا به أمام خصومهم حتى لا يخرج الانتصار عن إطاره الرسالي.

---

(1)سورة يوسف/الآية:92

(2)سورة يوسف/الآية:91.

(3)سورة يوسف/الآية:92.

(4)ابن هشام،تحقيق مصطفى السقا،**السيرة النبوية**(بيروت:دارالكنوزالأدبية)،ج3، ص:412.

(5)محمد الغزالي، **نحوتفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص35.

الفرع الخامس:الداعيةالمنتصر في محراب العبودية

ومن أعظم الدروس العملية،التي تقدمها القصة للدعاة إلى الله في أوقات انتصاراتهم. أن يتجهوا إلى الله شاكرين حامدين،وأن يرجعوا فضل الانتصار كله لله.

وهوما نلمسه من موقف يوسف ـ عليه السلام ـ ،عندما اكتملت أمامه صورة الانتصار والعظمة برفع أبويه على العرش،وسجود الجميع له. التجأ مباشرة إلى محراب العبودية مناجيا ربه ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.(1)

((إنها العبرة الرسالية للدعاة إلى الله...عندما تتصاعد بهم الحياة من المواقع الصغيرة إلى المواقع الكبيرة بعد طول بلاء وجهاد ،فيندفعون بكل طاقتهم الفكريةوالجسدية،ويلقون ←

بكل ثقلهم في معركة الصراع...فتفتح لهم الحياة ذراعيها ،وترفعهم بجناحيها إلى القمة.. فلا يشعرون إلاوالقمةتحت أقدامهم ..فقد يسقط البعض منهم صريع غروره، عندما تصغر نفسه فجأة أمام القمة.. فيتعالى ويتعاظم وينسى ربه فينسى نفسه..

ويبدأ في تحويل كل الانتصارات الرسالية إلى انتصار ذاتي لجهوده الشخصية فحسب.

وقد يقف البعض الآخر منهم ـ وهم القليل القليل ـ ليشعر بأن مسيرة الرسالات أكبر من قمم الحياة..وأن الانتصارات الرسالية ليست امتيازا ذاتيا يمنحه الإنسان لنفسه ..بل هي ألطاف الله الكبيرة التي يسبغها على العاملين في سبيله،في كل ما يمنحهم من قوة،وما يرزقهم من مواهب وكفاءات ،ليستخدموها في سبيل الرسالة فليس هناك مجال لغرور وليس هناك مكان للتعالي.. بل هو التواضع المنطلق من إيمان الإنسان بربه وشعوره بذاته الفقيرة إلى الله في كل شيء ..لإيمانها بأن لا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم..))(2).

وبذلك يكون يوسف ـ عليه السلام ـ قد رسم للدعاة إلى الله خطا رسا ليا مستقيما يمكّنهم أن يقوّموا أنفسهم ،ويقوّموا مسار حركتهم ودعوتهم بالقياس إليه؛فهو بمثابة النموذج المرجعي الذي يقتدي به على مدى الأزمان.

---

(1)سورة يوسف /الآية101

(2)محمد حسين فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،،ج:2،ص126،127

المبحث الثاني:الغرض الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة

لقد سبق أن ذكرنا في مبحث متقدم،أن الغرض الأساسي للقصة القرآنية ،هو الغرض الديني،ويأتي الغرض الفني ،كوسيلة لتبليغ ذلك الغرض على أكمل وجه.والتعبير القرآني ((...يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني،فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية،والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس ،وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني ،حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع،وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال.))(1).

وإلى هذا المعنى ذهب الجاحظ في كتابه البيان والتبيين؛حيث جعل تقرير حجة الله في عقول المكلفين،مرتبط بالأسلوب المتبع،والمتمثل في الألفاظ المستحسنة في الآذان ،المقبولة عند الأذهان .فلنستمع إليه وهو يقرر:((إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المئونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ،المقبولة عند الأذهان ،رغبة في سرعة استجابتهم ،ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة ،على الكتاب والسنة،كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب))(2).

ومن هذا المنطلق يكون مفهوم الغرض الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.فليس المقصود بالفن هاهنا، ما أصبح يعرف في ـ عالم الفن ـ اليوم،بعد أن ساء استخدام هذه الكلمة وليس المقصود أيضا ما أصبح يعرف في عالم القصة الحرة التي تعتمد على ـ الخلق الفني ـ ؛الذي يقوم على الخيال الملفق الذي لا يستند على الواقع.

---

(1)سيد قطب،**مشاهد القيامة في القرآن**(بيروت:دار الشروق)ص:231،232.

(2)أبي عثمان الجاحظ ،**البيان والتبيين**،تحقيق :عبدالسلام محمد هارون (ط:4؛مصر:مكتبة الخانجي بمصر، 1975م)، ج:1،ص:114.

إنما الذي نقصده بكلمة الفن(1)هو:((جمال العرض وتنسيق الأداء ،وبراعة الإخراج... ألا يمكن أن تعرض الحقائق عرضا فنيا وعرضا علميا؛ثم تبقى لها في الحالتين صفتها الأساسية من الصدق و الواقعية؟...فالحقيقة تصلح أن تعرض عرضا فنيا كاملا.وليس من العسير أن نتصور هذا،متى خلصنا لحظة من(العقلية المترجمة)التي نعيش بها،ومتى خلصنا تصورنا من النماذج الغربيةالبحتة،ونظرنا إلى الاصطلاحات نظرة موضوعية شاملة)).(2)

وقصة يوسف ـ عليه السلام ـ خير دليل على ذلك فقد جمعت بين حقيقتها الواقعية، وتراثها الديني،وكمالها الفني أيضا.

المطلب الأول:الكمال الفني لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ

لقد تميزت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ عن غيرها من القصص القرآني؛بكونها أعطت نموذجا متكاملا من الناحية الفنية؛بحيث((...تمثل فن البناء القصصي في القرآن الكريم خير تمثيل وهي التي تصدق عليها الآية القرآنية الكريمة الواردة في أولها:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾))(3).ومع اشتمالها للغرض الديني، كما رأينا في المبحث السابق ،تبدو وكأنها متخصصة في إبراز الغرض الفني((إن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ...تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدرما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقدي والتربوي والحركي أيضا...ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه،إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحيةالفنية للأداء))(4).

((فأنت ترى هذه القصة بنيت بناء محكما من حيث فن البناء القصصي، ففيها وحدة الموضوع،وإحكام التصميم وفيهاجودةالحبكة))(5)

---

(1)الفن:الضرب من الشيء...ابن منظور،**لسان العرب**،ج4،ص1137.**انظر فصل التصوير الفني** ص:201

(2)سيد قطب،**مشاهدالقيامةفي القرآن**،ص:229،230.

(3)خالدأحمدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:108.

(4)سيدقطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص1951.

(5)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:53.

ووجود الغرض الديني فيها ،لا ينقص أبدا من القيمة الفنية للقصة.بل هي((كاملة من حيث عناصرها الفنية.وهي تقوم فيه على منهج أدبي رائع لانلمس فيه أي خلل ولا نقص. بل الجانب الأدبي في القصة القرآنية يعتبر مظهرا من مظاهر الإعجاز في كتاب الله تعالى))(1).

ومع كون القصة واقعيةلا تعتمدعلى الخيال،والخلق الفني؛فقداتصفت بكمال فني لا تتصف به أي قصة على وجه الأرض....

فالقصة((... لم تخرج عن دائرة الحياة الحقيقية في أحداثها، وشخصياتها وغيرها من الأسس ولكنها حبكت هذه الحقائق حبكا فنيا معجزا يمكن أن نمثله بإعجاز بلاغة القرآن،وألفاظه وتراكيبه... فالقصة كلها ،مكونة من مألوف ما يعرفه العقل ليس فيها ما هو مستغرب أو ما يتمرد على قدرته،ليس فيها أسطورة، أو وهم،أو نحو من الخيال الغريب أو غير الغريب الشاذ عن مدارك الإنسان الاعتيادي))(2).

ونستمع للشهيد سيد قطب وهو يقرر هذه الحقيقة ((ومع استيفاء القصة لكل ملامح (الواقعية) السلمية المتكاملة وخصائصها في كل شخصية وفي كل موقف وفي كل خالجة...فإنها تمثل المنهج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة ،ذلك الأداء الصادق الرائع بصدقه العميق وواقعيته السلمية...المنهج الذي لايهمل خلجة بشرية واقعية واحدة ،وفي الوقت ذاته لا ينشئ مستنقعا من الوحل يسميه(الواقعية) كالمستنقع الذي أنشأته(الواقعية) الغربية الجاهلية)).(3)

وبذلك تكون قصة يوسف، قد احتوت على كل صفات البناء الفني المحكم.مع واقعيتها ومع خدمتها للغرض الديني أساسا.((وقصة يوسف ـ من الناحية الفنية ـ مدت المثل النموذجي لبناء ،القصة الفنية التامة بمنهجها وأسس بنائها ،حيث ارتفع بناؤها على دعائم فنية تفوق كل صور البناء في حيز هذا النشاط)).(4)

---

(1)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص11.

(2)خالد أحمدأبوجندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:133،147.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1952.

(4)خالد أحمد أبو جندي،المرجع السابق،ص:130.

وقد استمدت هذه الوحدة الفنية،من كونها مزجت كل العناصر الفنية، وأخرجت منها قصة متكاملة فنيا.((وأزعم أن لهذه القصة وحدة فنية تمثل فيها التحام المنهج والأسس الفنية الأخرى من حدث،وشخصية،وبيئة،ومتسع زمني، وطارئ فني التحاما تاما أظهرها على كيفية تحقيق الغاية و إرسالها من خلال تضافر هذه الأسس تضافرا امتزاجيا تام الحبك))(1).

وماكانت قصة يوسف لتؤتي هذا الكمال الفني ؛إلا لأنها تميزت عن غيرها من القصص القرآني بمجموعة من المميزات. وعلى رأسها ،إفرادها بسورة واحدة مفصلة ،وعدم تكرارها في مواضع أخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)خالد أحمد أبو جندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص129.

المطلب الثاني:الغرض الفني في إفرادقصة يوسف ـ عليه السلام ـ

المعلوم أن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ قد تميزت عن غيرها من القصص القرآني بانفرادها بسورة كاملة من طوال السور،سميت بسورة يوسف ،وعدم ورودها في أي موضع آخر على غرار باقي القصص القرآني.فقد((انفردت قصة يوسف بسورة كاملة من طوال السور سميت باسم(يوسف) الذي تدور حوله معظم أحداث القصة ..وهذا مالم يكن لأية قصة أخرى من قصص الأنبياء غير نوح ـ عليه السلام ـ الذي سميت باسمه سورة من قصار السور ،وهي سورة نوح ،على حين أن بعض الأنبياء قد سميت بعض السور باسمهم كسورة هود،وسورة صالح،وسورة إبراهيم، ولكنها لم تكن خالصة للحديث عنهم،بل شاركهم في ذلك غيرهم من الأنبياء...وجاءت قصة يوسف في معرض واحد في القرآن الكريم ...وهذه ظاهرة لم تكن في قصة نبي من الأنبياء، حيث تتعدد المعارض،وتتوزع المشاهد في كل قصة...)).(1)

ولسنا هنا في معرض البحث عن سبب إفراد هذا النبي بقصة مفصلة دون غيره؛((لأن الله تبارك وتعالى لو شاء أن يفرد لكل نبي قصة على حدة في سورة واحدة...لفعل ؛ولكن هذا القرآن معجزة...)).(2)

وإنما نسعى إلى إبراز القيمة الفنية التي تجلت في القصة بسبب إفرادها مفصلة في موضع واحد،وبمعنى آخر الضرورة الفنية التي جعلت القصة تأتي على هذا الشكل.

إن إفراد القصة ،وتفصيلها في موضع واحد((من شأنه أن يلفتنا إلى الإعجاز المبين في النظم القرآني،ذلك الإعجاز الذي تتجلى آياته فيما يستولي على قارئ القصة أو المستمع إليها من روعة الجلال وسطوته،ومن يقظة الوجدان ونشوته على امتداد العرض، وتعدد المشاهد دون أن يفقد الشعور وحدته

---

(1)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص396.

(2)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص396.

ودون أن يجد المتلقي لأحداث القصة مجالا للتحرك خارج مسارها...))(1).

وذلك هو سبب كمال القصة الفنية...

وطبيعة القصة تستوجب هذا الطابع الخاص ((...ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف ،وتنتهي بتأويلها. بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها أو جملة حلقات في سورة وتكون بقيتها في سورة أخرى.

وهذا الطابع كفل لها الأداء الكامل من جميع الوجوه،فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذي من أجله سيقت القصة...)).(2)((...فهي رؤيا تتحقق رويدا رويدا،ويوما بعد يوم ومرحلةبعد مرحلة.فلا تتم العبرة بها ـ كما لا يتم التنسيق الفني فيها ـ إلا بأن يتابع السياق خطوات القصة ومراحلها حتى نهايتها.وإفراد حلقة منها في موضع لا يحقق شيئا من هذا كله كما يحققه إفراد بعض الحلقات من قصص الرسل الآخرين...أما قصة يوسف فتقتضي أن تتلى كلها متوالية حلقاتهاومشاهدها،من بدئها إلى نهايتها وصدق الله العظيم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾)).(3)

وخصوصية القصة تكمن أساسا في أن الله تعالى سماها بـ ((أحسن القصص))((لأنها عبدت للناس طرقا وشقت لهم مناهج يسلكونها في حياتهم:منها مايتعلق بالتربية ومنها ما يتعلق بالاقتصاد، ومنها مايتعلق بحسن التصرف في الأزمات...ومنها ما يتعلق بمفهوم العفة كيف تكون،ومنها الكثير و الكثير من أمور الحياة .وقصة يوسف ـ من الناحية الفنية ـ مدت المثل النموذجي لبناء ـ القصة الفنية ـ التامة بمنهجها وأسس بنائها...)).(4)

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نأخذ صورة عن ـ القيمة الفنية ـ التي أخذتها قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ،دون غيرها من القصص القرآني.

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:396،397.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1951.

(3) سيد قطب،**المرجع السابق**،ص:2037.

(4)خالدأحمدأبوجندي،الجانب **الفني في القصة القرآنية**،ص:130.

المطلب الثالث:الحبكة* الفنيـــة للقصـة

لقد سيقت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بصورة سردية ملفتة للنظر ؛حيث جاءت بدايات سـورة يوسـف على شكل مقدمات تمهيديةلعرض القصة، وجاءت نهايات السورة علىشكل تعقيبات ختامية على القصـة أيضا.وما يمكن التنبيه إليه هو أن هذه المقدمات والتعقيبـــات تخدم الغـرض الأساسي الـذي سيقت مـن أجله القصة وهو الغرض الديني.

فالقصة إذن لم تعرض مجردة؛بل مهّد لها ،وعقب عليها.وذلك من كمال العرض الفني للقصة ؛بحيث لايجـد السامع أو القارئ نفسه مباشرة داخل القصة،إنما يتهيأ لها مسبقا.فقـد هيئ لهـا بقولـه تعـالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.(1) وبعد هذا التمهيـد شرع مباشرة في سرد القصة من بدايتها بقوله تعالى :﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ...﴾.(2)

ولا يجد السامع، والقارئ نفسه خارج القصة أيضا،بعد نهاية سرد فصولها ؛بل يجد نفسه مع تعقيبات تمثل خلاصة القصة. فالقصة ليست هدفا بحد ذاتها وإنما المستهدف هو العبر المستخلصة منهـا.وذلـك مـا نجـده جليافي قصة يوسف ـ عليه السلام ـ حيث بعد الانتهاء من سرد فصولها ،بآخر مشهد يظهر يوسف ـ عليه السلام ـ متضرعا لله في محراب العبودية.﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(3).

بدأت السورة في التعليق والتعقيب على القصة :

---

(1)سورة يوسف /الآية:3.

(2)سورة يوسف/الآية:4.

(3)سورة يوسف/الآية:101.

* (الحبك:الشدّ..جاد ماحبكه إذا أجاد نسجه ،وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقداحتبكته))ابن منظور،**لسان العرب**،ج10،ص407،408

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.(1)

فالقصةإذن ذات طابع خاص((والتقديم والتعقيب على هذاالنحو يؤلفان مؤثرا موحيا من المؤثرات الكثيرة في سياق السورة،لتقريرالحقيقة التي يعرضانها...)).(2)

هذه هي الميزة الفنية الأولى للقصة؛حيث توضع لها((المقدمة والخاتمة في الغاية التي ألفت القصة لأجلها،فتجعل الأولى براعة مطلع ، والآخرة براعة مقطع..)).(3)

ثم نأتي بعد ذلك لجسم القصة ومحتواها لنرى كيف حبكت حبكا فنيا لامثيل له؟

إن مضمون القصة يقوم أساسا على رؤيا يوسف، وتأويلها.﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ...﴾(4)؛حيث((تبدأ القصة بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه ،فينبئه أبوه بأن سيكون له شأن عظيم،وينصحه بأن لا يقصها على إخوته كي لا يثير حسدهم فيغريهم الشيطان به فيكدون له..ثم تسيرالقصةبعد ذلك وكأنها هي تأويل للرؤيا وما توقعه يعقوب من ورائها حتى إذا اكتمل تأويل الرؤيا في النهاية أنهى السياق القصة))(5).فالبناء الفني للقصة يقوم على الرؤيا.وتفسير الرؤيا يطرح (بضم الياء وفتح الراء)لغزا،تتفكك خيوطه شيئا فشيئا عبر مشاهد القصة إلى نهايتها. ((...ثم يفصّل الموضوع ويتوزع على مشاهد مختلفة وبلاد متباعدة وسنوات عديدة، وفي ذلك كله سيظل النابه يحس أن حمأة التفاصيل ليست هي نهاية المطاف،وأن لغز الرؤيا لابد وأن ينكشف،ويجدالقارئ في الآية المائة عطفاعلى هذا اللغز وانكشافه من داخل الانكشاف التلقائي ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا،وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..الآية﴾.وعندذلك يشعرالمتتبع أن الحلقة قد استدارت وأن الموضوع قدبلغ غايته)).(6)

---

(1)سورة يوسف/الآية:102.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1966.

(3)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**(بيروت:دار المعرفة،1993م)،ج12،ص258.

(4)سورة يوسف/الآية:4

(5)سيد قطب،المرجع السابق،ص:1962،ج:4.

(6)محمدعلي أبو حمدة،**في التذوق الجمالي لسورة يوسف**،ص:29.

فالبناء الفني للقصة واضح إذن؛وتمثل الرؤيا فيه حجر الأساس ،وبلغة الفن (العقدة الفنية).

إذ((مايسمى بالعقدة الفنية في القصة واضح في قصة يوسف .فهي تبدأ بالرؤيا كما سبق ويظل تأويلها مجهول ،ينكشف قليلا قليلا ،حتى تجيء الخاتمة فتحل العقدة حلا طبيعيا لا تعمل فيه ولا اصطناع)).(1)

ومع أن الرؤيا تمثل (العقدة الفنية) الكبرى في بناء القصة. فإن البناء اشتمل أيضا على عقد فنية صغرى؛حيث أنه ((في الوقت الذي تكون هذه الرؤيا الحبكة الكبرى التي تشد سائر خيوط القصة، فإن هناك حبكات صغرى...تقوم بشد الخيوط بعضها إلى بعض .أوقل هي نقاط تعتيم فني كانت تسعى إلى نقاط إضاءة فنية.إن عبورهذه الحبكات أو النقاط الفنية يمنحها أنسا في تذوق السورة الكريمة....)).(2)

هذا من حيث العقدة الفنية.أما من حيث العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء القصة فقد توزعت ((...التوزيع الذي يتطلبه الفن القصصي، فهي موزعة بمقدار ،تظهر وتختفي حسب الظروف الطبيعية ،وحسب ما يحيط بالأبطال من أحداث))(3).

وهذه العناصر الفنية سيتم التطرق إليها في الفصول اللاحقة بالتفصيل .

أما من حيث العرض فالقصة لم تعرض في مشهدواحد،بل تعددت مشاهدها((.. والسياق يترك فجوات بين المشهد و المشهد يملؤها تخيل القارئ وتصوره،ويكمل ما حذف من حركات وأقوال،ومع ما في هذا من تشويق ومتاع...))(4).

---

(1) سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1962.

(2)محمدعلي أبوحمدة،**في التذوق الجمالي لسورةيوسف**،ص:30.

(3)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن الكريم** ،ص:314.

(4)سيد قطب،المرجع السابق،ج4،ص1962.

- والتشويق يعد شرطا فنيا أساسيا،لنجاح أي قصة ،فـ((التشويق يعتبر من أهم شروط القصة الناجحة. بل يكاد يكون التشويق هو العنصر المميز الهام لكل قصة سواء أكانت قصيرة أو طويلة)).(1)

ولقد كان عنصر التشويق في قصة يوسف بارزا أشد البروز ...

فبدأ التشويق بسرد الرؤيا؛حيث((كان هذا الحلم وحده كفيلا بإثارة اللهفة على معرفة تفسيره.ولكن القصة صارت بالخط البياني للتشويق في طريق تصاعدي بالآية التالية على لسان يعقوب - عليه السلام - ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.(2) أي أن والد يوسف أدرك تفسير هذا الحلم فحذر يوسف من أن يقصه على إخوته. ولكن ما هو تفسير هذا الحلم؟.. لماذا حذره أبوه من سرده على إخوته؟.. لقد أبقت طريقة السرد الرائعة الإفصاح عن هذا السر إلى نهاية القصة الطويلة المحكمة...)).(3)

وبذلك تكون القصة ،قد اشتملت على أهم عنصر فني ،وهو التشويق .

- وهكذا نكون قد لممنا بالغرض الفني في قصة يوسف إجمالا.وندع التفصيل للفصول اللاحقة...

---

(1)محمد كامل حسن المحامي،**القرآن والقصة الحديثة**،ص:38.

(2)سورة يوسف/الآية:5.

(3)محمد كامل حسن المحامي،المرجع السابق،ص:38.

المبحث الثالث: آثار خضوع قصة يوسف ـ عليه السلام ـ للغرض الديني

توطئة

إن الغرض الأساسي للقصة، هو الغرض الديني كما أسلفنا.وإن ورودالغرض الفني، كان وسيلة لتبليغ الغرض الديني.

ولما كان أساس القصة هو الغرض الديني ،فقد خضعت ((...في موضوعها وفي طريقة عرضها،وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية ،وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة...ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ،ووفائها بهذا الغرض تمام الوفاء ، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها...)).(1)

وسنتعرض إلى أهم الآثار التي برزت في القصة ،من خلال خضوعها للغرض الديني. سواء تعلق ذلك بمادتها أو بطريقة عرضها.

المطلب الأول: عرض القصة بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض الديني

لقد عرضت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بالقدر الذي يؤدي الأغراض الدينية التي سبق ذكرها، وعلى رأسها إثبات الوحي والرسالة.

فالقصة لم تتناول حياة هذا النبي ـ يوسف عليه السلام ـ من أولها إلى آخرها...

وإنما اقتطعت منها جزءا،وهو الذي يؤدي الغرض المقصود. ويتضح ذلك أكثر من خلال العناصر التالية:

الفرع الأول : الابتداء في عرض القصة

فالملاحظ في (قصص الأنبياء في القرآن) أن قصص بعضهم تبدأ في العرض من ميلاد النبي كقصة عيسى وموسى ،ويحي ... وبعضهم تبدأ في العرض من لحظات متأخرة في حياة النبي، كقصة نوح، وهود ، ولوط ، وصالح ،وشعيب.

---

(1) سيد قطب،التصوير الفني في القرآن،ص:162.

أما يوسف فبداية قصته كانت من لحظة متأخرة نسبيـــا في حياته ؛ حيث ((يبدأ الحديث عن قصةيوسف ـ عليه السلام ـ ولكن لا عن ولادته كماكان لموسى وعيسى ـ عليهماالسلام ـ ولكن عن طور متـأخر من طفولته وقد كان يدرك ويميز)).(1)

((فيوسف تبدأ قصته صبيا، فمن هذه الحلقة يرى الرؤيا التي تسيّر حياته كلها ،وتؤثّر في مستقبله جميعـا؛ إذ يرى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ...)).(2)

ومن خلال سير القصة في تفسير هذه الرؤيا ،يتبلور الغرض الديني ويبلغ ذروته في تفسير الرؤيا نهائيا.مـن خلال آخرمشهد للقصة.﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًا...﴾(3).

الفرع الثاني: الانتهاء من عرض القصة

وقصة يوسف ينتهي عرضها،بعرض ذلك المشهد الختامي ...بتصوير يوسف في محراب العبودية؛وهـو في أوج الأبهة والعظمة؛ ثم يسدل الستار عنه نهائيا...

وقد كان يوسف في عز شبابه ،وفي عز سلطانه.لكن القصـة تنتهـي عنـد هـذا الحـد فـلا تخبرنـا عـن مـآل يوسف؟وكيف أكمل حياته،بكل تفاصيلها؟...

ذلك لأن الغرض الديني اقتضى من القصة أن تنتهي عند هذا الحد. وهو أثر بارز من آثار خضـوع القصـة للغرض الديني.

الفرع الثالث: الإطناب و التفصيل

وكان من أثر خضوع قصة يوسف للغرض الديني (الإطناب والتفصيل)؛حيث أن طبيعـة القصـة،وطبيعـة الأغراض الدينية التي تريد إيصالها تقتضي التفصيل فيها بدقة.

---

(1)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ص:397.

(2)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:164.

(3)سورة يوسف/الآية:100.

((فمنذ أن تبدأ قصة يوسف تسير مفصلة حتى تنتهي .فما يقع له مع إخوته، وما يحدث له في مصر بعد شرائه وتربيته،ومراودة امرأة العزيز له،وسجنه،وتعبير رؤيا خادمي الملك ثم تعبيره رؤيا الملك،وخروجه ،وولايته (على خزائن الأرض)(وزارتي المالية والتموين)) ومجيء إخوته ودعوتهم ،ومجيء أخيه وعودة إخوته لأبيهم بدونه.وكمال القصة بقدوم أبيه وأهله ... كلها تفصل تفصيلادقيقا ،لأن التفصيل مقصود.أولا: لإثبات الوحي والرسالة...وثانيا:لأن لهذه التفصيلات قيمتها الدينية في القصة)).(1)

المطلب الثاني: مزج التوجيهات الدينية بسياق القصة

لقد كان من آثار خضوع قصة يوسف ـ عليه السلام ـ للغرض الديني،أن تمزج التوجيهات الدينية بسياقها قبلها،وبعدها ،وفي ثناياها.فقد رأينا من قبل أن قصة يوسف لم تعرض مجرّدة مبتورة. إنما قدّم لها،وعقّب عليها.وكانت تلك المقدمات،والتعقيبات ـ مع ما فيهما من غرض فني ـ تهدف أساسا إلى تثبيت توجيهات دينية محضة.

كقوله تعالى في مقدمة القصة:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.(2)

وقوله أيضا في ختام القصة:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.(3)

وقد مزجت القصة بالتوجيهات الدينية كما رأينا في مبحث (الغرض الديني في القصة).

والهدف من ذلك يعود إلى أن غاية القصة دينية تربوية محضة((ويهدف المنهج التربوي من ذلك إلى أن لا يندمج القارئ مع القصة،وينصرف إليها بكل تفكيره،فيطول به العهد وينسى المساق الأصلي للقصة .وتلك هي آفة الاستعانة بالقصة في التربية والتهذيب.إذ من شأنها أن تبعد القارئ أو السامع تدريجيا عن مسا قها الذي انطلقت منه وغايتها التي تسيرإليهابسبب انشغال الفكربأحداثها ومفاجآتها،وبماقد يكون لهامن مشاهدمثيرة)).(4)

---

(1)سيد قطب،**التصويرالفني في القرآن**،ص:166.

(2)سور يوسف/الآية:2.

(3)سورة يوسف/الآية:106.

(4)محمدسعيدرمضان البوطي،**منهج تربوي فريدفي القرآن**،ص:54.

وهذا ما نلحظه في قصة يوسف؛حيث أن أغلب مشاهدها مثيرة ـ فمن رؤيا يوسف ،إلى مؤامرة الاخوة، إلى مراودة المرأة،إلى مجلس النسوة،إلى رؤيا صاحبي السجن ،إلى رؤيا الملك إلى المشهد الأخير ـ.فلو ترك سياق القصة بدون مزج التوجيهات الدينية، لانساق القارئ والسامع مع الأحداث المثيرة والمشوقة،ولما أدت القصة غرضها الأساسي.

فقصة يوسف ((...تفيض بالجمل المعترضة التي تنبه القارئ إلى العبرة والعظة كلما أوشكت أحداث القصة ومشاهدها المثيرة أن توقعه في غفلة وذهول عنها)).(1)

فنجد مثلا: مشهدالمراودة،يصورلنا امرأة العزيز في قمة عنفوانها الجنسي ـ وهومشهد كفيل بأن يبعد القارئ والسامع عن غرض القصة ـ يمزج به التوجيه الديني، بموقف يوسف ـ عليه السلام ـ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ .قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾.(2)

((إن صبغ القصةبروح الموعظة والعبرة ،وتذييلها بالجمل والعبارات الإرشادية التي تتوجه من القاص إلى السامعين أو القارئين.ـ دون أن تتعرض صياغة القصة بذلك لاضطراب أو تفكك أو توهين لبنيتها الفنية ـ يعتبر ذروة عمل تربوي ناجح لا تجده في مظهره الكامل الدقيق إلا في كتاب الله عز وجل.)).(3)

وإذا كان أسلوب مزج التوجيهات الدينية بثنايا القصة.يهدف إلى عدم ترك المشاهد المثيرة والمشوقة تنسى الغرض الديني الأساسي.

فهومن جهة أخرى،يهدف إلىربط النصائح والإرشادات بغمارالتشويق الفني؛ ذلك((أن الله سبحانه وتعالىخلق الإنسان ويعرف ما توسوس به نفسه.ويعرف جلت حكمته أن الإنسان قديعزف عن النصح المباشرالسافرالذي يلجأ إليه رجال الدين في المساجد من فوق المنابر...

---

(1)محمدسعيدرمضان البوطي،**منهج تربوي فريد في القرآن**،ص:58.

(2)سورة يوسف/الآية:23.

(3)محمد سعيدرمضان البوطي،المرجع السابق،ص:59.

لذلك فان الحكمة الإلهية تورد النصح بطريق غير مباشر في كثير من القصص القرآنية كقوله تعالى:﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.(1)لقد ورد التحذير من الشيطان على لسان يعقوب لابنه وهوفي نفس الوقت تحذير غير مباشر لمن يقرأ السورة أو يسمعها)).(2) وهكذا فإن سياق قصة يوسف،لايسيرإلا وفي ثناياه تلك التوجيهات المتناثرة هنا وهناك. وهذه التوجيهات التي نجدها ((بكثرة ووفرة تدل على الغرض الأساسي من سياق القصة، وهو الغرض الديني أولا وقبل جميع الأغراض)).(3)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)سورة يوسف/الآية:5.

(2)محمد كامل حسن المحامي،**القرآن والقصةالحديثة**،ص:39.

(3)سيد قطب،**التصويرالفني في القرآن**،ص:170

المطلب الثالث: التناسق بين الغرض الديني والغرض الفني في القصة

لقد سبق أن ذكرنا بأن خضوع القصة للغرض الديني ، لم يطمس الغرض الفني فيها؛بل كان هناك تكامل وتناسق بينهما .

وكان((...من أثرهذا الخضوع بروز خصائص فنية بعينها تحسب في الرصيد الفني للقصة في عالم الفنون الطليق،... إن القرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية،بلغة الجمال الفنية)).(1)

وإنه لمن الكمال أن ينسق بين الغرضين في قصة واحدة ؛ حيث أن((...صبغ القصة بروح الموعظة والعبرة ،وتدبيجها بالجمل والعبارات الإرشادية التي تتوجه من القاص إلى السامعين أو القارئين، دون أن تتعرض صياغة القصة بذلك لاضطراب أو تفكك أو توهين لبنيتها الفنية يعتبر ذروة عمل تربوي ناجح ...)).(2)

والملاحظ في قصة يوسف أنها تمثلت هذا التناسق في أكمل صوره.فهي لم تكن قصة دينية جافة،و لم تكن أيضا قصة فنية مثيرة.بل جمعت بينهما في تناسق من شكل خاص.

وسنعرض في هذاالمبحث إلى أهم نقاط التناسق بين الغرضين في قصةيوسف ـ عليه السلام ـ

الفرع الأول:التناسق في عرض قصة يوسف مع قصص الأنبياء الآخرين

لقد كان الغرض الديني في قصة يوسف ـ كما بينا من قبل ـ هو: تسلية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووحدانية الله و وحدة طرائق الدعوة، وانتصار الحق على أعدائه ،والدعوة إلى الفضائل والتحذير من الرذائل...الخ.

فنشأ عن خضوع القصة لهذه الأغراض.أن المتأمل والدارس لقصص الأنبياء ،يتصور النبي يوسف وكأنه حلقة في سلسلة ممتدة من آدم إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد دعوا كلهم إلى نفس الأغراض الدينية.

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:171.

(2)سعيدرمضان البوطي،**منهج تربوي فريدفي القرآن**،ص:59.

وهذا الخضوع أنشأ جمالا فنيا من نوع خاص ؛حيث أن حلقات هذه السلسلة التي ينتمي إليها يوسف ـ عليه السلام ـ كأنها((...نبي واحد...على تطاول الأزمان والآماد: كل نبي يمروهويقول كلمته الهادية..ثم يمضي، ويجيء تاليه فيقول الكلمة ذاتها ويمضي. وهكذا)).(1)

وهو ما أكدته القصة في تعقيباتها المتتالية بقوله تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ...﴾.(2)

فيوسف ـ عليه السلام ـ هو أحد هؤلاء الرجال الذين كلفوا بالدعوة. فخضوع قصته للغرض الديني، أفضى بنا إلى ضم حلقته إلى حلقات الأنبياء السابقين، واللاحقين له .وفي ذلك الربط جمال فني أكيد.

الفرع الثاني:تناسق آخر مشهد مع أبرز غرض ديني

لقد كان من آثار خضوع قصة يوسف ـ عليه السلام ـ للغرض الديني، أن يعرض جزء من حياة هذا النبي الكريم ـ كما رأينا من قبل ـ .

ومن لطائف التناسق في قصة يوسف أن آخر مشهد فيها يتفق مع أبرز غرض ديني،وهو :

ـ **إثبات الوحي** ـ. مع كون هذا المشهد يؤدي الغرض الفني كاملا .((...ذلك أن آخر حلقة تعرض ...تتفق مع أظهر غرض ديني صيغت القصة من أجله، وفي الوقت ذاته يتفق هذا الختام مع الأصول الفنية ويبدو كأنه ختام فني لذاته.لاللغرض الديني من ورائه)).(3)

لقد كانت العقدة الفنية لقصة يوسف، هي تلك الرؤيا التي رآها وقصها على أبيه يعقوب.

ـ والرؤيا كما هو معلوم نوع من أنواع الوحي ـ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائرما لم يحدث بها،وإذاحدث بهاوقعت)).(4)

---

(1)سيد قطب،**التصويرالفني في القرآن**،ص:171.

(2)سورة يوسف/الآية:109.

(3)سيد قطب،المرجع السابق،ص:174.

(4)محمدبن عيسى بن سورة،(**الجامع الصحيح**)**سنن الترمذي** (بيروت:دارعمران)، ج4،ص536

وظلت مشاهد القصة تتوالى واحدا بعد الآخر، تفكك خيوط تلك الرؤيا،إلى غاية المشهد الأخير؛ الـذي تم تفسيرها فيـــــه نهائيا...

((فكان فيها ـ أي القصة ـ توافق في الختام من نوع خاص يتفق مع القصة في الابتـداء فقـد بـدأت القصـة برؤيا يوسف فختمت بتحقق هذه الرؤيا ،وسجود إخوته له وأبويه.و لم يخط خطوة واحدة وراء هذا كما فعلت التوراة،لأن الغرض الديني قد تحقق ،وتحقق معه للقصة أجمل ختام)).(1)

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:177،178.

الفرع الثالث: تناسق بين المطلع والختام

وظاهرة التناسق تظهر جلية من خلال التوافق بين المقدمات السابقة للسورة والتعقيبات اللاحقةلها. وبين هذه المقدمات والتعقيبات والقصةنفسها.وبين مطلع القصةوختامهاأيضا.

((وهكذا يتوافق المطلع والختام في السورة ،كما توافق المطلع والختام في القصة، وتجيء التعقيبات في أول القصة وآخرها،وبين ثناياها ،متناسقة مع موضوع القصة ، وطريقة أدائها وعباراتها كذلك فتحقق الهدف الديني كاملا ،وتحقق السمات الفنية كاملة، مع صدق الرواية. ومطابقة الواقع في الموضوع)).(1)

((فهناك حبكة بين التقدمة للقصة والتعقيب عليها ؛ظاهر منها نزول التقدمة مع القصة والتعقيب)).(2)

وذلك من لطائف التناسق في هذه القصة؛حيث كان من مقتضى الغرض الديني أن تتساوق القصة مع الوسط الذي تعرض فيه .فتساوقت قصة يوسف مع المقدمات والتعقيبات ـ كما رأينا من قبل ـ. وفي هذا التساوق تناسق فني نتج عن خضوع القصة للغرض الديني.

وهكذانكون قد انتهينا من هذا الفصل ـ قصة يوسف بين الغرض الديني والغرض الفني ـ. وقد فصلنا في الغرض الديني؛لكونه لا يتكرر في الفصول اللاحقة.وألممنا بالغرض الفني إلماما.على أن نبسط فيه أكثر في الفصول التالية.

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2037.

(2)سيد قطب،المرجع السابق،ص:1950.

الفصل الثاني

اللمسات الفنية لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة:

المبحث الأول: طريقة عرض القصة.

المبحث الثاني: العناصر الفنية في القصة.

المطلب الأول:الأحداث.

المطلب الثاني:الشخوص(الأشخاص).

المطلب الثالث:الحوار.

المطلب الرابع:القوى الغيبية في القصة.

المبحث الثالث: الفجوات الزمنية.

المبحث الرابع: المفاجأة وتنوع طريقة عرضها.

المطلب الأول:مواجهة المتلقين بالمفاجأة مباشرة.

المطلب الثاني:مواجهة المتلقين والأبطال بالمفاجأة مباشرة.

المطلب الثالث:كشف سر المفاجأة للمتلقين وكتمانها عن الأبطال.

المطلب الرابع:كتمان سر المفاجأة عن الأبطال والمتلقين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

السمات الفنية لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة

لقد سبق أن ذكرنا في مبحث (الغرض الفني في القصة) من خلال الفصل السابق،أننا سنقوم بدراسة فنية مستفيضة لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ هذه الدراسة تشمل الفصل الثاني والثالث و الرابع من هذا البحث.

وفي هذا الفصل نتناول السمات الفنية لهذه القصة من حيث الظواهر الفنية العامة، والعناصر الفنية التي تقوم عليها هذه القصة.

هذه الظواهر، والعناصرالفنيةالتي((تحقق ـ من خلالها ـ الغرض الديني للقصةعن طريق الجمال الفني،إذ أن هذا الجمال يجعل ورودها إلى النفس أيسر ، ووقعها في الوجدان أعمق)).(1)

والدراسة على هذا النحو، لها قيمتها الفنية في ميدان دراسة القصة الفنية الحرة.

والقصة الفنية ((نشاط إرادي يرتب خلاله الكاتب العناصر و الأسس الفنية الرئيسية التي تتكون منها حبكة القصة الفنية،ترتيبا إراديا،وكل هذه العناصروالأسس تمثل خيوط الغزل التي يحبكها الكاتب حبكا فنيا متلاحما...)).(2) والقصة الفنية((وسيلة من وسائل التعبير الفني ينشرها الكاتب فيبرز بهاما يشغل الناس من أمور الحياة، وما تتصف به نفوسهم من خلال و أخلاق.لينصح، أو يرشد، أو يعظ، أو ينقد،أو يلاحظ...)).(3)

وإذا نظرنا إلى هذا المفهوم للقصة الفنية نجده يتفق في كثير من الأمور مع قصة يوسف ـ عليه السلام ـ فقد كانت غايتها كما رأينا من قبل ـ الغرض الديني ـ . لكنها سيقت بصيغة فنية متكاملة .

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:180.

(2)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:119.

(3)خالدأبو حندي،المرجع السابق،ص:126.

وسنتعرض مباشرة إلى أهم الظواهر الفنية،والعناصر التي قامت عليها القصة.

المبحث الأول: طريقة عرض القصة

أول ظاهرة فنية نسجّلها على القصة ـ قبل التفصيل في عناصرها الفنية ـ طريقة عرضها المتميّزة.

إن المتأمل في القصص القرآني يجد اختلافا في طرق عرض كل قصة.فمرة يذكر ملخصا للقصة بسبقها،ثم تعرض التفصيلات من بدئها إلى نهايتها،وذلك كطريقة عرض قصة أهل الكهف،ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها،ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها وذلك كقصة موسى ـ عليه السلام ـ في سورة القصص،ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمةولا تلخيص مثل ذلك قصةمريم عند مولد عيسى ـ عليه السلام ـ ومرة يجيل القصة تمثيلية،فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض،ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها...(1).

وطريقةعرض قصة يوسف من النوع الثاني؛حيث بدأت بتمهيد ـ بيّن عاقبةالقصةومغزاها ـ تمثل في رؤيا يوسف .ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها،وتسير إلى النهاية موافقة لذلك التمهيد.

((تبدأ القصةبتمهيد هو رؤيا يوسف:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* قَالَ يَابُنَيَّ لَاتَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانَ عَدُوٌّ مُبِينٌ*وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(2).

---

(1)للتفصيل في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب:**التصوير الفني**،سيد قطب، ص:171،172

(2)سورة يوسف/الآيات:4،5،6.

ونفهم نحن من هذا التمهيد، ما سيدور في القصة من أحداث تلم بيوسف،فنعلم أنه سيكاد له،ونعلم أن هذا الكيد لن يقضي عليه ،فسينجيه ربه ويعلمه من تأويل الأحاديث ،ويتم نعمته عليه،ويجعله نبيا ،كما أتمها على أبويه من قبل)).(1)

فهذا التمهيد كان بمثابة استشراف مستقبلي لما ستؤول إليه أحداث القصة. ثم ((تسير القصة بعد ذلك،وكأنما هي تأويل للرؤيا،ولما توقعه يعقوب من ورائها،حتى إذا تحققت أنهى القصة...)).(2)

وهكذا تكون طريقة عرض القصة،طريقة فنية متميزة ؛حيث يعرف المتلقي المغزى من القصة،والإطار العام الذي ستدور فيه من خلال التمهيد،لكنه يزداد ارتباطا بالقصة بهذه البداية المشوقة التي تدفعه لمعرفة التفاصيل دفعا .وهذا ما نلمسه في بداية تفاصيل القصة بقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾.(3)

وفي هذه الآية تشويق بطريقة تصاعدية إلى آخر القصة...

فطريقةعرض القصةمشوقة إذن.. وتضمن لها النجاح الفني الكامل،لتبلّغ غرضها الأساسي .

ـ وإذا كانت هذه ملاحظة فنية عامة ،فما هي الأسس الفنية،والعناصر التي قامت عليها القصة في حبكها وبنائها؟.

---

(1)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:315.

(2)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:172.

(3)سورة يوسف/الآية:7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: العناصر الفنية في القصة

العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء كل قصة فنية تحظى بالكمال الفني هي:الأشخاص الذين تدور حولهم القصة،والحوار الذي يدور بينهم،والأحداث التي يقومون بها.

فإذا نظرنا إلى قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وجدناها اشتملت على هذه العناصر الثلاث وزادت عليها عناصر أخرى، تعد من خصوصيات القصة القرآنية عموما.وقصة يوسف خصوصا فـ((...هي قصةرحبةواسعة تتعددفيهاالشخصيات وتتلون الأحداث،ويجري فيها الحوارهينا لينا رقيقا،وتتوزع فيها العناصر التوزيع الذي يتطلبه الفن القصصي. فهي موزعة بمقدار تظهر وتختفي حسب الظروف الطبيعية،وحسب مايحيط بالأبطال من أحداث).(1)

وإذا أردنا التفصيل في ذلك، فإننا نورد العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء قصة يوسف ـ عليه السلام ـ كما يلي :

المطلب الأول: الأحداث

مفردها حدث ،والحدث في اللغة:((هو وقوع شيء لم يكن...حدث أمر أي وقع)).(2)والمقصود بالأحداث هنا هي تلك الوقائع التاريخية التي حدثت ليوسف ـ عليه السلام ـ وأبيه وإخوته كما كانت في الواقع وكما قصها القرآن الكريم.((وقصة يوسف قطعة من تاريخ الأحياء،وليست رواية من صنع البشر)).(3) ولكي نلّم بهذا العنصر الفني؛ علينا أن نتناوله من الجوانب التالية:

الفرع الأول: طبيعة الأحداث:

إن الأحداث التي وقعت في قصة يوسف بالرغم من كونها مشوقة ومثيرة ؛فهي مما يقع في حياة الناس عادة.((فالقصة كما وردت،من حيث الفحوى يمكن أن تقع في كل زمان ومكان،ويمكن أن يعيش أحداثها كثيرون من الناس ولكن المرمى منها،يختلف عن قصص الناس وحياتهم)).(4) فهي:((...أحداث عادية تقع لكل شخص وفي كل زمان ومكان،فليس يبعد أن يرحل إسرائيلي من بلد إلىآخر....

---

(1)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**، ص:314.

(2)ابن منظور،**لسان العرب المحيط**(بيروت:دارالجيل)،ج:،8ص:131.

(3)محمد الغزالي،**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ج2،ص28.

(4)سميح عاطف الزين،**قصص الأنبياء**(ط4؛بيروت:دار الكتاب،1988م)،ص351،352

وهو فقير معدم فتصير إليه مقاليد بيت المال،وليس يبعد أن تقع كل الأحداث لشخص فيكون موقفه منها موقف - يوسف - حتى حادثة المراودة...)).(1)

وما يميز طبيعة الأحداث في قصة يوسف. أنها تولّدت عن رؤيا ،كشف ليوسف من خلالها: أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين .((ولقد قص يوسف على أبيه ما رأى في منامه،ويفطن يعقوب لما تحمل هذه الرؤيا لابنه من شأن.وماتبيت له من خطر فيطلب منه ألا يقصها على إخوته)).(2)

والرؤيا مع كونها نوعا من أنواع الوحي(3) فهي أمر مألوف في حياة الناس .فكم من رؤيا يراها الإنسان في ليلته ؛ ليجدها تطبق حرفيا في اليوم الموالي.

فرؤيا يوسف كانت بمثابة((....بؤرة لإثارة المشاعر المتعارضة إذ زادت من جلب يعقوب ليوسف - عليهما السلام - وهذا بدوره أشعل نار الغيرة،وأثار حفيظة الحسد في أنفس إخوة يوسف .الأمر الذي ترتب عليه التخطيط للمكيدة....)).(4)وهكذا تستمر الأحداث وفق ما خططت له الرؤيا .حتى إذا تحققت انتهت الأحداث والقصة معا.

وعنصر الرؤى بارز في القصة، فبالإضافة إلى الرؤيا الأساسية ((وقعت ثلاث رؤى ، ألمحت بتحقّقها إلى دفع الأحداث كي تحقق الرؤيا المحورية.إذ نجد رؤيتي الفتيين اللذين أو لجا السجن مع يوسف ،حيث أطلعنا السرد على مصيرهما .من حيث أن أحدهما سيسقي الملك خمرا،وسيصلب الثاني،وليرشد الذي نجا الملك إلى يوسف)).(5)وكذلك رؤيا الملك التي كان تفسيرها سببا في خروج يوسف وتوليه الوزارة.

يبقى حدث واحد في القصة يخرج في طبيعته عن الأحداث المألوفة وهو:

---

(1)محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص320.

(2)محمد طول،**البنية السردية في القصص القرآني**(الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1991) ص28.

(3) انظر إلى مبحث التناسق الفني في الفصل السابق.ص:98.

(4)خالد أحمد أبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:149.

(5)محمد طول،المرجع السابق،ص:31.

ارتداد بصر يعقوب بواسطة إلقاء القميص عليه.وهذا الحدث يدخل في إطار الخوارق والمعجزات؛التي يجريها الله على أيدي أنبيائه وأصفيائه ـ كما بيّنا في مبحث الغرض الديني في القصة .

الفرع الثاني: تسلسل الأحداث

لقد رتبت أحداث قصة يوسف ترتيبا زمنيا حسب حدوثها؛بحيث يجد القارئ نفسه يتساءل بعد كل حدث(ماذا بعده؟)فيجيبه السياق بالحدث الموالي حسب الترتيب الزمني. وهو ما يسميه النقاد فنيا بـ: (العليّة الزمنية).

فالأحداث في قصة يوسف تتحرك في:((...حركة مسايرة لحركة الزمن،حيث ينمو الحدث نموا طبيعيا مع سير الأيام والليالي ،كما ينمو الكائن الحي ويتطور مع مسيرة الزمن.. فالصغير يكبر،والكبير يشيخ ويهرم،والعواطف الشابة الحارة الثائرة،تبرد وتهدأ.. وهكذا تظهر (بصمات) الزمن على وجوه الناس وعقولهم وقلوبهم،كلما خطا بهم الزمن خطوة إلى الأمام...)).(1)

وقد رتبت الأحداث ترتيبا سببيا أيضا؛حيث يكون الحدث السابق معللا للحدث اللاحق ويكون مسوغا فنيا لحدوثه.وهذا التسلسل السببي يجعل القارئ المتذوق يتساءل بعد كل حدث:((...(لماذا حدث هذا) وهو سؤال مركب،أعني أنه لايكتفي بالتعليل السببي المباشر، بل يطلب دائما التعليل السببي الفني.أي بعد أن يستفهم عن علة الحدوث يستفهم عن الغاية من الأحداث...وقد اعتاد الأدباء تسميته بـ (العلية السببية))).(2)

والأحداث في قصة يوسف يتولد بعضها عن بعض((ويمكن أن نشير هنا إلى أول حدث أساس وهو مكيدة بني إسرائيل لأخيهم يوسف ـ عليه السلام ـ نجده نتيجة وسببا في آن واحد:فهو نتيجة لهذا الحب الدافق الذي أغدقه يعقوب على يوسف،...وهوسبب لحدث رئيسي آخر؛ انتقال يوسف إلى مصرواستخدامه في بيت العزيز....

---

(1)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:398

(2)خالد أبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:148.

وهذا الحدث الرئيسي كان سببا ونتيجة في آن ؛إذ تسبب في إدخال يوسف السجن... وهكذا دواليك تتوالى هذه السلسلة ـ الحدثية الفنية ـ حتى نهاية القصة...)).(1)

ومما سبق يتبيّن لنا أن الأحداث في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ جاءت متسلسلة تسلسلا زمنيا (العلّية الزمنية)،وجاءت أيضا متسلسلة تسلسلا سببيا(العلّية السببية).

وهذا التسلسل المزدوج للأحداث يعطي للقصة بعدا فنيا جماليا لا نظير له....

الفرع الثالث: أسلوب عرض الأحداث

إن الأسلوب المعتمد في التعبير القرآني عموما هو:(التصوير).

والتصوير يعد الخاصية الأساسية للقرآن؛حيث أن ((...التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي تتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها،فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري ،لا قصة تروى ولا حدثا قد مضى)).(2)

ولأهمية هذه الظّاهرة الفنية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ سنخصّص لها فصلا كاملا.

نتناول فيه بعض مشاهد القصة، وبعض أحداثها،وكيف أوردهم السياق القرآني بصيغة التصوير الفني.

الفرع الرابع: الأحداث والزمن

إن لعنصر الزمن مكانه في سرد الأحداث ،فلا يمكن سرد أحداث مبتورة عن الزمن الذي وقعت فيه.((...وخروج الحدث القصصي عن حدود الزمن وقيوده يجعله في عزلة عن الحياة...)).(3)

والزمن أشبه ما يكون ((...باللون الذي يستعمله المصوّر،ويجريه على اللّوح الذي بين يديه....)).(4)

وارتباط الزمن بالأحداث تتناوله من وجهين:

---

(1) خالد أبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:135.

(2)سيدقطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:190.

(3)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:82.

(4)عبد الكريم الخطيب،**المرجع السابق**،ص:82.

1- ارتباط الأحداث بفترات زمنية محددة:

لقد جاءت أحداث قصة يوسف، مرتبطة بفترات زمنية محددة. فالقصة بكاملها مرتبطة بفترة زمنية ماضية. ويظهر هذا من خلال مقدمتها ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.(1)

وبعض أحداث القصة ورد فيها عنصر الزمن بصورة التحديد.

((فإذا أخذنا قصة يوسف... فإننا نجد العنصر الزمني ممسكا بها من كل جوانبها...فهي ـ كما يبدو في نظم القرآن ،وفي دلالة ألفاظه ـ أحداث من الزمن الماضي.. قد اقتطعت منه،وجاءت في العرض القرآني لها)).(2)

والتفصيل في سرد الأحداث، يعطينا انطباعا عن طبيعة الفترة التاريخية التي وقعت فيها القصة فنلمس:((...اللّمحات الدّالة على طبيعة الفترة التاريخية التي وقعت فيها أحداث القصة وتحركت فيها أشخاصها...فواضح تماما انطباع هذه الفترة الزمنية بالرؤى والتنبؤات التي لاتقتصر على أرض واحدة،ولاعلى قوم بأعينهم،ونحن نرى هذه الظاهرة واضحة في رؤيا يوسف وتعبيرها و تأويلها في النهاية.وفي رؤيا الفتيين صاحبي السجن وفي رؤيا الملك في النهاية...)).(3)

هذا من حيث طبيعة العصر...أما من حيث استعمال الزمن داخل أحداث القصة،فقد وردت بعض جزيئات الزمن في أحداث القصة: (عشاء)، (بضع سنين)، (سبع سنين) (حتى حين)،(بعد أمة)،(عام).

فنضرب مثلا :بالجزئيتين الزمنيتين(عشاء)و(بضع سنين) لنرى كيف وظّفتا في القصة.

---

(1)سورة يوسف/الآية:3.

(2)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:84.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1962.

أ ـ قال تعالى:﴿وَجَاءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَاءٗ يَبۡكُونَ﴾.(1) إنهم إخوة يوسف بعدما فعلوا فعلتهم ومكروا بأخيهم،وأرادوا إخبار أبيهم...اختاروا هذه الفترة الزمنية(عشاء).ولكن لماذا؟

((...لأن لها مكانا في سير أحداث القصة.وذلك أن ظلام الليل الذي أظل هذا الكذب ولفقه هو نفسه الذي نم على الكذب ،وألقى في روع الأب أن أبناءه لو كانوا صادقين لأسرعوا إليه مخبرين بالحدث في وقته،لأن مثل هذا الحدث لايسكت عليه لحظة. وإذن فان هذا الحدث لم يقع على صورته التي صوره بها هؤلاء الأبناء...)).(2)

((وذكر العشاء في قصة إخوة يوسف لأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة، ولذ لك تستر إخوة يوسف في غبشه وضبشه، وظلامه وسواده. وجاءوا فيه إلى أبيهم يخبرونه هذا الخبر المشئوم المكذوب...)).(3)

ب ـ وقال تعالى:﴿....فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾(4) إنه يوسف بعد أن فسر رؤيا صاحبيه وطلب من الناجي منهما أن يذكر قضيته عند الملك،وبعد أن نسي طلبه...بقي في السجن بضع سنين.فما هو الهدف من إدماج هذه الجزئية الزمنية في هذا الحدث؟ وما الغرض منها؟

إن((...هذه الجزئية من الزمن ـ بضع سنين ـ لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي العظيم،وما في نفسه من قوى الإيمان بالله ولو افتقدناها في القصة لافتقدنا هذا الإحساس وتلك المشاعر ،وهذا التعاطف الذي يصل بيتنا وبين هذا النبي الكريم،وما في نفسه من رصيد من الصبر والإيمان..))(5).

وهكذا تم توظيف هذه الجزيئات الزمنية في أحداث القصة لتعطي لنا دلالات، وإيحاءات نتملاها من وراء الحدث المنطوق...وذلك من اللفتات الفنية،في هذه القصة العظيمة.

---

(1)سورة يوسف /الآية:16.

(2)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:84.

(3)عبدالحافظ عبدربه،**بحوث في قصص القرآني**،ص:59.

(4)سورة يوسف/الآية:42.

(5)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:85.

2- توزيع الزمن على مشاهد القصة

لقد جاءت أحداث قصة يوسف في شكل مجموعة من المشاهد،كل مشهد مستقل عن الآخر،وتفصل بينهما فجوة زمنية. فكيف قسّم الزمن على هذه المشاهد؟ وكيف قسّم أيضا على هذه الفجوات؟

- الملاحظ أن هناك تقسيما محكما للزمن على مشاهد القصة؛هذا التقسيم يتناسب مع الغرض الأساسي للقصة وهو: (الغرض الديني).فكلما كان المشهد ملحّا على(الغرض الديني) كان له أوفر حظّ في المتسع الزمني.وبذلك كان ((...المتسع الزمني الذي لا تحمل دقائقه وثوانيه أو أيامه ولياليه. حدثا فنيا ذا بال ،أو موقفا إيجابيا يعني القارئ ،أو صفة شخصية من شخصياتها تتصل بالغاية العامة من القصة.يطرد من التدفق الروائي،أو يهمل ،أو يغفل إغفالا فنيا..)).(1)

ونضرب مثالا على ذلك: بمشهد المراودة،لنبيّن كيف قسّم الزمن على أجزاء هذا المشهد. ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.(2)

إنّ المتأمل في هذا الجزءمن المشهد، يدرك أنه لب المشهد:(المراودة)،ولكن السياق اختزله اختزالا، و لم يعطه من الزمن إلا النزر القليل(على طريقة الومض)؛مع أن المشهد ملـــــيء بالمراودة،والإغراء.وتغليق الأبواب ،والتهيؤ للفاحشة من طرف امرأة العزيز. وهذا يستغرق وقتا طويلا... وقد طواه السياق في لحظة واحدة ، وفي لمح البصر.لأن التركيز عليه لايخدم الغرض الديني العام؛ الذي سيقت من أجله القصة.فالقصة لا تنكر هذا الجانب من حياة الإنسان، ولكنها لا تضخمه على حساب الجوانب الأخرى التي تدعو إلى العفة .

---

(1)خالد أحمد أبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية** ص:211.

(2)سورة يوسف/الآية:23.

وذلك كي لاتتحول القصة إلى مشاهد غرامية، تصرف المتلقي لها عن الغرض الأساسي الذي سيقت من أجله.

وعلى العكس من ذلك وجدنا التحقيق في براءة يوسف من التهمة التي ألصقت به؛يأخذ متسعا زمنيا كافيا،إلى غاية الوصول إلى تبرئته، وإلقاء اللوم على امرأة العزيز.ذلك لأن هذا الجزء من المشهد(مشهد المراودة) يتفق مع الغرض الديني للقصة وهو: (الدعوةإلى العفة). وهكذا فقد((...منحت القصة القرآنية المقاسم الزمنية على مسرحها مساحات متباينة تتسع حينا، وتضيق أحيانا، فلا تكاد تلمحها حتى تفلت من بين ناظريك كأنما هي لمح من بصر ،وقد تسترخي وتتباطأ حينا تبعا لأهمية المشهد الروائي الذي تستعرضه)).(1)

وقس على ذلك باقي المشاهد الواردة في القصة،فهي تخضع في توزيع الزمن إلى نفس المنهج.

هذا من حيث المشاهد...

أما الفجوات التي تفصل بينها، وهو ما ((يؤديه في المسرح إنزال الستار،وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة،بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق)).(2)

ـ هذه الفجوات قد قسم عليها الزمن في قصة يوسف بطريقة فنية ملفتة للانتباه، جعلتنا نخصص لها مبحثا خاصا في هذا الفصل.

---

(1)خالد أبو جندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:219.

(2)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:187،188.

الفرع الخامس: الأحداث والمكان والبيئة

فكما تبين لنا سابقا بأن الأحداث في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ لم تكن مفصولة عن الزمن ، وكان الزمن عنصرا أساسيا في أحداث القصة بكاملها.

فإن عنصر المكان له قيمته أيضا في كل قصة،وفي قصة يوسف خصوصا؛حيث((يلعب المكان دورا هاما في بناء القصة وفي تركيبها.إذ يعد الإطار الذي تنطلق منه الأحداث .

وتسير فيه الشخصيات ،بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا.ليصبح عنصرا حيا فعالا في هذه الأحداث...)).(1)

وارتباط المكان بالزمان في سرد الأحداث ارتباطا وثيقا؛حيث لا يصبح للحدث قيمة إذا لم يرتبط بالمكان الذي وقع فيه،وزمان حدوثه أيضا.

ومن هنا فـ ((...كما أن للزمان حسابا وتقديرا في بناء القصة ،وفي ضبط حركات الأحداث وانتظام خطوها.. فكذلك الشأن في المكان ، حيث يكون الزمن هو اليد الحاملة لهـــذا الوعاء)).(2)

1 ـ مكان الأحداث

لقد حددت لنا قصة يوسف الأماكن التي تجري فيها الأحداث . بدءا بموطن يعقوب وبنيه ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾.(3) ؛حيث((كان يعقوب يسكن بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام)).(4)

إلى المكان الذي بيع فيه يوسف، واستقر فيه مع أهله من بعد.وهو مصر ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ...﴾.(5)

وكل الأحداث الواردة في القصة ،دارت فصولها في أرض فلسطين،وفي أرض مصر،وفي الطريق الرابط بينهما.

---

(1)محمد طول،**البنيةالسردية في القصص القرآني**،ص:34.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:91.

(3) سورة يوسف/الآية:100

(4)أبو الفدا إسماعيل بن كثير،**تفسير القرآن العظيم**(الجزائر:دار الثقافة للنشر والتوزيع)

ج:4،ص:1970.

(5) سورة يوسف/الآية:21.

فالأحداث ترتبط بالأمكنة ((...وفقا لنمو الحدث ،وتحول الشخصية وحركتها...فلقد تعينت البداية في أرض الشام تم انقلبت إلى مدين وجرت تتمتها في مصر)).(1)

وذكر المكان في القصة له قيمته الفنية؛فالمكان((...الذي حمل إليه (يوسف) وأنه مصر...- فيه - ما يشير إلى تلك الغربة النائية التي فصلت بين يوسف وأهله.فأين أرض كنعان بالشام، حيث أبوه وأهله ،من أرض مصر التي استقر فيها؟)).(2)

و لم يكتف الإشعار الفني بذكر الأماكن التي وقعت فيها أحداث القصة؛ إنمارسم لنا بريشة مبدعة ،ظلال البيئة التي وقعت فيها هذه الأحداث.

2- بيئة الأحداث

البيئة التي وقعت فيها أحداث القصة مرتبطة بأماكن وقوعها...

فالبيئة التي عاش فيها يوسف - عليه السلام - بداية حياته مع أهله بيئة بدوية ترتسم ظلالها من خلال الظواهر العامة التي ذكرت في القصة((فقد ذكرالذئب في التدفق الروائي ثلاث مرات.والذئب ظاهرة عامة ومألوفة في البيئة البدوية،وقد ذكر مع الذئب البئر.وأنها في طريق مألوفة للسيارة...)).(3)

ومظاهرالبيئة البدوية بادية أيضا، من خلال قول إخوة يوسف لأبيهم:

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ...﴾.(4)((أي أرسله معنا غدا إلى البادية ،يتسع في أكل مالذوطاب ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره))(5).ومن خلال قوله تعالى:﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾(6).((قال ابن عباس:جاء قوم يسيرون من مدين إلى مصر فأخطئوا الطريق فانطلقوا يهيمون حتى هبطوا على الأرض التي فيها جب يوسف ،وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران)).(7)

---

(1)محمدطول،**البنيةالسردية** ،ص:46.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:94.

(3)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:221.

(4)سورة يوسف/الآية:12.

(5)محمدعلي الصابوني،**صفوةالتفاسير**،ج:2،ص:43.

(6) سورة يوسف/الآية:19.

(7)محمد علي الصابوني،**المرجع السابق**،ج:2،ص:44.

وفيه دلالة على أن أماكن الأحداث كانت خالية،تطبعها البيئة البدوية عموما.أما الغاية من ذلك؛ فتكمن في الإشعار المسبق بالتغير البيئي الذي سيلقاه يوسف بعد انتقاله إلى مصر.وكيف سيواجه ذلك التغير؟ وهل يؤثر في صفاء معدنه الذي تلقّاه من صفاء البادية؟

ثم يطوى سياق القصة ظلال تلك البيئة البدوية،لينتقل بنا رفقة السيارة مع يوسف إلى مصر، حيث البيئة الجديدة ،المختلفة عن سابقتها.إنها البيئة المدنية المتطورة ... وفيها:((...يستعرض الحدث جلبة المدنية وضوضائها، وظواهر الترف وأشكال البيوت ذات الأبواب التي تغلق ،ويستعرض السجن والداخلين إليه ،وماذا يكون من شأنهم في داخله.ويستعرض الحدث من ظواهرالمدينة،أنماط السلوك الاجتماعية والعادات والتقاليد. وصورا من القوانين و ألوان أمن الأحكام،ونظام الزراعة والاقتصاد. وبعامة يستعرض الحدث صورة بمجتمع مدني مستقر،له ملك،وفيه وزراء،ومناصب للأمانات الحساسة)).(1)

والإشعار الفني، من وراء رسم هذه الملامح البيئية ،يخدم الهدف الأساسي للقصة ،وهو الغرض الديني؛حيث أن ضوضاء المدينة وصخبها ،وفتنة نسائها،وصرامة أنظمتها ،وجلالة المناصب فيها، لم يؤثروا جميعا في شخصية يوسف ←

ـ عليه السلام ـ فإذا تابعناه في تعامله مع هذه البيئة المغرية فإننا لا نفتقد((...ملامح هذه الشخصية المنبثقة من مقوماتها الذاتية البيئية الواقعية،المتمثلة في كونه (العبد الصالح ـ الإنسان ـ بكل بشريته ـ مع نشأته في بيت النبوّة. وتربيته ودينه)...)).(2)

المطلب الثاني: الشخوص(الأشخاص)

والعنصر الثاني الذي يقوم عليه بناء القصة،بناء فنيا هو عنصر ـ الأشخاص ـ.

فأحداث القصة المتنوعة،كان أبطالها أشخاص متعددون،فلا يمكن أن تسير الأحداث بدون أشخاص فهناك تلازم فني بين الحدث والشخصية.

---

(1) خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:221،222.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1955.

إذ لا يمكن((...فصل الشخصية الفنية عن الحدث إذ أن معنى القصة يقوم أو يتضح في جزء من أجزائها دون الأجزاء الأخرى،وبذا تكون الشخصية مرتبطة بالحدث،والحدث مرتبطا بالشخصية،والحدث والشخصية كلاهما يستعرض جزءا من الفكرة العامة صاعدا بها نحو الغاية المحدودة من القصة)).(1)

وفي قصة يوسف هناك ترابط وثيق،بين الأحداث والشخوص؛ فشخصية يوسف مثلا: بقيت مرتبطة بالأحداث التي سارت فيها.بسمت واحد ((...حيث تظل شخصية يوسف هي هي،على الوجه الذي تطالعنا به من أول القصة إلى آخرها،وحيث نلقاها بعد ذلك مرات ومرات دون أن تتغير ملامحها،أو تبهت منخصاتها...)).(2)

ولأن(التصوير الفني)هو الأسلوب المفضل لعرض الأحداث في قصة يوسف ـ كما سنرى في فصل (التصوير الفني في القصة)ـ فإن من ألوان التصوير، رسم الشخوص وإبرازها.

ومن هنا يتبين الخيط الرفيع الرابط بين الحدث،والشخصية.

ولأهمية هذا العنصر الفني (الشخوص)سنفرد له أيضا فصلا خاصا.على غرار(التصوير الفني).وفيه سنفصل في الشخوص الواردة في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: الحـــــوار

الحوار هو ثالث عنصر أساسي في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ فهو وسيلة التخاطب بين شخصيات القصة،وهو الوسيلة الفنية لتصوير الحوادث.ولا تكتمل صورة (التصوير الفني)

إلا بعنصر الحوار. فالتصوير الفني يحيل المعاني الذهبية المجردة إلى كائن حي تدب فيه الحياة((..فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة،وإذا الحالة النفسية لوحة أومشهد،وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية بجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة

---

(1)خالد أبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:167.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:99.

فإذاأضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخليل...))(1).

والحوار كان عنصرا بارزا في أغلب القصص القرآني، ومنها قصة يوسف ؛حيث ((نجد الكثير من القصص القرآني كان الحوار فيه عنصرا مهما ـ إن لم يكن العنصر البارز ـ وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها، وذلك من مثل قصـــــة يوسف...)).(2)وقصة يوسف((...هي قصة رحبة واسعة تتعدد فيها الشخصيات وتتلون الأحداث ويجري فيها الحوار هينا لينا رقيقا...)).(3)

وسنحاول تسليط الضوء على أهم عناصر الحوار في قصة يوسف، التي نوردها على الشكل التالي:

الفرع الأول: موضوعات الحوار

لقد ذكرنا في ماسبق أن الغرض الأساسي لقصة يوسف هو الغرض الديني،ومادام الحوار عنصرا فنيا في هذه القصة،فإن موضوعه لن يخرج عن موضوع القصة العام،وموضوعات القصص القرآني عموما ؛حيث أننا نجد ((موضوعات الحوار في القصص القرآني هي الموضوعات الدينية في الغالب.وهي الموضوعات التي بسببها قام بين النبي ـ عليه السلام ـ وقومه جدل عنيف،وتلك من أمثال الوحدانية والبعث،وكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة وإحداث الأمور أو المعجزات الخارقة للدلالة على النبـــوة وغيرها...)).(4)

وهي تقريبا نفس الموضوعات التي تناولها الحوار في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ونحن هنابصدد الوقوف((...أمام مواقف الحوار القصيرة.في هذه القصة،لنرى كيف تتجسد من خلالهاالصورةالحيةالمعبرةالتي أرادالقرآن منا أن نتمثلها في حياة الأنبياء السابقين..)).(5)

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:36.

(2)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:301.

(3) محمد أحمد خلف الله،**المرجع السابق**،ص:314.

(4) محمدأحمدخلف الله،**المرجع السابق**،ص:302.

(5)محمدحسين فضل الله،**الحوارفي القرآن الكريم**،ج:2،ص:113.

فإذا أخذنا مثلا: الحوار الذي دار في مشهد المراودة الأول، بين يوسف وامرأة العزيز وزوجها والرجل الذي هو من أهلها ؛ والذي دارفي مشهد المراودة الثاني بين يوسف وامرأة العزيز ونسوة المدينة .(الآيات:من 23 إلى33)

فإننا نجد((...أن القيمة كل القيمة في هذا الحوار كله...هو تجسيد صورة المؤمن عندما يتعرض للاحتراق في جحيم تجربة الانحراف عن الخط المستقيم أمام نداء الجنس...فيقف مع إيمانه..مهما كانت التضحيات والآلام...وهكذا نجد في هذه الآيات النموذج الحي للموقف الإيماني الصلب أمام حالات الإغراء ،للإيحاء بأن قضية الدعوة إلى العفة في المجالات الجنسية،ليست من القضايا المثالية التي تبتعد عن واقع التطبيق العملي للحياة الإنسانية...)).(1)

وهذا الغرض الديني،ماكان ليتحقق بهذه الصورة ؛لولا عنصر الحوار الذي أصبغ عليه صورة الواقع الحي بأشخاصه وأحاسيسه ومشاعره - وأخرجه من دائرة الوعظ النظري الجاف الذي قد لا يتحقق في الواقع -.

ونأخذ مثلا آخر،من الحوار الذي داربين يوسف - عليه السلام - وصاحبي السجن - (الآيات:من36 إلى42) فنرى موضوع هذا الحوار لايخرج عن الموضوع العام للقصة بل يصب فيه صبا؛حيث ((إننا نلاحظ - في هذا الحوار - قضية حيويةفي مجال الدعوةإلى الله...وهي أن على الداعية إلى الله أن لايجعل من السجن - في حال تعرضه لدخول السجن - مجالا للاستسلام إلى الأفكار الذاتية...فينشغل بها عن قضيته،ويبتعد عن دعوته..بل يعمل على تحويل السجن إلى مجال حي من مجالات الدعوة إلى الله...))(2).

وهذا ما قام به يوسف - عليه السلام - ؛حيث أعطى درسا عمليا للدعاة إلى الله...

فنجده قد مهد لدعوته بسيرته الحسنة مع صاحبي السجن،وذلك بشهادتهما له ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(3)

---

(1)محمدحسين فضل الله،**الحوارفي القرآن الكريم**،ص:117،118،ج:2.

(2)محمد حسين فضل الله،**المرجع السابق**،ص:119،ج:2.

(3) يوسف الآية : 36.

ثم أجابهما على طلبهما بأنه قادر على تفسير رؤيتيهما، وقبل ذلك دخل في دعوتهما إلى التوحيد بصورة مباشرة. وعند انتهائه من دعوته أجابهما إلى طلبهما وفسر لهما رؤيتيهما. وهو أسلوب حكيم في تبليغ الدعوة إلى الله زاد في قيمته **الحوار** في هذا المشهد.

وهذه القيمة تدعونا إلى قيمة أشمل في حياة الدعاة إلى الله ((إنها قصة الرسالة عندما تشغل تفكير صاحبها وضميره، فتدعوه إلى الاستفادة من أية فرصة تعرض له، ليستغلها في أداء رسالته... فلا يبقى لقضاياه الشخصية إلا الشيء القليل القليل.)).(1)

وقس على ذلك كل حوار وقع في أي مشهد من مشاهد القصة...

فموضوعه لا يخرج عن الغرض الديني في القصة، كما بيناه في الفصل السابق.

الفرع الثاني: طريقة عرض الحوار

لقد اعتمدت قصة يوسف على طريقة سهلة في عرض الحوار الدائر بين شخصياتها، فهي طريقة((...يحاول أن يمثّل فيها كل طرف من أطراف القصة. ولكل بطل من أبطالها دوره الذي يعبر عنه بأسلوب واضح ويثير فيها بعض القضايا التي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح)).(2)

والقصة تعتمد طريقة الحوار المباشر بين شخصياتها ، والتي ((تقوم على أساس الرواية، فيحكي القرآن أقوال الأشخاص ويصدرها بقوله: قال أو قالا أو قالوا)).(3)

حيث نجد أطراف الحوار في قصة يوسف يتصدر كلامهم بطريقة الرواية دائما؛ بدءا بأول حوار في القصة. والملاحظ في صيغة الرواية أنها ترد تباعا لطرف الحوار.

---

(1) محمد حسين فضل الله، **الحوار في القرآن الكريم**، ج:2، ص:120.

(2) محمد حسين فضل الله، **المرجع السابق**، ج:2، ص:17، 18.

(3) محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم** ، ص:303.

1- فإذا كان طرف الحوار شخصية مفردة مذكرة جاءت صيغة الرواية على شكل(**قال**) . وهو ما نلحظه في شخصية يوسف﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ...**﴾،وفي شخصية أبيه يعقوب﴿**قَالَ يَابُنَيَّ**﴾ وفي شخصية الأخ المتميز من إخوة يوسف﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ...**﴾،وفي شخصية وارد السيارة﴿**قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ**﴾،وفي شخصية عزيز مصر﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ...**﴾،وفي شخصيتي صاحبي السجن﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا**﴾﴿**وَقَالَ الْآخَرُ**﴾،وفي شخصية الملك﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى...**﴾،وفي شخصية كبير إخوة يوسف(وقد يكون هو المتميز السابق)﴿**قَالَ كَبِيرُهُمْ**﴾.

والملاحظ في القصة أن صيغة (**قال**) وردت مرة واحدة لغير المفرد المذكر.وذلك في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ...**﴾.

2- وإذا كان طرف الحوار شخصية مفردة مؤنثة، جاءت صيغة الرواية على شكل (**قالت**). وهو ما نلحظه في شخصية امرأة العزيز فقط.﴿**قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا...**﴾.

3- وإذا كان طرف الحوار شخصيات مذكرة،جاءت صيغة الرواية على شكل(**قالوا**).

وهو ما نلحظه في شخصيات إخوة يوسف﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا...**﴾،وفي شخصيات حاشية الملك ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ...**﴾، وفي شخصيات فتيان يوسف﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ...**﴾.

4- وإذا كان طرف الحوار شخصيات مؤنثة، جاءت صيغة الرواية على شكل(قلن).وهو ما نلحظه في شخصيات نسوة المدينة﴿**قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ...**﴾.

والملاحظ أيضا في الحوار الدائر بين شخصيات القصة،أنه ليس شرطا أن يكون بين اثنين مفردين.

فقد يكون بين اثنين، كالحوار الذي دار بين يوسف وأبيه،وبين يوسف وامرأة العزيز.

وقد يكون بين واحد من طرف واثنين من طرف آخر. كالحوار الذي دار بين يوسف وصاحبي السجن.

وقد يكون بين واحد من طرف،وبجموعة من الطرف الآخر.كالحوار الذي دار بين يعقوب وبنيه،وبين امرأة العزيز والنسوة ،وبين الملك وحاشيته.

وقد يكون بين مجموعة من طرف، وبجموعة من الطرف الآخر؛كالحوار الذي دار بين إخوة يوسف،وفتيانه.

وتتجلى قيمة هذه الطريقة في الحوار((...في محاولتها تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها فلا يترك أي جانب خفي،لأن كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها...)).(1)

الفرع الثالث: الأسلوب الأدبي في الحوار

إن ما يلاحظ على أسلوب عرض الحوار في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أنه أسلوب فني متميز. فقد توافق الأسلوب مع موضوعات القصة وسار على وتيرة واحدة من بداية القصة إلى نهايتها فهو((...أسلوب فني يجرى...على وتيرة واحدة...)).(2)

وقد كان الحوار في القصة يعتمد على الرنين الصوتي للألفاظ ، وقد عاونه في ذلك الفقرات القصيرة المسجوعة، التي ترد على ألسنة المتحاورين.

حيث نجد الحوار الذي قام بين إخوة يوسف وأبيهم ـ في محاولتهم للتفرد بيوسف ـ يقوم على رنين صوتي موحد وفقراته القصيرة مسجوعة كلها. فقد كانت جمل الحوار المتبادل بين يعقوب وبنيه تنتهي كلها بكلمة على وزن(فاعلون).﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ* أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ* قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ* قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.(3)فالحوار هاهنا يقوم على رنين صوتي،ووزن موسيقي موحد.

---

(1)محمد حسين فضل الله،**الحوار في القرآن الكريم**،ج:2،ص:18.

(2)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن الكريم** ، ص:304.

(3)سورة يوسف/الآيات:11،12،13،14.

ولعل هذا الرنين القائم على وزن(**فاعلون**)،يتناسب مع الموضوع الذي هم بصدد التحاور عنه.فالموضوع ليس بالأمر الهين،إنه مراودة الأب على ترك الابن الأصغر ؛ الذي يتوسم فيه علامات النبوة ـ لكي يذهب مع إخوته الذين يكنون له الحقد والكراهية ـ ولذلك كان الرنين فيه قويا على وزن(**فاعلون**).

و ما يلفت للانتباه أن الحوارعندما يصدرعن الإخوة يكون مختوما بصيغة (لفاعلون). واللام هنا هي لام التوكيد. وفيها إشعارات فنية بأن الإخوة يدبرون أمرا مكروها ليوسف.

وإلا..ماكانوا في حاجة إلى تكرار كل هذه التأكيدات:(لناصحون،لحافظون،لخاسرون).

وفي الحوار الثاني ،بعد أن نفّذوا مكيدتهم ،نجد الوزن الصوتي قد تغيّر.

فالإخوة لم يصبحوا في موقع قوة كما كانوا في الحوار السابق؛ولذلك نجدهم قد غيّروا في الوزن الموسيقي لختام كلامهم.فبدل وزن(**فاعلون**)جاء وزن(**فاعلين**).﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾(1). وهذا الوزن(فاعلين) دليل على موقع الضعف الذي هم فيه.ويشعر فنيّا بأنّ كلامهم فيه شك...

وهو ما تنبه له يعقوب برده عليهم:﴿...**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾.(2)

وإذا طوينا مشاهد القصة، لنلتقي مع إخوة يوسف في حوار آخر مع أبيهم ـ وهذه المرة بعد ضياع شقيق يوسف ـ؛نجد الوزن الصوتي في حوارهم مع أبيهم قد تغير من وزن (**فاعلين**) إلى وزن(لفاعلون)﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾.(3) فالوزن هنا قد تغير، لأنهم أصبحوا في موقع قوة؛ و لم يكتفوا بإضافة لام التوكيد لصيغة (فاعلون) بل أضافوا لهاحرف توكيدآخر(إنّ)،وهومايعرف في مباحث اللغة بتوكيد التوكيد.والقوة التي يستندون إليها في هذاالحوار لم تكن صدقهم في الواقع فقط،بل دللوا على صدقهم بأدلة مادية ملموسة،وهي: القوافل التي كانت معهم و شاهدت ماحصل لشقيق يوسف،وأهل القرية التي كانوا فيها، وعلموا بكل تفاصيل القصة.

وقس على ذلك كل الحوادث التي دارت في مشاهد القصة.

---

(1)سورة يوسف /الآية:17.

(2)سورة يوسف/الآية:18.

(3)سورة يوسف/الآية:82.

والأمر الذي تنتهي إليه هو:إنّ الوزن الموسيقي في الحوارات الدائرة في القصة،يتفق مع الجو العام للحوار، ويحمل معه إشعارات فنيّة يتذوّقها كل دارس للقصة.

فإذا أخذنا مثلا:الحوار الذي دار بين يوسف،وامرأة العزيز، والنسوة فإننا نجد ه لايتنه عند الكلمات الصادرة من المتحاورين؛ بل يتجاوزه في - إشعارات فنية - إلى حوار آخر نستشعره ولو كان صامتا ....

فـ ((...ربما كانت كلمات الحوار بين امرأة العزيز ويوسف قصيرة جدا... ولكنه في الوقت الذي يلخص الموقف كله في الدعوة الصارخة،والرفض الحازم.... يشرق بنا - من خلال المواقف المختلفة في تفاصيل القصة على الشعور بأن هناك حوارا صامتا من جهة...وحوار طويلا متنوعا تدل عليه التجارب الفاشلة المريرة التي حاولتها هذه المرأة -بما في ذلك المؤتمر النسائي الذي عقدته في بيتها،مما يجعلنا نحس بأن هناك كلاما كثيرا ، قيل ليوسف من قبل أولئك النسوة ، لإقناعه بالاستسلام لإغرائها وإغرائهن كما يوحي به دعاء يوسف الذي طلب فيه التخلص من كيدهن جميعا...)).(1)

- والحوار أيضا يعد وسيلة هامة من وسائل - التصوير الفني - في القصة فبواسطة الحوار تحولت مشاهد القصة إلى مشاهد حية يستشعرها القارئ والسامع،وكأن الأحداث يعاد عرضها عليه في التو،وكأن الأشخاص يراهم يتحركون ويتكلمون على أرض الواقع.

فالحوار يجسد المواقف أمامك((...فتشعر فيه بالحياة المتحركة التي تنتقل من موقف إلى موقف،ومن جو إلى جو،وتعيش فيها الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين تشعر بهم - وأنت مندمج في القصة - يتحركون أمامك في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنت حاضرا معهم ...ولن يقتصر الموقف على الكلمات التي تنطلق منهم،بل يمتد الشعور معك إلى الإحساس بالجو الذي يخيّم على الموقف،وبالمعاني الخفية التي تختفي وراء الكلمات تماما كما لو كان البطل يتحدث إليك،حيث تندمج - معه - بالإيحاء مع الكلمة وبالإحساس الخفي مع الحركة))(2).

---

(1)محمدحسين فضل الله،**الحوارفي القرآن الكريم**،ج2،ص:117،118.

(2)محمد حسين فضل الله،المرجع السابق،ص:18.

وعلى العموم فإن المتتبع لأسلوب عرض الحوار في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تتضح له ((...روعة الحوار والأسلوب المعجز المبتكر في جعل الحوار المتبادل بين شخصيات القصة جزءا متمما للسياق السردي المشوق لحوادثها)).(1)

فالحوار إذن كان عنصراً فنيا أساسيا،يضاف إلى العنصرين السابقين:الأحداث والشخوص.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)محمد كامل حسين المحامي،**القرآن والقصة الحديثة**،ص:44.

المطلب الرابع: القوى الغيبية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

إذا كانت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تشترك مع القصص الفني في العناصر الفنية السابقة ـ الأحداث، والشخصيات والحوار ـ فإنها تتميز عنها بعنصر آخر ـ يتضمن مجموعة من العناصر الجزئية ـ هذا العنصر يزيد في قوة البناء الفني للقصة.وهو(**القوى الغيبية**).

وعنصر القوى الغيبية في قصة يوسف ، لا يخرجها من دائرة المعقول والواقع ، بل هي ((...منتزعة من الواقع الوجودي للناس...في أحداثها وأشخاصها،وأمكنتها،وأزمنتها... لا ينكر الناس منها شيئا...فهي وإن تكن قد ذهب أشخاصها،وبعد زمانها واندثر مكانها ←

ـ فهي ـ دائما بمشهد من الناس ومحضر...)).(1)

وهذا العنصر، يتضمن مجموعة من العناصر الجزئية، التي أدت دورا فنيا في القصة.

وهذه العناصر هي: النظم القرآني، والمعجزات والخوارق ،والتعقيبات على الأحداث والمناجاة، والقدر. وسنوردها بشيء من التفصيل على النحو التالي:

الفرع الأول: النظم القرآني

القصة القرآنية عموما تميزت عن غيرها فنيا بكونها منسوجة بنظم قرآني معجز. فالكلمات التي بنيّت بها، والنظم الذي سيقت فيه؛إنه من كلام الله عز وجل...وشتان بين قصة منظومة بكلام الله،وقصة منظومة بكلام البشر...؟((فأنت تعلم أن سر الإعجاز هو النظم...)).(2)

ولذلك فان القصة القرآنية ـ ومنها قصة يوسف ـ((...وإن تكن أحداثها مما يفيض به واقع الحياة ومما يعيش فيه الناس.فإنها تشتمل دائما على قدر من الإعجاز ،إن لم يكن في الحدث ذاته، فإنه في النظم القرآني،من حيث هو إعجاز بما اشتمل عليه أسلوبه من قوى مدركة وغير مدركة،ويعجز الناس جميعا عن الجري معها،أو التعلق بأذيالها.))(3).

فالنظم إذن،هو قوة غيبية تدخل في صياغة القصة، وتزودها بالإشعارات الفنية اللا متناهية. الأمر الذي لا يتسنى لغيرها من القصص الفني.

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، ص:142.

(2)مصطفى صادق الرافعي،**إعجاز القرآن**(بيروت دار الكتاب العربي)،ص211.

(3)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:150.

والنظم الذي سيقت به قصة يوسف ـ عليه السلام ـ اتسم بالإلمام، والإيجاز، والإعجاز؛ حيث نقلت لنا الأحداث((نقلا دقيقا أمينا،يمسك بالحياة كلها في محيط الحدث الذي ينقله ،فلا يفلت منه شيء فترى في كلمات القرآن ـ مشاهد الحياة التي كانت ملتبسة بأحداث قصة يوسف ـ من زمان ومكان ،وأشخاص وأشياء..وإذا أنت تشهد ، وترى وتسمع ،وتشارك بعاطفتك،وتفكيرك في هذاالصراع الذي كان يدور يوما من الأيام على مسرح الحياة...)).(1) بين أبطال قصةيوسف،وبين قيم الفضيلةوالرذيلة،وعقيدةالإيمان والكفر... وهذه القصة ذاتها لم تكن لتبليغ ذلك الكمال الفني ؛لو قصت من طرف أي قاص بارع في القصص الفني.فـ((مهما بلغ...من الفصاحةوالبيان فإنه يظل مقصرا عن أداء ما يؤديه القرآن الكريم)).(2) فكمالها الفني إذن ،تستقيه من كمال النظم القرآني المعجز؛ الذي يعد قوة غيبية تتميز بها القصة القرآنية عموما.

فلنأخذ مثلا نموذجيا لهذا النظم المعجز،من المشهد الذي جاء فيه إخوة يوسف، يراودون أباهم عن أخيهم الثاني. بعد أن راودوه عن يوسف ،وكان من أمرهم ما كان...

ولكنهم يعيدون الكرة هذه المرة بكلام لطيف قويّ الحجة؛جعل يعقوب يسلم لهم في النهاية بذهاب ابنه معهم.

فكيف سجل النظم القرآني هذا الموقف؟ فلنستمع إليهم:﴿...قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.(3)

((...فهذه الواوات المتتابعة التي تجمع هذه المتعاطفات، وتقرن بعضها إلى بعض،تمثل أروع ما يمكن أن يبلغه فن العرض...وهو يمثل روعة النظم القرآني في تصويره لهذا الإغراء العجيب الذي جاء إلى يعقوب...)).(4)

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:153.

(2)سميح عاطف الزين،**قصص الأنبياء**،ص351.

(3)سورة يوسف/الآية:65.

(4)عبد الكريم الخطيب،**المرجع السابق**،ص:463.

وعلى العموم ،فإن عنصر النظم القرآني يتضح في قصة يوسف من خلال ((...ذلك الإعجاز الذي تتجلّى آياته فيما يستولي على قارئ القصة أو المستمع إليها من روعة الجلال وسطوته ومن يقظة الوجدان ونشوته،على امتداد العرض،وتعدد المشاهد دون أن يفقد الشعور وحدته،ودون أن يجد المتلقي لأحداث القصة مجالا للتحرك خارج مسارها...)).(1)

وتلك هي قمة التشويق الفني، الذي تقدمه قصة يوسف ـ عليه السلام ـ من خلال عنصر (النظم القرآني).

الفرع الثاني: الخوارق والمعجزات

ومن عناصر القوى الغيبية في القصص القرآني عموما ـ وقصة يوسف على وجه الخصوص ـ

الخوارق والمعجزات؛ وهي((...التي تطلع بين أحداث القصة فتحدث دويا هائلا،وتحدث زلزلة عاتية،وينقلب بها وجه الأحداث،ويتحول سيرها...)).(2)

وفي قصة يوسف نرى هذا العنصر يتجلّى في ارتداد بصر يعقوب بمجرد إلقاء قميص يوسف عليه، وفي اشتمام يعقوب لريح يوسف، وبينهما مسافة تفصل ما بين أرض الشام وأرض مصر:﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ* قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ *فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...**﴾.(3)

وكل من الحادثين يعد خرقاللعادة،فكيف يجد شخص ريح شخص آخر ـ ولو كان ابنه ـ على بعد مسافة كهذه؟.

وكيف يرتد بصر رجل (ابيضت عيناه) بمجرد إلقاء قميص عليه؟.

إنّ كلّ واحد منهما يعد خرقا ،أدخل على الأحداث العادية ليزيدها إثارة وتشويقا ويعد ذلك إكمالا للبناء الفنّي للقصة.

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:397.

(2)عبد الكريم الخطيب،**المرجع السابق**،ص:143.

(3)سورة يوسف/الآيات:93،94،95.

وطبيعة الحدثين في القصة ،يدخل في إطار المعجزات التي يجريها الله تعالى على أيدي أصفيائه وأنبيائه... فهما آيتان ((...من آيات الله أجراها الله سبحانه وتعالى بين يدي نبيين كريمين يعقوب، ويوسف...)).(1) ـ وقد فصلنا هذا الموضوع في مبحث الغرض الديني في القصة، في الفصل السابق ـ

والمعجزة التي صحبت الأحداث في قصة يوسف((..أمر قد وقع،وشهده الناس،وسجله التاريخ...وإذن فإن ظهور هذه المعجزة بعد ذلك،وإعادة عرضها على مسرح الحياة من جديد بهذا الأسلوب المعجز،إنما هو ظهور خارقة من خوارق الحياة،يعيش فيها الناس بكل وجودهم.)).(2)وتلك من الإشعارات الفنيةالتي يؤديها عنصر(الخوارق والمعجزات).

الفرع الثالث: التعقيبات على الحوادث

والعنصر الجزئي الثالث الذي يؤدي دوره في البناء الفني للقصة هو: تلك التعقيبات والجمل الاعتراضية التي تدخل ضمن الأحداث،وتتوسط الحوار الدائر بين أبطال القصة.

هذه التعقيبات،و الجمل الاعتراضية،ليست صادرة عن أطراف الحوار في المشهد.وإن كانت تكمّل الحدث...وتعطي إشعارات فنية لتولد أحداث أخرى منه..فهي تجيء : ((...في أعقاب الحدث أو الواقعة أو الحكم بصورة مستقلة ،تكون أشبه بالتعليق عليها أو التلخيص لها...))(3).

وقصة يوسف مليئة بهذه التعقيبات،والجمل الاعتراضية.التي تساعد على الحبك الفني للقصة.

فقد رأينا من قبل، أن القصة مهّد لها قبل بداية عرضها بمقدمات هيأت لبدايتها. وعقّب عليها بتعقيبات، كانت بمثابة تلخيص للقصة، واستنتاجا للأهداف التي سيقت من أجلها.

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:484.

(2)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:150.

(3)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:101.

واشتملت القصة أيضا في ثناياها على تعقيبات،وجمل اعتراضية تعقب كل حدث وتتوسط كل مشهد،وكان مصدرها قوّة غيبية تتدخّل في السياق؛لتوجّه مسار القصة وتوجّه بطلها ـ يوسف ـ إلى الغاية المرسومة له.

فلنتتبع هذه القوة الغيبية ؛لنراها كيف تتدخّل في كل حين،لتعقّب على أحداث القصة.

للإشارة فإن هذه القوة الغيبية هي:ـ الله سبحانه وتعالى ـ .

1ـ نجدها تتدخل للتعليق على أول مشهد في القصة.بعد أن قص يوسف رؤيته على أبيه وحذره أبوه من إخوته، وذلك بقوله تعالى﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾(1) ففي هذا التعقيب تشويق فني لما تتضمّنه القصة من آيات ،ومشاهد مثيرة.

2ـ ونجدها تتدخل ،لتوجّه يوسف وتطمئنه بعد أن غدر به إخوته بقوله تعالى :﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.(2) وفي هذا التدخّل إشعار فني بأن أحداث القصة ستستمر،وأن يوسف في نهايةالقصةسيخرج من الجب،وسيعلم إخوته بما فعلوا به.

3ـ ونجدها تتدخل أيضا بعد أن بيع يوسف لعزيز مصر ،لتؤكد للسامعين والقارئين بأن يوسف يسير وفق الرعاية الإلهية ، وأن وجوده في بيت العزيز تمكين من الله له ، من أجل تعليمه تأويل الأحاديث ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ...وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.(3) وهذا التدخل الغيبي ،فيه إشعار فني بأن يوسف يعدّ لمهام كبرى تتطلّب منه العلم والحكمة وتأويل الأحاديث، وفيه إشعار أيضا بأن أحداث القصة ستحمل معها عدة رؤى ،ويكون يوسف هو مؤوّلها ومفسّرها.

---

(1)سورة يوسف/الآية:7.

(2)سورة يوسف/الآية:15.

(3)سورة يوسف/الآية:21،22.

4- ونجدها تتدخل بعد مشهد المراودة لتبين بأن الله تعالى هو الذي صرف السوء والفحشاء عن يوسف﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.(1) وفيه إشعار فنيّ على أن الرّعاية الإلهية تكتنف شخصية البطل - يوسف - وتعدّه لمهام كبرى ... وهذا مايزيد في حبك القصة فنيا.

5 - ونجدها تعقب على المشهد الذي دار بين يوسف،وصاحبي السجن ؛التحيب (أوتعقب) على طلب يوسف من صاحبه الذي ظنّ أنه ناج منهما ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.(2)

وتشعرنا فنيا بأن يوسف لن يبقى في السجن أبدا،وإنما سيطول بقاؤه لبضع سنين بسبب نسيان صاحبه.

6- ونجدها تتدخل بعد تولي يوسف زمام الحكم، وتبين بأن ذلك من باب التمكين ليوسف في الأرض.مصداقا للتدخل السابق بعد تمكين يوسف في بيت العزيز﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.(3)

وفي هذا التدخل إشعار فني، يوحي بأن القصة على مشارف نهايتها ،ومابقي منها إلا اللقاء، الذي يجمع يوسف بإخوته ؛لينبئهم بما فعلوا به .كما أكده التدخل السابق.

7- ونجد هذه القوة الغيبية تتدخل في السياق مرة أخرى،وهذه المرة لتعلق على طلب يعقوب من بنيه أن يدخلوا من أبواب متفرقة﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا،وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.(4)

والتعقيب هاهنا جاء ليعالج قضية عقائدية وهي قضية (القدر) التي سنتناولها في عنصر لاحق . ويشعرنا فنيا بأن أمرا ما سيحدث لأبنائه ؟

---

(1)سورة يوسف/الآية:24.

(2)سورة يوسف/الآية:42.

(3)سورة يوسف/الآية:56.

(4)سورة يوسف/الآية:68.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8- وأخر مشهد تتدخل فيه القوة الغيبية(الإلهية)،يكون في التعقيب على فعل يوسف بأخيه بعد أن وضع السقاية في رحله ﴿..كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(1).وهذا التعقيب هو تفسير لعمل يوسف مع أخيه - هذا العمل الذي قد لا يتناسب مع يوسف النبي - ليبين الله تعالى بأن هذا العمل كان من تدبيره ليوسف((..أي دبرنا له هذا التدبير وأريناه سبيله.. وماكان ليوسف أن يضع يده على أخيه؛ ويجعله من متعلقات الملك إلا بمشيئة الله تعالى تلك التي دبرت له هذا التدبير...)).(2)

ولما يرجع الأمر إلى الله ؛فإنه لا يسأل عمّا يفعل...

وبعد ذلك تأتي التعقيبات العامةعلىالقصة كما رأينا من قبل.

وهكذا تكون هذه التعقيبات والجمل الاعتراضية تحمل معها إشعارات فنية تساهم في تولد الأحداث بعضها عن بعض.وتساهم أيضا في حبك القصةحبكا فنيا متكاملا. وهومالا يتأتى لأي قصة أخرى على وجه الأرض.لأن هذا العنصرالفني من اختصاصات الله تعالى وحده.

(1)سورة يوسف/الآية:76.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، ص:470.

الفرع الرابع: المنـــــــاجاة

المناجاة ،عنصر فنيّ آخر من عناصرالقصة القرآنية عموما ،وقصة يوسف خصوصا.

فـ ((...من العناصر الفنية في القصص...عنصر المناجاة، وهو في القرآن يأتي على صورة غير تلك التي يأتي بها في أغلب القصص الأدبي. إذهو يقوم على مناجاة الشخص لنفسه ليسمعه غيره)).(1)

أما المناجاة في القرآن((...فيتوجه ـ فيها ـ النبي عليه السلام إلى خالقه ويتوسل إليه أن يستجيب لدعائه...)).(2) وفي قصة يوسف ورد عنصر المناجاة في موضعين:

1ـ **الموضع الأول**:جاء فيه عنصر المناجاة،على شكل حوار بين يوسف وربه؛حيث لجأ يوسف إلى ربه مناجيا له فارّا بدينه من فتنة النساء ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾.(3)

ومضمون المناجاة هاهنا ، دعوة يوسف لربه بأن يصرف عنه كيد النساء ، وقد تصدّر طلبه ودعاءه بصيغة الرواية (قال) ـ وهي التي رأيناها في عنصر الحوار من قبل ـ وكان ردّ الله عليه أنه استجاب لدعوته على الفور بأن صرف عنه كيدهن.

وفي ذلك كلّه إشعار فنيّ بأنّ يوسف سيدخل السجن ؛لأنه وقع مخيرا بين أمرين السجن، أو الفاحشة. فمادام الله قد صرف عنه كيد النساء ،فبالضرورة سيكون مآله السجن،وهو ما أقرّه السياق من بعد.

2ـ **الموضع الثاني**:ورد عنصر المناجاة فيه على شكل تضرّع ،وشكر للنّعم التي أفاضها الله على يوسف فنجد يوسف ـ عليه السلام ـ بعد أن تحقّقت رؤيته بسجود الجميع له، وهو في أبهة العظمة والجلال. تحول إلى محراب العبودية لله مناجيا،ومتضرعا، وشاكرا، وحامدا لـــه على النعم التي أفاضها عليه.

---

(1)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:306.

(2)عبد الكريم الخطيب،المرجع السابق،ص:307.

(3)سورة يوسف/الآية:33،34.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.(1)

وبعد أن بدأ مناجاته بالحمد والشكر، أنهاها بالطلب والدعاء بأن يتوفاه إليه مسلما،ويلحقه بالصالحين.فقد((قدّم الثناء على الدعاء لمراعاة الأدب (مع الله)...)).(2)

وفي هذه المناجاة إشعار فني بنهاية القصة وأحداثها،فقد تحققت الرؤيا، وقد تحقق ليوسف ما وعده الله به ،وقد تحقق الغرض الديني كاملا.

فجاءت هذه المناجاة عنصرا فنيا متميزا؛ لتختتم به مشاهد هذه القصة المثيرة...

الفرع الخامس: القدر وحسابه في قصة يوسف

وهو آخر عنصر فنّي يدخل في إطار ـ القوى الغيبية ـ . والقدر عقيدة وجب الإيمان به.

((والقدر يؤمن به،ولايحتج به،بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب...)).(3)

وهو((...ليس شبحا قائما وراء الأشخاص والأشياء يشارك في صنع الأحداث مشاركة مباشرة،يراها الناس رأي العين...وإنما القدر قوة خفية مضمرة في كيان الوجود،لايعرف الناس من أمرها شيئا،إلابعدأن تقع الأحداث، وتظهر نتائجها..))(4)

وهو بالتالي غيب محجوب عن الناس ،لا ينكشف لهم إلا بعد أن تصبح نتائجه نافذة. وإذا تتبعنا تأثير هذا العنصر على قصة يوسف ـ عليه السلام ـ فإننا نسجّل الملاحظات التالية:

1ـ إن أحداث قصة يوسف، كانت عادية مما هو مألوف في حياة الناس ـ كما رأينا ذلك في طبيعة الأحداث ـ وبالتالي فإن طبيعة الأحداث لم تتأثر تأثيرا مباشرا بعنصرالقدر. وقد وقف القدر((...موقفا محايدا... ـ فترك ـ الأمور تجري على طبيعتها التي اعتاد الناس أن يروها عليها...

---

(1) سورة يوسف/الآية:101.

(2)أحمد الصاوي،**حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين**(بيروت:دار الجيل)،ج2،ص243.

(3)أحمد بن تيمية،**اقتضاء الصراط المستقيم**(ط1؛بيروت:دار الجيل،1993م)،ص486.

(4)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، ص:171.

فكل شيء يسير على مألوف الحياة التي يحياها الناس بخيرها وشرها))(1).

فإخوة يوسف يدبرون مكيدتهم ضد أخيهم ،ليهلك ،أو ليباع في سوق العبيد ـ بعد أن يلتقطه بعض السيارة ـ وفي أحسن الأحوال سيعيش حياة العبيد في أي مكان بعيدا عنهم وعن أبيهم.

وإذا بالقدر يؤدي دوره بطريقة غير مباشرة ؛ فيحيل صيرورة الأحداث،إلى غير التقدير الذي قدره الإخوة. وإذا بيوسف الذي أرادوا التخلص منه ،يعود إليهم بصورة أخرى... صورة الآمر الناهي صاحب القوة والسلطان ؛وإذا بهم بين يديه صاغرين ،يطلبون منه العفو ،والمغفرة. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.(2)

فأحداث القصة((..تجري في محيط الأسباب والمسببات على نحو ما يألف الناس وما يقدّرون..دون أن تخرج الأشياء عن هذا المدار الذي يربط بين أسبابها ومسبباتها)).(3)

اللهم إلا تلك الحادثة التي خرجت عن قانون السببية وهي: المعجزة التي حدثت ليعقوب بارتداد بصره ـكما رأينا من قبل ـ.

فعنصر القدر كان واضحا في القصة. ومايزيد في وضوحه للقارئ والسامع تلك التعقيبات والجمل الاعتراضية التي تناولناها في السابق.

فمن خلالها أدركنا أن القدر يوجه يوسف إلى ما لم يقدّره إخوته...

ذلك التوجيه هو(القدر) الذي أدركناه نحن ـ السامعين والقارئين ـ وأدركنا دوره في توجيه القصة. ولم يدركه أبطال القصة لأن الأحداث كانت تسير على عفويتها.

ـ والملاحظة الثانية في هذا العنصر،هي كيفية مقابلة المؤمن لنتائج القدر((إن المؤمنين بالقدر يستقبلون نتائج الأحداث أيا كانت،في رضى واطمئنان...

---

(1)عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:179.

(2) سورة يوسف/الآية:91.

(3)عبد الكريم الخطيب،**المرجع السابق**،ص:180.

إذ هم مؤمنون بأن ماوقع إنما هو بقضاء الله وقدره ،وأن ما شاء الله كان.ومالم يشأ لم يكن. فإن كان خيرا حمدوا الله وشكروا له،وإن كان شرا صبروا لحكم الله ،ورضوا بقضائه)).(1)

وهو نفس الموقف الذي وقفه يوسف ،ويعقوب ـ عليهما السلام ـ في مواجهة نتـــائج القدر.

فقد وجدنا يوسف يسوقه القدر إلى دخول السجن بدون جريرة أو جرم،ولكنه مع ذلك لم يواجه هذا القدر بالجزع والصخب، بل واجهه بتعداد النعم التي أسبغها الله عليه وعلى آبائه،وهو يتحدث إلى صاحبي السجن﴿...ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.(2)

ووجدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ تسوق له الأقدار خبر ضياع ابنه يوسف ؛ فيواجه ذلك الخبر المحزن،وذلك القدر، بالصبر والحكمة.فيقول لأبنائه:﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾.(3)

وتشاء الأقدار أيضا أن تسوق له خبرا آخر بضياع ابنه الثاني.فلم يؤثر عليه وقع الفاجعة وكان رده موافقا للرد الأول، يحمل معه معاني الإيمان بالقضاء والقدر؛حيث قال لأبنائه: ﴿..بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(4).

وفي هذاالقول((...نرى استسلامه للقدر:فصبرجميل، والله المستعان ...))(5).

3 ـ وآخر الملاحظات في عنصر القدر ـ من خلال قصة يوسف عليه السلام ـ هي:

أن المؤمن لا يستسلم لأمر القدر،فيترك الأخذ بالأسباب ،ويعلّق كل شيء على القدر.

---

(1) عبد الكريم الخطيب،**القصص القرآني فيمنطوقه ومفهومه**،ص:181.

(2)سورة يوسف/الآية:38.

(3)سورة يوسف/الآية:18.

(4)سورة يوسف/الآية:83.

(5)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**، ص:316.

ففي طلب يعقوب من أبنائه ،بأن لا يدخلوا من باب واحد ويدخلوا من أبواب متفرقة...أخذ بأسباب الحيطة والحذر.مع أن هذا التدبير، لم يوقف القدر الذي ينتظر يعقوب وأبنائه بحجز أحدهم عند العزيز -وهو يوسف قبل أن يتعرفوا عليه -.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا...﴾(1).

- وعموما، فقد تجلّى في هذه القصة((...سلطان (القدر) حيث تجرى الأحـــداث في مجرى يرى الناس منه ما يكرهون أو يحبون،حسب ما يحسبون ويقدرون ،ثـــم تجيء الخاتمة على غير ما حسبوا وقدروا،فإذا الذي حسبوه خيرا هو شر،وإذا الذي ظنوه شرا هو خير...))(2).

وقد أدى هذا العنصر دوره الفني في القصة،كما أدى دوره الديني - وهو الأساس -.

(1)سورة يوسف/الآية:68.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:398.

المبحث الثالث: الفجـــوات الزمنية

تـوطـئـة

لقد ذكرنا في مبحث سابق(1) - بطريقة الإيجاز ــ أن الفجوات الزمنية قد قسم عليها الزمن في قصة يوسف - عليه السلام - بطريقة فنية ملفتة للانتباه.

وفي هذا المبحث نحاول تسليط الضوء على هذه الفجوات، لنتبين القيمة الفنية التي تركتها بين المشهد والمشهد.

والفجوات هي تلك الكتل الزمنية التي تفصل بين المشاهد ،وماتحمله معها من أحداث يهملها السياق القصصي.وهوما((...يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار،وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق.)).(2)

وإذا دققنا النظر في قصة يوسف - عليه السلام -،فإننا نجد المنهج الفني المتبع في قص المناظر وإحداث الفجوات بين المشهد والآخر.يقوم على طرد((..كل مقسم زمني لا يحتوي على حدث فني هام، أو لا يحتوي على طارئ فني يؤثر في نمو الفكرة العامة للقصة... فهناك متسعات زمنية تجاوزت العقد ونصف العقد أغفلها المنهج الفني إغفالا متعمدا؛ذلك لأنها لم تحمل حدثا أو مشهدا روائيا قد يعني القارئ في شيء يتصل بالفكرة العامة من قريب أو بعيد)).(3)

فالمنهج الفني لإحداث الفجوات بين المشاهد ؛ يقوم على أساس خدمة الغرض الديني للقصة،فكل حدث يقع في فترة زمنية ما،لايخدم الغرض الديني العام للقصة يهمل من السياق إهمالا مقصودا ؛ ويترك المجال لخيال المتلقي يتصور هذه الأحداث المبتورة ،ومايقع في هذه الفجوات بناء على المعطيات التي يزوده بهاالمشهد السابق،والمشهد اللاحق .وهذا من عظمة الكمال الفني لهذه القصة؛حيث((أن المتسع الزمني الذي لا يحمل بين دقائقه ونوانيه،أو أيامه ولياليه،حدثا فنيّا ذا بال ،أو موقفا إيحائيا يعني القارئ، أو صفة شخصية من شخصياتها تتصل بالغاية العامة من القصة يطرد من التدفق الروائي،أو يهمل أو يغفل إغفالا

---

(1)انظر،ص: 111 (توزيع الزمن على مشاهد القصة)

(2)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:187،188.

(3)خالدأبوخندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:140،141.

فنيا،وأعني بالإغفال الفني - عدم إرساله في التدفق الروائي والإشارة إليه من خلال الإشعار الفني...)).(1) وعلى العموم((...فقد طوى القرآن بعض الأحداث التي لا تتعلق بها العبرة...)).(2) التي سيقت من أجلها القصة،والمتمثلة في الغرض الديني - كما رأيناه في مبحث سابق -

وإذا أردنا تتبع الفجوات الزمنية الواردة في قصة يوسف - عليه السلام - فإننا نوردها كما يلي:

المطلب الأول: الفجوة الأولى

وهي الواقعة بين المشهد الأول والثاني في القصة ؛ حيث رأينا في المشهد الأول يوسف الغلام يروي رؤيته على أبيه،ويحذره أبوه من روايتها على إخوته، ويبين له بأن الله يعده لمهام كبرى. ويأتي المشهد الثاني ليصور إخوة يوسف يدبرون المؤامرة ضد أخيهم...فما العلاقة بين هذا المشهد ،وذاك؟.

هنا يأتي دور الفجوة بين المشهدين؛لتعطي المسوغ الفني للربط بينهما. والظاهر من خلال السياق أن يوسف الصغير، لم يدرك حقيقة التحذير الذي تلقاه من أبيه تجاه إخوته؛ وبمراعة الطفولة،راح يقص رؤيته على إخوته،فأدرك الإخوة تأويل الرؤيا،ولاحظوا تفضيل أبيهم ليوسف.كل هذا كان مدعاة لأن يجتمعوا ويقرروا خطة تخلصهم منه،حتى ينفردوا بأبيهم. فالفجوة هاهنا قد أدت دورا فنيا لم يذكره السرد القصصي وإنما تركه لخيال المتلقي يتملاّه ويتصوّره.

---

(1)خالدأبو جندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:211.

(2)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص:405.

المطلب الثاني: الفجوة الثانية

وهي التي بين المشهد الثاني ،والثالث ؛حيث وقفنا مع إخوة يوسف يدبرون مكيدتهم للتخلص من يوسف، وانتهوا إلى أنهم لايقتلوا يوسف، بل يلقوه في أعماق البئر...وإذا بهم في المشهد الموالي أمام أبيهم مباشرة،يطلبون منه أن يترك يوسف ليذهب معهم ويتعهّدون له بأنّهم سيعيرونه كل العناية والرّعاية...

فكيف انتقلوا من كلام المؤامرة المقيت ، إلى كلام المحاولة المعسول؟.

هنا يأتي دور الفجوة لتترك المجال للمتلقي،بأن يتخيل إخوة يوسف - في مشهد تكميلي لمشهد المؤامرة - فبعد أن انتهوا من تدبير خطة المكيدة ،بدأوا في تدبير خطة التحايل على أبيهم ،للاستفراد بيوسف وتنفيذ مكيدتهم ضده.

وخطة التحايل هذه ،هي التي سردوها مع أبيهم في المشهد الموالي. وقد أهمل السرد ذكرها لتفادي تكرارها وترك المجال للفجوة ،ولخيال المتلقي يتصوّرها.

المطلب الثالث: الفجوة الثالثة

وهي التي بين المشهد الثالث،والرابع.فبعد أن راود الإخوة أباهم عن يوسف ،وأعطوه موثقا بأنه لن يصيبه مكروه،وأنهم على حمايته لقادرون ؛رأيناهم في المشهد الموالي ينفذون مؤامرتهم على يوسف ،بإلقائه في البئر.

فالفجوة بين المشهدين واضحة أتم الوضوح ؛حيث لم نسمع رد يعقوب النهائي على طلب أبنائه،و لم يذكر السياق ما حصل في تلك الليلة قبل الذهاب بيوسف ،و لم يذكر أيضا لحظة مفارقة يعقوب لابنه(النبي).ولكن هذه التساؤلات فهمنا إجابتها من خلال السياق ،وقامت الفجوة بتفسيرها...

فقدكان كلام إخوة يوسف معسولا، لم يترك ليعقوب مايقول،وكان سكوته علامة الرضا.

وكانت الليلة السابقة للغد ،متسعا زمنيا ،لايخدم الهدف العام للقصة ؛بحيث لم يقع فيه حدث مهم يذكر، اللهم إلا تلك الأحاسيس والمشاعر والخواطر التي تدور في خلد يعقوب وبنيه ؛حيث ترك المجال للخيال يتصورها كيف يشاء. وتركت لحظة الفراق والوداع وتوصية الإخوة على أخيهم للخيال أيضا.

المطلب الرابع: الفجوة الرابعة

وهي التي بين المشهد الرابع ،والخامس.فبعد أن نفذ الإخوة مؤامرتهم ،وألقوا بيوسف في البئر رأيناهم في المشهد الموالي يعودون إلى أبيهم عشاء يبكون ،ليقصوا عليه رواية مكذوبة ـ وهي أكل الذئب ليوسف ـ،وليستدلوا على روايتهم بدم مكذوب على قميصه. ولكن السياق لم يصور لنا لحظة إلقاء يوسف في البئر، و لم يصور لنا موقف الصغير تجاه إخوته الكبار، و لم يصور لنا قلوب إخوة يوسف ـ القاسية ـ التي عرّت الصغير من قميصه وألقته في وسط بئر موحش، و لم يصور لنا أيضا إخوة يوسف وهم عائدون ليلا يدبرون خطة التحايل والكذب على أبيهم .

فلنتأمل قوله تعالى (وهو يصف لحظة تنفيذ المؤامرة):﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ...﴾.(1)فهي((جملة بالغة الإيجاز والحذف وتكثيف المعاني والمشاهد والأحداث.إن بين الذهاب به وبين الإجماع على أن يكون في غيابة الجب ـ ساعات طوالا من الإرهاق الفكري والتعقيدات الأمنية والمداولات الكثيرة وربما الآراء المتناقضة.وماكان أحسن من لفظة(فلما) هذه التي جاءت لتحقق في الإشباع اللفظي للألف ما يعكس مناخ الاستغراق الزمني في هذه الساعات الثقيلة المؤرقة. وواضح أن القارئ يقوم بتخيل أجواء التآمر الكالحة كل بقدر ما يلهمه خياله وتمده معطياته الثقافية بما يتم الجملة التي ظلت مقدمة تستوجب نتيجة...)).(2)

كل ذلك كان فجوة بين المشهدين ،ترك الجواب عليه لسياق القصة ،ولخيال المتلقي.

---

(1) سورة يوسف/الآية:15.

(2)محمدعلي أبوحمدة،**في التذوق الجمالي لسورةيوسف**،ص:66.

المطلب الخامس :الفجوة الخامسة

وهي تلك التي بين المشهد الرابع،والسادس.فبعد أن ألقيّ يوسف في البئر،وذهب إخوته إلى أبيهم ،ليكذبوا عليه كذبتهم...نجد أنفسنا مع مشهد آخر وهو(مشهد السيارة)؛ الذي تولد عنه ،إخراج يوسف من البئر ،من طرف الوارد. وإسراره بضاعة لتبيع عند السيارة ـ القافلة ـ.

فكم بقي يوسف في البئرقبل مجيء السيارة ؟وكيف قضىلياليه،وأيامه في وسط بئر موحش؟ وكيف لم يغرق في بئر مملوءة بالماء،وهو طفل صغير؟ وكيف تعلق بدلو الوارد؟.

فالفجوة قد اشتملت سر كلّ ذلك. وتركت الجواب عنه لخيال المتلقي أيضا...

لأن التفصيل فيه لا يفيد الغرض العام للقصة في شيء. ولعل ما يفيد غرض القصة هو: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.(1) كما رأينا في مبحث سابق.

المطلب السادس: الفجوة السادسة

وهي تمثل ذلك المتّسع الزمني بين المشهد السادس،والسابع.

فبعد أن رأينا السيارة قد أخرجت يوسف من البئر ، وأسرّته بضاعة ضمن بضاعتها في أرض الشام. التقينا بها في أرض مصر،تبيع يوسف بثمن بخس.

فالفجوة الزمنية بين المشهدين واسعة جدا...وهي فترة السير بين أرض الشام ،وأرض مصر؛ ولكن السياق يطويها طيا؛ و لم يذكر منها ولو همسة في الطريق؛حيث((يحذف السياق كل ما حدث بعد هذا، وما قيل، وحال يوسف ،وكيف ابتهج للنجاة ،ليتحدث عن مصيره مع القافلة...)).(2)

وفي هذه الفجوة الزمنية لفتة فنية. وهي أن السيارة لم يكن دورها في حبك القصة،إلا نقل يوسف من أرض الشام إلى أرض مصر.ثم تسحب من مسرح الأحداث.(للتفصيل في هذا الموضوع أنظر إلى فصل: ملامح الشخوص في القصة).

---

(1)سورة يوسف /الآية:15.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1976.

فالمشهد السابع مثلا كان قصيرا جدا. ركزّ على عملية البيع بثمن بخس وانتهى...

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.(1) فلم يذكر حتى الطرف، الذي اشترى يوسف، ولا موطنه. ليؤجل السياق ذلك إلى مشهد لاحق بين العزيز، وامرأته.

المطلب السابع: الفجوة السابعة

وهي التي بين المشهد الثامن،والتاسع؛حيث رأينا السياق في المشهد الثامن يكشف لنا عن هوية الشاري وموطنه ،وهو يوصي زوجته ،بأن تكرم يوسف وترعاه - وهو طفل صغير -.

ثم يسدل الستار..إلى أن نلتقي بيوسف وامرأة العزيزفي مشهد آخر - وقد بلغ أشده - وفي هذا المشهد نرى حدثا غريبا ،وهومراودة امرأة العزيز ليوسف عن نفسه.بالصيغة المفضوحة المكشوفة.

فالفجوة بين المشهدين طويلة جدا.لاتحسب بالأيام،والشهور؛ بل بالسنين،والأعوام...

لكن السياق طواها طيا.بما تحمله من أحداث...فكيف تأقلم يوسف البدويّ مع المعيشة الحضرية ، وهل نشأ في هذا البيت نشأة العبيد ، أم نشأة الأبناء - على حد تعبير سيده - ﴿..أو نتخذه ولدا﴾. وكيف تعلم تأويل الأحاديث؟. وكيف أوتي الحكمة والعلم؟. وكيف تحولت علاقة امرأة العزيز بيوسف ،من علاقة الأم إلى علاقة العاشقة؟ .

وكيف تطورت علاقة المراودة ،إلى مرحلة تغليق الأبواب والتهيؤ للفاحشة؟.

كل هذه الأحداث ،وقعت في الفجوة الزمنية الرابطة بين المشهدين.

فبعض هذه الأحداث لم يذكر لكونه أمرا عاديا يقع في حياة الناس ،وذكره لا يفيد الغرض الأساسي للقصة. وبعضها يدخل في إطار الغيبيات التي يختص بها الأنبياء - الوحي -.

---

(1) سورة يوسف/الآية:20.

وبعضها الآخر ـ مقدمات المراودة ـ لا يخدم الغرض الديني للقصة الـــداعي للعفـــة، والتفصيل فيها يحيل القصة ،إلى قصة غرامية إباحية.

فكانت الفجوة بين المشهدين إذن: ضرورية ؛ لتترك المجال ،لخيال وفكرالمتلقي يتملّى ويتصوّر ما وقع من أحداث،في هذه الفترة الزمنية الطويلة ،وفق المعالم والإشارات الفنية، التي رسمها السياق.

المطلب الثامن :الفجوة الثامنة

وهي الرابطة بين المشهد التاسع والعاشر. فبعد أن تمت عملية المراودة ،برفض يوسف وامتناعه. وبعد أن احتكم الطرفان إلى الشاهد ، الذي هو من أهل امرأة العزيز، وإقراره ببراءة يوسف وكيد المرأة. نجد السياق ،يكشف لنا عن شائعة ،تلوكها ألسنة نسوة المدينة ،مفادهـــا : (فضيحة أخلاقية في بيت العزيز) بطلتها امرأة العزيز.

ثم ينقلنا مباشرة ،إلى المشهد الموالي ؛حيث جمعت امرأة العزيز النسوة في حفل خاص؛ لينبهرن بجمال يوسف ويقطعن أيديهن. وتكون النتيجة بأن تقيم عليهن الحجة وتفتح المجال لشهوتها الجامحة...

وليصبح يوسف في هذا المشهد ،أشد حرجا منه في الأول ؛حيث تحولت المراودة (بكسر الواو) إلى مراودات.((قال بعض أهل العلم: إنهن راودنه لا امرأة الملك.))(1) فيستعين على ذلك باللجوء إلى الله.

فكيف تسرب الخبرمن بيت العزيز ،إلى نسوة المدينة؟ وقد غلقت الأبواب؟ و لم يعلم بالحدث إلا زوجها والذي هو من أهلها؟

وكيف انتشرالخبر في المدينة ،بسرعة اللهيب في الهشيم ،حتى أصبح حديث العـــام والخاص؟. هنا يأتي دور الفجوة ؛فتتكفّل بالإجابة على هذه الأسئلة .معتمدة على خيال المتلقي دائما.

(1)الأخفش ،**معاني القرآن**(بيروت:عالم الكتب)ج2،ص586.

فقد يكون الذي هو من أهل امرأة العزيز ،قد سرب الخبر إلى زوجته،وقامت هي بدورها بتسريب الخبر إلى باقي النساء؛ والنساء في كل عصر،ومصر مختصات في نشر مثل هذه الأخبار وصنع الرأي العام عموما. باعتبارهن حلقة وصل بين النساء والرجال.

وأغلبهن متفرغات لذلك...وهذا الحكم ينطبق على أغلب النساء إلا من رحم ربي.

والنساء لهن ما يميزهن دائما، فقد أورد ابن سعد في طبقاته الكبرى أنه لما((مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال:مروا أبا بكر فليصل بالناس ؛ فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، وإنه إذا قام مقامك، لم يكد يسمع الناس ؛فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ***فإنكن صواحب يوسف***)).(1)

المطلب التاسع: الفجوة التاسعة

وهي الفاصلة بين المشهد العاشر ـ اجتماع النسوة ـ والمشهد الحادي عشر ـ مشهد السجن ـ.

فقد رأينا في المشهد السابق ،كيف قطّعت النسوة أيديهن ،وكيف تبجّحت امرأة العزيز أمامهن، وراحت تلاحق يوسف بتلبية رغبتها جبرا ،وتعده بالسجن إن لم يفعل. وينتهي المشهد هاهنا ؛لينقلنا السياق مباشرة إلى مشهد السجن،وما وقع فيه من حوار بين يوسف وصاحبيه وقد وردت جمل اعتراضية: أقامت القنطرة بين المشهدين ،وسوغت عملية الانتقال بينهما فنيا.فقد رأينا يوسف يلجأ إلى الله داعيا إياه ،بأن يصرف عنه كيد النسوة وهذا ما يجعلنا نتصور أن المراودة لم تنته عند امرأة العزيز ،بل تعدتها إلى كل النسوة. ولكن يوسف ظل صامدا أمامهن ،مستعينا بالله.وقد تدخل السياق ،لينبئنا بأن القوم قد تعمدوا إدخال يوسف إلى السجن مع علمهم ببراءته.﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ**﴾.(2) وهو ما يوحي لنا بأن الفضيحة الأخلاقية توسعت أكثر فأكثر؛ و لم تعد تعني بيت العزيز فقط ،بل تعدته إلى بيوت أشراف القوم. فلم يجد هؤلاء وسيلة لإخماد نار الفضيحة إلا بتحريم يوسف والزج به في السجن .

---

(1) ابن سعد ،**الطبقات الكبرى** (بيروت:دار صادر)، ج4،ص335.

(2) سورة يوسف /الآية :35

فالفجوة بين المشهدين كانت واضحة. و لم تملأ إلا بتلك الإشعارات الفنية ،التي سوغت عملية الانتقال بين المشهدين.

المطلب العاشر: الفجوة العاشرة

وهي التي تربط بين المشهد الحادي عشر،والثاني عشر.

فقد رأينا يوسف في المشهد الحادي عشر؛ مع صاحبيه يدعوهما إلى الله، ويفسر أحلامهما ويطلب من الناجي منهما،أن يذكره عند سيده.وينتهي المشهد هاهنا ؛ليرفع الستار على مشهد آخر،نرى فيه الملك أمام حاشيته ،يطلب منهم تأويل رؤياه.

وبين المشهدين وردت جملة اعتراضية ،ملأت الفجوة.فقد أخبرتنا بأن الناجي منهما نسي طلب يوسف وقد كان ذلك سببا في بقائه في السجن لبضع سنوات.

فالفجوة الزمنية بين المشهدين كانت طويلة، وقد أخبرتنا بها الجملة الاعتراضية. ولكن... كيف قضى يوسف تلك الفترة؟. وماهي أهم الأحداث التي وقعت؟...

السياق يحذفها حذفا ،لعدم وجود حدث ،يساهم في تنمية الغرض العام للقصة.

المطلب الحادي عشر: الفجوة الحادية عشرة

وهي الواقعة بين المشهد الثاني عشر،والثالث عشر.

فقد رأينا الملك يقص رؤيته على الحاشية ،ويجيبونه بأن لاعلم لهم بتأويل الأحلام؛ فيتدخل الناجي من صاحبي يوسف - بعد تذكّره - ليعلم الملك،وحاشيته بأنه يعلم من هو أقدر على تأويل الرؤيا بشرط أن يرسلوه. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾(1).

وبسرعة خاطفة ينتقل السياق إلى المشهد الموالي؛حيث نجد الرجل أمام يوسف في السجن يطلب منه تأويل رؤيا الملك:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ...﴾(2).

---

(1)سورة يوسف/الآية:45.

(2)سورة يوسف/الآية:46.

((وفي لحظة خاطفة كلمح البصر،نراه وجها لوجه مع يوسف في السجن الذي خرج منه منذ بضع سنين ..وفي لهفة ينسى معها الرجل كل شيء إلا أن يعرض الحلم على يوسف ويطلب إليه تأويله...)).(1)

فالسياق قد حذف الكثير من الأحداث، وأحدث فجوة هائلة بين المشهدين.

فكيف ينبئ - الناجي - بتأويل الرؤيا؟.وإلى أي مكان يتم إرساله؟. وكيف كان رد الملك وحاشيته على طلبه؟. وكيف انتقل من قصر الملك ،إلى سجن يوسف ؟.

كل ذلك حذف من السياق ،وأصبح يمثل فجوة بين المشهدين. ترك فهمه وتصوره لخيال المتلقي يستسقيه من خلال السياق العام للمشهدين.

لأن ذكره ،والتفصيل فيه ،لا يخدم البناء العام للقصة، ولايخدم غرضها الأساسي ،فطرده من السياق أولى من إبقائه ،وفي ذلك تذوق جمالي أكيد.

المطلب الثاني عشر: الفجوة الثانية عشرة

وهي تربط بين المشهد الثالث عشر ،والرابع عشر.

فقد رأينا الناجي من صاحبي يوسف،يطلب منه تأويل رؤيا الملك ،فيشرع يوسف في تأويلها بالتفصيل. وبعد انتهائه ينتقل السياق بسرعة وعن طريق الومض إلى المشهد الموالي في قصر الملك. فلم نسمع إلا جملة واحدة تصدر عن الملك﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾(2).

فكيف انتقل الرجل من سجن يوسف،إلى قصر الملك؟.وكيف قص تأويل الرؤيا على الملك؟. وكيف كان رد الحاشية على تفسير الرؤيا؟.

كل ذلك حذف من السياق ،وترك لخيال المتلقي يتصوره من خلال السياق أيضا.

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:450.

(2)سورة يوسف/الآية:50.

المطلب الثالث عشر: الفجوة الثالثة عشرة

وهي الفاصلة بين المشهد الرابع عشر،والخامس عشر.

فقد رأينا مشهدا خاطفا يطلب فيه الملك من حاشيته بأن يأتوه بيوسف ،لينتقل السياق بنفس السرعةإلى المشهد الموالي فلا نسمع فيه أيضا إلا رد يوسف على طلب الملك ﴿فَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾.(1)

فمن الذي جاء إلى يوسف هذه المرة؟. أهو صاحبه الناجي؟. أم رسول آخر؟.

وكيف قطع المسافة بين القصر،والسجن؟.وكيف قدم طلب الملك إلى يوسف؟.

كل ذلك يحذف أيضا لأن ذكره فيه تكرار ممل لا يخدم فنية القصة. ويترك تصوره للمتلقي أيضا...

المطلب الرابع عشر: الفجوة الرابعة عشرة

وهي الرابطة بين المشهد الخامس عشر،والسادس عشر.

فبعد أن رد يوسف على طلب الملك ،بعدم الخروج من السجن ،حتى يحقّق في قضيته ويبرّأ منها ؛ ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التحقيق مع النسوة في قضية يوسف...فبين المشهدين، أحداث ومشاهد حذفت...

إذ كيف انتقل الرسول من السجن إلى القصر؟. وكيف روى على الملك رد يوسف على طلبه؟. وكيف كان رد الملك على ذلك الموقف الجريء؟. وكيف بعث الملك إلى النسوة لجمعهن والتحقيق معهن؟. ومن قام بذلك؟. وكم استغرقت العملية من وقت؟.

كل ذلك أهمل من السياق ؛ ليضعنا مباشرة أمام مشهد التحقيق...

فالفجوة كانت واضحة وقد أعطى السياق إشاراته الفنية لتصوّرها...

---

(1) سورة يوسف/الآية:50.

المطلب الخامس عشر :الفجوة الخامسة عشرة

وهي التي تفصل بين المشهد السادس عشر، والسابع عشر؛حيث رأينا في مشهد التحقيق، براءة يوسف من التهمة التي ألصقت به ،واعتراف النسوة بذلك،وطلب الملك يوسف للمرة الثانية﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.(1)

لينتقل السياق مباشرة إلى مشهد الملك مع يوسف، وهو يكلمه ويطمئنه بأنه مكين لديه...

وبين المشهدين أحداث ومشاهد حذفت.فمن ذهب ليوسف هذه المرة؟. وكيف قطع طريقه بين القصر والسجن؟.وكيف أخبر يوسف بنتائج التحقيق مع النسوة؟.وكيف بلّغ ليوسف طلب الملك له للمرة الثانية ؟. وكيف كان رد يوسف هذه المرة؟.وكيف انتقل يوسف من السجن إلى القصر؟.

كل ذلك حذف أيضا من السياق،وكان بمثابة الفجوة بين المشهدين،على غرار الفجوات السابقة.

المطلب السادس عشر :الفجوة السادسة عشرة

وهي الرابطة بين المشهد السابع عشر،والثامن عشر.

فقد رأينا يوسف بعد خروجه من السجن عند الملك ،يعده بالتّمكين والأمن ،وقد رأيناه يطلب من الملك بأن يولّيه على خزائن الأرض.

لينتقل السياق إلى مشهد موال؛حيث يوسف وإخوته بعد أن جاءوا من البدو ،ليكتالوا نتيجة ما أصابهم من جوع وقحط.وبين المشهدين وردت جملة اعتراضية ؛بينت للمتلقين بأن يوسف قد مكن في الأرض وأصبح يتبوأ منها حيث يشاء...

---

(1)سورة يوسف/الآية:54

فالفجوة بين المشهدين كانت واضحة؛ إذ حذف الكثير من الأحداث ،بل حذفت فترة زمنية طويلة بين المشهدين.

فكيف تولى يوسف زمام أمور الخزائن، و لم تسبق له تجربة في ذلك؟.وكيف عالج الأزمة الغذائية طوال السنين الواردة في الرؤيا؟ ـ فالفترة لا تقل عن خمسة عشر عاما ـ .

وماهي أهم الأحداث الواردة في هذه الفترة الزمنية الطويلة؟.

كل ذلك طواه السياق طيا ،لنلتقي بيوسف مع إخوته في المشهد الموالي....والإشارات التي أرسلها السياق من خلال هذه الفجوة الزمنية هي:

أن يوسف استطاع التحكم في تسيير الأزمة ،وحفظ التوازن الغذائي لمصر ،بل تعداها إلى البلدان المجاورة ؛حيث أصبح مضرب المثل ،وتأتيه القوافل من كل حدب وصوب.

المطلب السابع عشر: الفجوة السابعة عشرة

وهي التي تفصل بين مشهد يوسف مع إخوته في مصر،ومشهد الإخوة عند أبيهم في أرض الشام.فقد رأينا إخوة يوسف يدخلون عليه ،فيعرفهم وهم له منكرون.

وبعد أن جهزهم بجهازهم طلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ؛وفي نفس الوقت طلب من فتيانه أن يردّوا بضاعتهم في رحالهم.

وإذا بالسياق ينقلنا مباشرة من أرض مصر إلى أرض الشام،وفي مشهد يراود فيه الإخوة أباهم على أخيهم؛حيث((...يسدل الستار،لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر،ولا في الطريق ولكن أمام أبيهم..)).(1)

فهناك فجوة بين المشهدين،وفي ثناياهما... إذ كيف عرف يوسف أن هؤلاء أخا لهم من أبيهم ،وهم لا يعرفونه مطلقا؟.

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:188.

وكيف قضوا مدة الطريق بين مصر والشام؟. وكيف دبروا فيما بينهم خطة مراودة أبيهم على ابنه الأصغر؟.

كل ذلك حذف من السياق فلم نشعر به إلا من خلال اللمسات الفنية الواردة على ألسنة المتحاورين؛حيث عرفنا،بأن يوسف يكون قدتكلم مع إخوته واستقبلهم أحسن استقبال، وأوفى لهم الكيل ؛ومما ورد على ألسنتهم أنهم قصوا له تفاصيل حياتهم الاجتماعية ـ على عادة الوارد من البدو إلى الحضر ـ

﴿...قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّيَ أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(1).

ومما عرفناه أيضا، أنهم خلال الطريق ،دبروا الصيغة التي يراودون بها أباهم ،والحجج التي يقدمونها له كي يلبّي طلبهم ، خاصة وأن له معهم تجربة مريرة ، نتج عنها فقدانه ليوسف وهو أعزّهم.

كل ذلك كان من إيحاءات الفجوة ،التي يتلمسها المتذوق لهذه الإشعارات الفنية.

المطلب الثامن عشر: الفجوات المتبقية

وبنفس الصيغة تقريبا ،تأتي باقي الفجوات المتبقية بين مشاهد القصة.

فكل المشاهد تدور في أرض مصر ،وفي أرض الشام.وكان أبطالها هم إخوة يوسف،في مصر مع يوسف، وفي الشام مع أبيهم.

فقد شاهدناهم مع يوسف في مصر، يطلب منهم بأن يأتوه بأخيهم؛ لنلتقي بهم في الشام مع أبيهم يراودونه على ابنه، وبعد أن وافق على إرساله ؛ نلتقي بهم مرة أخرى في مصر مع يوسف ؛حيث احتجز أخاهم بتهمة السرقة ،وبعد محاولتهم معه بأن يطلق سراحه ويأسهم من ذلك ؛نلتقي بهم مرة أخرى مع أبيهم ،يروون له ما حدث...

فيرسلهم مرة أخرى إلى مصر، ليتحسسوا من يوسف واخيه.

---

(1)سورة يوسف/الآية:59.

وإذا بهم في مشهد آخر مع يوسف ،يشكون حالهم...ليقرّر هذا الاخير، بأن ينهي مأساتهم ويكشف عن نفسه لهم،ويطلب منهم بأن يعودوا إلى أرض الشام ،للمرة الاخيرة. ويأتوه بأهلهم أجمعين.

وإذا بهم في مشهد مع أبيهم يرمون على وجهه القميص فيرتدّ بصيرا.لينتقل بنا السياق مباشرة إلى المشهد الاخير في القصة على أرض مصر . وهو مشهد تحقّق الرؤيا ؛ حيث يدخل الجميع على يوسف ، ويرفع أبويه على العرش ، ويخرّون له سجّدا وبذلك ينتهي المشهد وتنتهي معه القصة.

وتكاد تكون الفجوة الزمنية بين كل هذه المشاهد واحدة.فهي تمثل الفترة الزمنية التي تقطعها القافلة بين أرض مصر،وأرض الشام - ذهابا وإيابا - وما يتبعها من أحداث...وقد أهملها السياق إهمالا.لأن ذكرها،وتكرارها،لايخدم القصة في شيء. سواء في غرضها الديني،أو غرضها الفني أيضا.

وعموما ،فقد ((أهمل المنهج الفني في أحسن القصص كتلا زمنية كبيرة إهمالا فنيا أي أنه أشار إليها و لم يتوقف عندها،لا (ريث ولا عجل) فلم يغفلها و لم يدعها تفلت أو تتسلل في غدران التدفق الروائي دون أن يرصدها أو يحدد وجودها ،ولو بالإشارة إلى مرورها فكان إهماله لهذه الكتل الزمنية أو تلك متساوقا مع ما تقتضيه أحداث القصة)).(1)

وبذلك نكون قد أنهينا مبحث الفجوات في القصة،آملين أن نكون قد ألممنا ببعض جوانبه...

---

(1)خالدأحمدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:213،214.

المبحث الرابع: المفاجأة ـ وتنوع طريقة عرضها ـ

توطئة

من المميزات الفنية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ورود عنصر المفاجـأة، كعنصر أساسي في حبك خيوط القصة؛ والذي نعنيه بالمفاجأة أو ـ الطارئ الفني ـ كما يسميه بعض النقاد. هو((...العنصر العارض،أو الحدث الغير متوقع ،أو الشخصية التي تقتحم فجأة على التدفق الروائي أو السرد دون سابق إنذار أو إشعار فني بذلك،ولكن دخوله يتساوق مع وقائع ـ القصة ـ أو يدخل في حبكتها غرزة أساسية،أو يرسو في الغاية رسوّا مستعمقا.))(1)

وعنصر المفاجأة لا يعد غريبا عن القصة،بل يخدمها خدمة فنية متميزة،مما يجعل الاستغناء عنه من باب المستحيل؛حيث((...يستحيل الاستغناء عن الطارئ الفني مهما بدا سطحيا أو مباشرا عند المبادرة؛فهو من ناحية يتصل في نسج الحبكة الفنية للحكاية، كغرزة فإذا فككته منها، انفرط عقدها ،واختل انتظامها، وهو من ناحية أخرى ،يرسل معلومة ما حول الحدث أو الشخصية أو البيئة ،فإذا سقط ،غابت الفكرة،وسقط بسقوطه احتمال فني يتوقعه القارئ...وبهذا تنقطع الصلة بين القارئ والحكاية...))(2)

وطريقة عرض المفاجأة في قصة يوسف،تتنوع من مفاجأة إلى أخرى ـ على مدار القصة ـ بحيث يمكننا حصر أربعة طرق لعرض المفاجأة.

فمرةأولى: يواجه المتلقون حدث المفاجأة لوحدهم ، **ومرة ثانية:** يواجهون المفاجأة مع الأبطال...

ومرةثالثة: يكشف سر المفاجأة للمتلقين ،ويبقى غامضا عن الأبطال، **ومرة رابعة** يكتم سر المفاجأة عن المتلقين والأبطال معا.

ـ وعلىهذا التقسيم ،لطرق عرض المفاجأة في قصةيوسف ،سنحاول تبويب المفاجآت الواردة في القصة.

---

(1)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:225.

(2)خالد أبو حندي،المرجع السابق،ص:225،226.

المطلب الأول: مواجهة المتلقين بالمفاجأة مباشرة

وهذا النوع من المفاجأة يواجه به المتلقي ـ السامع والقارئ ـ بدون إشعار مسبق،من خلال سياق القصة.فبينما يكون المتلقي مشغولا بالحوار الدائر في المشهد السابق وفي تصور إيحاءاته. إذا به يفاجأ في المشهد الموالي بشخصية ما ،لم تذكر من قبل.أو بحدث غريب، يصدر من أبطال القصة وهذا ما نلمسه في المشاهد التالية:

الفرع الأول: مفاجأة المتلقين بالمؤامرة التي يدبرها إخوة يوسف

بينما كان المتلقي يستمع إلى يوسف وهو يقص رؤيته على أبيه،وإذا به مباشرة أمام مشهد مفاجئ ؛حيث يتآمر الإخوة على يوسف بالقتل ﴿...اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ* قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ...﴾.(1)

إنها مفاجأة للمتلقي...فهل وصل الأمر بإخوة يوسف إلى درجة القتل؟.

إنهم يدبرون((...لأبشع مأساة في بيت النبوة،وبين أبناء هذا النبي الكريم...)).(2) فهي((أحقاد الإخوة الكبار لاحقت الشاب المختار، فإذا هو مطارد مقبوض عليه مرمي في قعر بئر بين الهلاك والنجاة)).(3)

وقد ظل سر هذه المفاجأة منكشفا لدى المتلقين ،طوال مشاهد تنفيذ المؤامرة ،لكنه بقي غامضا على بطلين من أبطال القصة (يوسف،ويعقوب) ،كما سنرى ذلك لاحقا.

الفرع الثاني: مفاجأة المتلقين بدخول السيارة في السرد القصصي

فبينما كان المتلقي يتابع تفاصيل مشاهد المؤامرة على يوسف ؛حيث قذف به في البئر وذهب الإخوة ليكذبوا على أبيهم، ويشكك يعقوب في دعواهم، ومايتبع ذلك من مشاعر التقزز تجاه فعلة إخوة يوسف.

---

(1)سورة يوسف/الآية:9،10.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:410.

(3)محمد الغزالي،**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ج2،ص27.

إذا به ـ أي المتلقي ـ يفاجأ بالسيارة تطرأ على السرد القصصي.فقد كانت ((...السيارة عنصرا طارئا على التدفق الروائي،الذي كان مشغولا بسرد وقائع الجريمة وتفاصيلهـــــا، وكيفية أكل الذئب ليوسف ،وما كان عليه موقف يعقوب ـ عليه السلام ـ من أبنائه ، فبينماكان القارئ مشغولا ومشغوفا بتتبع هذه الحكاية،ويتطلع إلى نهاية الحوار، وجدت الطارئ الفني في السرد يدخل فجأة(وجاءت سيارة))).(1) ومع أن التدفق الروائي أشعر المتلقي فنيا بورود السيارة ـ قبل المفاجأة ـ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.(2) إلا أن توقيت مجيئها كان مفاجأة له...

الفرع الثالث: مفاجأة المتلقين بمراودة المرأة ليوسف

لقد أشعرنا المشهد السابق لمشهد المراودة ، أن العزيز أوصى امرأته بأن تكرم يوسف عسى أن تتخذه ولدا. وراح يجول بنا الخاطر يصور لنا يوسف وقد عاش مدللا عند امرأة العزيز دلال الابن مع أمه...

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا..﴾(3)

فإذا بالسياق يفاجئنا ،بأن العلاقة بين امرأة العزيز ويوسف ، لم تعد علاقة الأم بابنها كما كان متوقعا. بل تحول إلى علاقة غرامية من طرف واحد ؛ حيث ((نظرت الأم المزعومة إلى رجل قريب منها يعيش في كنفها وسلطانها فطمعت فيه)).(4) ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ...﴾.(5)

إنها صدمة للمتلقي ،فكيف حصل هذا؟.وماهي دواعيه؟...

ولقد بقي سرّ هذه المفاجأة (المراودة) معلوما عند المتلقين ـ وكان يوسف بريئا منها براءة الذئب من دمه ـ ولكنه بقي غامضا على زوجها،وصاحبه ـ الشاهد من أهلها ـ إلى غاية التحقيق في القضية؛ وبقي غامضا على مجموع المجتمع المصري ،إلى غاية تحقيق الملك في القضية مع النسوة، بعد سجن يوسف.

---

(1)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:226.

(2)سورة يوسف/الآية:10.

(3)سورة يوسف/الآية:21.

(4)محمد الغزالي،**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص29.

(5)سورة يوسف/الآية:23.

المطلب الثاني: مواجهة المتلقين والأبطال بالمفاجأة مباشرة

وهذا النوع - في طريقة العرض - يختلف عن سابقه ؛بكون المفاجأة لا تواجه المتلقي فقط. بل تواجه المتلقي والبطل معا. ومن أمثلة ذلك في قصة يوسف ما يلي:

الفرع الأول: مفاجأة المتلقين،ويوسف وامرأة العزيز بسيدها

فبعد أن تفاجأ المتلقون للقصة بحادث المراودة،وشهدوا ما وقع بين امرأة العزيز ويوسف . حيث عرضت عليه نفسها مرات ومرات، ووصل بها الأمر إلى تغليق الأبواب وعرض نفسها مباشرة على الفاحشة...ولكن يوسف أبى.ودخلت معه في صراع نتج عنه الاستباق نحو الباب، حيث يريد يوسف الهروب منها.

وفي لحظة وصولهما الباب تكون المفاجأة لهما وللمتلقين معا﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾.(1)

فبعد أن ((استبقا الباب وتقد قميصه من دبر.تكون المفاجأة..وفي هذه اللحظة يصل الزوج)).(2)

ويتعدّى أثر المفاجأة إلى الزوج ؛حيث((...يأتي إلى بيته ولكن المفاجأة كانت تنتظره خلف الباب. حيث الصراع على أشده،بين زوجته الشبقة،ويوسف المستعصم الهارب لعفته..)).(3)

الفرع الثاني: مفاجأة المتلقين والنسوة بجمال يوسف

لقد تفاجأ المتلقون من قبل بمراودة امرأة العزيز لفتاها ،ولكن السياق لم يكشف عن الأسباب الحقيقية،التي دفعت بالمرأة إلى هذا الارتماء الحيواني في أحضان الرذيلة؟.

وبصورة أدق لم يكشف السياق عن الصفات الخلقية الجمالية لسيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ التي كانت سببا مباشرا لسقوط امرأة العزيز في حب فتاها...

---

(1)سورة يوسف/الآية:25.

(2)خالد أبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:398.

(3)خالد أبوحندي،المرجع السابق،ص:170.

هذه الحقيقة ،أوهذا السر لم نكتشفه إلا فجأة في مشهد النسوة...

فبعد أن شاع خبر المراودة في المدينة بين النساء﴿وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.(1)

لقد هيأت امرأة العزيز كل الظروف للنسوة من أجل مفاجأتهن بجمال يوسف،حتى تقيم لنفسها الأعذار...

((... وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم ،أو تقشير الفاكهة فاجأتهن بيوسف:(وقالت اخرج عليهن)).(2)

وبعد خروج يوسف ،انبهرن بجماله، وتفاجأن مفاجأة عظمى أدت بهن إلى نسيان أنفسهن وتقطيع أيديهن بالسكاكين﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.(3)

لقد كان هذا الموقف المفاجئ حجة لامرأة العزيز على النسوة،وكان انتصارا لها عليهن حيث((...أنهن لقين من طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول ،فقالت قولة المرأة المنتصرة... (فذلكنّ الذي لمتنني فيه)... فانظرن ماذا لقينّ منه من البهر والدهش والإعجاب..)).(4)

فالمفاجأة هاهنا لم تكن للنسوة فقط...فقد تفاجأ المتلقون أيضا بجمال يوسف الذي أدى بالنسوة إلى تقطيع أيديهن وكان سببا رئيسيا لمراودة امرأة العزيز ليوسف.

حيث أدرك المتلقون هذا السبب على لسان امرأة العزيز وهي تبرر موقفها﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ..﴾(5)أي ((...لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه فطلب الاعتصام...)).(6)

---

(1) سورة يوسف/الآية:31

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1984.

(3)سورة يوسف/الآية:31

(4)سيد قطب،المرجع السابق،ص:1975،ج:4.

(5)سورة يوسف/الآية:32.

(6)سيدقطب،المرجع السابق،ج:4،ص:1975.

و لم يدركوه - أي السر - لحظة المراودة الأولى .فقد تكشّف سر المفاجأة الأولى (المراودة). أثناء المفاجأة الثانية(تقطيع أيدي النسوة).

الفرع الثالث:مفاجأة المتلقين ويوسف بصاحبي السجن

لقد فاجأنا سياق القصة - بعدما تأكدنا بأن يوسف سيكون مصيره السجن نتيجة امتناعه عن طلب النسوة ،وقرار القوم بسجنه - بدخول فتيين معه إلى السجن ...فما دخلهما في سياق القصة؟.بعد أن خرجنا للتو من مشهد النسوة.وماهي علاقتهما بيوسف؟.

فقد ((...فاجأنا التدفق الروائي - بدخول الفتيين للسجن - ونحن نتابع حدثا رهيبا،وقع ليوسف - عليه السلام -...يوسف البريء العفيف ،يلحق به ظلم قاسي متوحش،ويدخل السجن. و عوضا عن إتمام الحديث عن يوسف ومصيره نجد أنفسنا مع حدث طارئ: (ودخل معه السجن فتيان)،ونجد التدفق الروائي ينشغل بهموم هذين الفتيين وقلقهما عن رؤيا يراها كل منهما - ليصرفنا - عن الحديث بما يشغلنا نحن عن مصير يوسف...))(1).

وكما تفاجأ المتلقون تفاجأ معهم يوسف بهذين الفتيين، فهو لايعرفهما،ولايعرف حتى أحوال السجن،وزواره...وهذه المفاجأة لم يكن ورودها في السياق عبثا ،بل قدمت خدمة فنية هامة لحبك القصة فنيا وإيصالها إلى مرحلة التتويج.

فلقد نجا أحد الفتيين،وكان سببا في خروج يوسف من السجن وتتويجه بوزارة المال... ((فالحدث الطارئ لم يكن هامشيا؛بل التحم مباشرة مع حبكة الحكاية،فقد رأينا يوسف - عليه السلام - ....وهويستعرض علينا وعلى الفتيين لونا من المعرفة التي أو تيها، والحكم الذي منح....ويتحدث يوسف إلى الفتيين،حديثا حكيما،ويفسر رؤياهما تفسيرا يتحقق ويكون سببا في انحصار الظلم عن يوسف - عليه السلام -)).(2)

---

(1)خالد أبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:228.

(2)خالد أبو حندي،المرجع السابق،ص:228.

وقد نمت القصة نموا طبيعيا بهذا الحدث الطارئ المفاجئ؛ ومن خلاله كشف لنا عن أسباب منطقية لعبت دورا أساسيا في نجاة يوسف ،وتمكينه في الأرض.

المطلب الثالث: كشف سر المفاجأة للمتلقين وكتمانها عن الأبطال

وفي هذا النوع من طريقة عرض المفاجأة((...يكشف السر للنظارة،ويترك أبطال القصة عنه في عماية ، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهـــم عالمين)).(1)

وقد ورد هذا اللون في عدة مواضع من قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.والملاحظ أن أغلب المفاجآت التي عرضت بهذه الطريقة تتعلق بالمشاهد التي ظهر فيها إخوة يوسف، في بداية القصة ــ بتنفيذهم المؤامرة ــ وفي نهايتها ـ بالذهاب والإياب بين مصر والشام ـ.

وأغلب ما يكون هذا اللون من عرض المفاجأة((...في معرض السخرية،ليشرك النظارة فيها منذ أول لحظة حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين)).(2)

وذلك ما سنراه في المفاجآت التالية:

الفرع الأول: مفاجأة يوسف بتنفيذ المؤامرة من إخوته

لقد كشف سر المؤامرة للمتلقين كما رأينا من قبل؛حيث استقر إخوة يوسف، على مكيدة إلقائه في الجب، حتى يخلو لهم وجه أبيهم. ولكن يوسف لم يكن يعلم بذلك، ولم يكن يتوقعه أيضا. فقد سمع من معسول كلام إخوته مع أبيهم ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(3)وسار معهم الطفل الصغير ببراءته، ليواجه فجأة وحوشا ضارية انقلبت رأسا على عقب ،تعريه من قميصه ،وتقذف به في البئر.

((فقد استقر أمرهم جميعا على أن يجعلوه في غيابة الجب...وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع ،والموت منه قريب،ولا منقذ له ولا مغيث،وهو وحده صغيروهم عشرة أشداء ...

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:186.

(2)سيد قطب،المرجع السابق،ص:186.

(3)سورة يوسف/الآية:12.

في هذه اللحظة اليائسة يلقى الله في روعه أنه ناج،وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف البشع ....)).(1)((لقد تركوه وحده ظانين أنهم انتهوا منه ،وهيهات...)).(2)

وفي كشف سر المفاجأة مسبقا للمتلقين ،وتركه غامضا على يوسف إلى لحظة التنفيذ ينكشف عنصر السخرية الذي يمارسه المتلقون تجاه تصرفات الإخوة الكبار،مع أخيهم الصغير.

الفرع الثاني: مفاجأة يعقوب بخبر قتل يوسف

وعلى نفس نمط المفاجأة السابقة تأتي هذه الأخيرة؛حيث كان سر المؤامرة مكشوفا لدى المتلقين ،وأصبح معلوما لدى يوسف ـ لأنه نفذ عليه ـ ولكنه بقي مجهولا عند يعقـــوب ـ عليه السلام ـ حتى فوجئ بخبر أكل الذئب ليوسف.

والملاحظ أن سر المفاجأة هاهنا لم يأت على حقيقته،وقد بقي سرا لدى يعقوب إلى غاية انكشاف الحقيقة في نهاية القصة.﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ*قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ..﴾(3).

ففي رد يعقوب على أبنائه ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ إشارة إلى أن المفاجأة التي أتوه بها لم تكن حقيقية،وأن سرها سيظهر من بعد...

حيث((...أدرك يعقوب من دلائل الحال،ومن نداء قلبه،أن يوسف لم يأكله الذئب وأنهم دبروا له مكيدة ما ،وأنهم يلفقون له قصة لم تقع ،ويصفون له حالا لم تكن...)).(4)

ومن خلال ذلك يظهر أيضا، عنصر السخرية الذي يمارسه المتلقون على إخوة يوسف وينكرون عليهم هذه التصرفات السخيفة ،تجاه أبيهم النبي؟.

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1975.

(2)محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص27.

(3) سورة يوسف/الآية:16،17.

(4)سيد قطب،المرجع السابق، ج:4،ص:1976.

الفرع الثالث: مفاجأة وارد السيارة بالغلام في الدلو

لقد علم المتتبعون للقصة بأن يوسف أصبح داخل البئر بعد مكيدة إخوته.

ولما تفاجئوا بمجيء السيارة ،وإرسال واردهم للبئر، ليسقي لهم. تأكدوا ـ من إيحاءات السياق ـ بأن يوسف سيتعلق بدلو الوارد ويخرج من البئر.فخروج يوسف من البئر إذن لم يكن مفاجأة للمتلقين...

إنما كان مفاجأة لوارد السيارة ،وأصحابه...﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ...﴾(1).

فلنتصور حالة الوارد وهو يجذب الدلو من البئر ـ متثقلا ـ ظانا أنه ماء...فإذا به يفاجأ بغير ما كان يتوقع...إنه ليس ماء،وليس حجرا...إنه غلام...حق له أن يستبشر به﴿قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾.((فلقد تعلق يوسف بالدلو طلبا للنجاة،حتى إذا دانى الرجل أمسك به صارخا ضارعا...يهتف(يابشرى هذا غلام)...)).(2)

((ويحذف السياق حركة يوسف في التعلق بالدلو احتفاظا بالمفاجأة القصصية للقارئ والسامع)).(3).مع أن إيحاءات القصة تقتضي خروج يوسف متعلقا بالدلو...

وفي هذه المفاجأة إثارة لعنصر التشويق في القصة، للارتباط بها أكثر،وتتبع مشاهدها حتى النهاية.

الفرع الرابع: مفاجأة الإخوة برد بضاعتهم

لقد علم المتلقون للقصة سر هذه المفاجأة مسبقا،من خلال قول يوسف لفتيانه: ﴿...اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.(4)

وبقي إخوة يوسف في عماية عنها ،طوال الطريق الرابط بين مصر،والشام.

---

(1)سورة يوسف/الآية:19.

(2)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:420.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1976.

(4)سورة يوسف/الآية:62.

و لم ينكشف لهم سرها ،إلا عند فتحهم لأوعيتهم أمام أبيهم﴿..وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ..﴾.(1)

وهنا تكون مفاجأتهم إذ أنهم لما((...فتحوا أوعيتهم ليخرجوا ما فيها من غلال فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها و لم يجدوا في رحالهم غلالا)).(2)

وفي هذا الموقف يستمتع المتلقي بممارسة السخرية على إخوة يوسف فقد قطعوا مسافة طويلة، ظانين أنفسهم أنهم قد اكتالوا...ولكنهم في نهاية المطاف لم يجدوا شيئا من ذلك بل وجدوا بضاعتهم ردت إليهم.((...وكان ذلك ليضطرهم إلى العودة بأخيهم،وكان هذا بعض الدرس الذي عليهم أن يأخذوه)).(3)

الفرع الخامس:مفاجأة إخوة يوسف باستخراج السقاية من رحل أخيهم

وتتوالى المفاجآت على نفس المنوال ،لتتوالى معها الدروس على إخوة يوسف...فقد علم المتلقون للقصة بتفاصيل الخطة التي دبرها يوسف للإبقاء على أخيه معه.

حيث جعل السقاية في رحله، واتهموا بأنهم سارقون..وبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاءأخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه.﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ*قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ*قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ*قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ*قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ*فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ...﴾.(4)

لكن إخوة يوسف بقوا في غفلة عما يدبر لهم، من مكيدة؛ بل راحوا يشاركون في تمام تنفيذها،وكان ذلك لازما لهم.((...ريثما يتلقوا دروسا أو دروسا ضرورية لهم، وضرورية للناس في كل زمان ومكان)).(5)

---

(1)سورة يوسف/الآية:65.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1976.

(3)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:2016.

(4)سورة يوسف/الآيات من :70 إلى:76.

(5)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:2018.

وبقوا كذلك... والمتلقي يسخر منهم ،إلى أن **فوجئوا** بإخراج السقاية من رحل أخيهم ((ويدعنا السياق تتصور الدهشة بالمفاجأة العنيفة لأبناء يعقوب الموقنين ببراءتهم الحالفين المتحدين...فلا يذكر شيئا عن هذا،بل يتركه يتملاه الخيال على الصورة التي تكمل رسم المشهد بانفعالاته...)).(1)

الفرع السادس: مفاجأة يعقوب بفقدان ابنه الثاني

لقد رأينا (من قبل) يعقوب ـ عليه السلام ـ ،يفاجأ بخبر موت يوسف فيكون رده: التشكيك في الخبر وإرجاء كشف السر إلى وقت لاحق..وها نحن نجده في موضع آخر يفاجأ بخبر مماثل ،وهذه المرة باحتجاز ابنه الثاني....

وقد علمنا نحن ـ المتلقون ـ بخبر الاحتجاز في مصر مسبقا ،وبقي يعقوب ـ عليه السلام ـ في غفلة عن ذلك حتى وصله الخبر إلى أرض الشام.إذ قال له أبناؤه﴿**يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**﴾.(2)

ويكون استقبال يعقوب لهذه المفاجئة، بنفس استقبال المفاجأة الأولى﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾(3).((والحق أن مصاب يعقوب جلل،فقد كان يحس في أعماق قلبه أن يوسف حيّ،وأنه عائد إليه حتما، فإذا هو يفتقد الآخر...)).(4)

ومع أن سر المفاجأة الثانية عرض عليه على حقيقته(على عكس سر المفاجأة الأولى).

إلا أن رد يعقوب كان واحدا ،وأضاف في الرد الثاني إشعارا فنيا ،يوحي بكشف سرائر كل المفاجآت لاحقا ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾.(5)((هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به،والشعور بوجوده ورحمته ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة ،فتصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار)).(6)

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2020.

(2)سورة يوسف/الآية:81

(3)سورة يوسف/الآية:83

(4)محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص35.

(5)سورة يوسف/الآية:83

(6)سيدقطب،**المرجع السابق** ،ج:4،ص:2025.

الفرع السابع:مفاجأة الإخوة بمعرفة يوسف

لقد علم المتلقون منذ أول لقاء بين يوسف وإخوته، أنه عرفهم،وهم له منكرون.ولكنه رفض مكاشفتهم إلى حين؛ وذلك حتى يأخذوا دروسا كافية؛ جزاء لما فعلوا به وبأبيه.

وفي مجيئهم الثالث إلى مصر،تلمّس يوسف في كلامهم انكسار وضعفا لا مثيل لـه؛حيث قـالوا﴿..يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾.(1)

((وعندما يبلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار لا تبقى في نفس يوسف قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز ،والتخفي عنهم بحقيقة شخصيته.فقد انتهت الدروس ،وحان وقت **المفاجأة الكبرى** التي لا تخطر لهم على بال...)).(2)

حيث قال لهم:﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾.(3) فبدأت ملامح يوسف ترتسم في أذهانهم، ويستحضرونها من ذكرياتهم﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾.(4) فأكد لهم حقيقة شخصيته﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي..﴾.(5) ((وأماط يوسف اللثام عن شخصيته بعد مالمس من إخوته هذا الهوان)).(6)

وتكون بذلك **مفاجأتهم الكبرى**...إنها((مفاجأة عجيبة يعلنها لهم يوسف ويذكرهم في إجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه في دفعة الجهالة...)).(7)

فما يكون ردهم أمام هذه المفاجأة العظيمة﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.(8) إنه الاعتراف بالخطأ...والاعتراف بفضل الله عليه ،وإيثاره له عليهم،بعد أن أنكروا عليه ذلك من قبل وفعلوا ما فعلوا...ويظل المتلقي ينظر إليهم،وهم في موقع الإنسان الذي فكر ودبر ،ولكن النتائج جاءت على غير تقديره،وتدبيره،فلم يجد بدا من الاستسلام والخضوع ،وطلب العفو والمغفرة...

---

(1)سورة يوسف/الآية:88.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2027.

(3)سورة يوسف/الآية:89.

(4)سورة يوسف/الآية:90.

(5)سورة يوسف/الآية:90.

(6)محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص35.

(7)سيد قطب،المرجع السابق،ج4،ص2027.

(8)سورة يوسف/الآية:91.

الفرع الثامن:مفاجأة ارتداد بصر يعقوب

وتتوالى المفاجآت في المشاهد الأخيرة للقصة....

فقد علم المتلقون للقصة ،من خلال كلام يوسف لإخوته:﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾.(1) بسرّ المفاجأة الموالية وهي ارتداد بصر يعقوب.

ولكن بعض إخوة يوسف ـ الذين لم يذهبوا إلى مصر في الرحلة الاخيرة ـ (أو من أهله) ما أن سمعوا يعقوب يذكر يوسف إلا وثاروا في وجهه ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.(2)

فلما وصل البشير من أبنائه،الذين كانوا في مصر،وألقى القميص على وجهه كما أوصاه يوسف. كانت **المفاجأة الكبرى** .إنها ارتداد بصر رجل ابيضت عيناه من الحزن ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ..﴾(3).لاشك أن وقع المفاجأة كان قويا على هؤلاء الذين كانوا يقولون لأبيهم ،إنك لفي ضلالك القديم. ((وفجأة سمع الذين حول يعقوب صيحة استبشار منه لا يعرفون مأتاها...)).(4)

إنها((مفاجأة القميص،وهو دليل على يوسف وقرب لقياه،ومفاجأة ارتداد البصر بعدما ابيضت عيناه)).(5)أما يعقوب ـ عليه السلام ـ فإن وقع المفاجأة بالنسبة إليه لاتكون كوقعها على أبنائه ،خاصة وأنها جاءت موافقة لما كان يتكلم به من الأمل في الله.

حيث قال لهم:﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(6)

وقد تأثر المتلقون أيضا بوقع المفاجأة ـ مع أنهم قد علموا سرها ـ حيث رأوها رأي العين تنفذ في الواقع بعدما سمعوا عنها في حديث يوسف مع إخوته.

وبين هذا وذاك ،تأكدوا بأن هذه المفاجأة هي معجزة خارقة للعادة، أجراها الله تعالى،على يدي نبيين كريمين ،يوسف ويعقوب ـ عليهما السلام ـ.

---

(1)سورة يوسف/الآية:93.

(2)سورة يوسف/الآية:95

(3)سورة يوسف/الآية:96

(4)محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،ص36.

(5)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2028.

(6)سورة يوسف/الآية:96.

المطلب الرابع: كتمان سر المفاجأة عن الأبطال والمتلقين

ورابع طريقة في عرض المفاجأة ،إخفاء سر المفاجأة عن الأبطال ،والمتلقين ،إلى أن يتعرفوا عليها معا؛حيث((يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة،حتى يكشف لهم معا في آن واحد)).(1)

وفي قصة يوسف، يبرز هذا اللون من خلال ـ الرؤى ـ وتفسيرها ؛بحيث تعرض الرؤيا ولايعلم صاحبها،ولا المتلقي تفسيرا لها.ويبقى تأويلها سرا يفاجأ به المتلقي والبطل في آن واحد.

وهذا التفسير يمر بمرحلتين، مرحلة التفسير النظري الذي يسمع من المؤول، ومرحلة التفسير العملي الذي يشاهد فيه تطبيق الرؤيا في الواقع.

فسرّ المفاجأة هاهنا،ينكشف للمتلقين والأبطال رويدا رويدا؛ ابتداء من معرفةالتأويل النظري إلى غاية التأويل الميداني الواقعي.

والقصة كما هو معلوم،إحتوت على أربعة رؤى هي:رؤيا يوسف، ورؤيتا صاحبي السجن ورؤيا الملك.

الفرع الأول : مفاجأة رؤيا يوسف

أول ما ابتدأت به القصة، عرض يوسف لرؤياه على أبيه﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾(2).

وكما تعلق يوسف بمعرفة سر هذه الرؤيا ،تعلق معه المتلقون للقصة.فالرؤيا أصبحت مفاجأة ،يبحث عن سرها ،ولغزا يحتاج إلى حل. ويبدأ هذا السر في الانكشاف، بتأويل يعقوب للرؤيا،وبيان الفضل الذي خص الله به يوسف﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...**﴾(3).

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:183.

(2)سورة يوسف/الآية:4.

(3)سورة يوسف/الآية:6.

فـ ((...رؤيا يوسف تشير إلى اختيار الله له، وإتمام نعمته عليه وعلى آل يعقوب...)).(1)

ولكن هذا الانكشاف يبقى في حاجة إلى تفصيل أكثر؟.فلا يوسف علم حقيقة هذه الرؤيا؟ ولا المتلقون أيضا؟.

وتأتي تفاصيل القصة، تفسيرا عمليا لتلك الرؤيا،وكشفا لأسرارها،من أجل إيصالها إلى الانكشاف النهائي،والتتويج الختامي في آخر مشهد من القصة((وياله من مشهد بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام،وبعد اليأس والقنوط،وبعد الألم والضيق،وبعد الامتحان والابتلاء. وياله من مشهد ختامي موصول.تطلع القصة...(فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)...ويذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود إخوته له ـ وقد رفع أبويه على السريرالذي يجلس عليه ـ كما رأى الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين)).(2)

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..﴾.(3)

وفي هذه اللحظة، يكشف السر نهائيا عن مفاجأة الرؤيا؛للمتلقين، والأبطال معا.

الفرع الثاني: رؤيتا صاحبي السجن

وعلى نفس المنوال يفاجأ صاحبا السجن برؤيتيهما، ويفاجأ معهما المتلقون...

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ...﴾.(4)

ويبقى سرهما،وتأويلهما ،غامضا على الطرفين؛إلى حين انتهاء يوسف ـ عليه السلام ـ من توجيهاته الدينية وتأويلهما بصورة الاقتضاب :﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(5)

وبهذا التأويل ينكشف سر الرؤيتين؛ للمتلقين، ولصاحبي السجن معا.

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1971.

(2)سيد قطب،المرجع السابق،ص:2029.

(3)سورة يوسف/الآية:100.

(4)سورة يوسف/الآية:36.

(5)سورة يوسف/الآية:41.

حيث إن:((أحدهما يعود إلى مكانه من الملك،فيكون ساقي شرابه من الخمر،وأما الآخر فيصلب ويكون بعد صلبه ملقى بالعراء فتنهشه السباع،وتأكل الطير من رأسه،وما بقي من أعضاء جسده))(1).

الفرع الثالث: رؤيا الملك

ويستيقظ الملك مفزوعا من تلك الرؤيا الغريبة التي رءاها في منامه، ويفاجأ الملأ من قومه بمضمونها .﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.(2)

وقد كانت هذه الرؤيا بالنسبة للمتلقين ،والأبطال ـ الملك وحاشيته ـ بمثابة المفاجأة التي ينتظر كشف سرها؟. أو اللغز الذي يحتاج إلى من يفكه؟.

وقد ظل هذا السر متخفيا لمدة معينة،نستشفها من قول الملأ للملكهم:﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾(3).إلى أن ظهر الناجي من صاحبي يوسف فجأة...

وأبلغ الجميع بقدرته على توجيههم، لمن يفسر الرؤيا. وبذلك يزداد التشويق، لمعرفة سر هذه المفاجأة...وما بدأ السر ينكشف إلا بعدما سمعنا يوسف ـ عليه السلام ـ يؤوّل هذه الرؤيا ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.(4)

((فعبر يوسف ـ عليه السلام ـ السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب،والعجاف بسبع سنين فيها جدب وهكذا عبر السبع السنبلات الخضر، والسبع السنبلات اليابسات)).(5)

وبهذا التأويل يكون سر المفاجأة قد انكشف نظريا،ليترك انكشافه العملي للأعوام الخمسة عشر الموالية .

---

(1)عبدالكريم الخطيب،**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**.ص:447.

(2)سورة يوسف/الآية:43.

(3)سورة يوسف/الآية:44.

(4)سورة يوسف/الآيات:47،48،49.

(5)محمدبن علي الشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:31.

وما نلاحظه من خلال السياق ،أنه لم يشر إلى تنفيذ تفاصيل هذه الرؤيا ،بل أرسل إلينا إشارات توحي بأن الأمور سارت على نسق تأويل يوسف للرؤيا.وقد استطاع بحنكته وعلمه،أن يخرج مصر من أزمة غذائية كادت تعصف بها،إلى أن أصبحت مأوىً غذائيا للبلدان المجاورة.

وقد كان أول رد عملي من الملك بعد أن انكشف له سر المفاجأة؛طلبه ليوسف﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾(1).

وبذلك نكون قد انتهينا، من مبحث المفاجأة، وتنوع طريقة عرضها، في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.

وبنهاية هذا المبحث نكون قد انتهينا من الفصل الثاني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)سورة يوسف/الآية:50.

الفصل الثالث

ملامح الشخوص في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة:

المبحث الأول: الشخصية الأصلية وملامحها.

المطلب الأول: ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ.

المبحث الثاني: الشخصية الثانوية وملامحها.

توطئة:

المطلب الأول: ملامح الشخصية المفردة.

المطلب الثاني: ملامح الشخصية الجماعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

ملامح الشخوص في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة

لقد ذكرنا في الفصل الثاني أن الشخصيات عنصر من العناصر الفنية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ. وأرجأنا الحديث عن هذا العنصر إلى هذا الفصل ؛باعتباره لا يمثل عنصرا فنيا لذاته فحسب وإنما يمتد دوره ليكون المحورالأساسي الذي تدور عليه أحداث القصة.وكيف لا والشخوص هم أبطال القصة. والذي يعنينا من هذا العنصر في هذا الفصل هو إبراز عملية التصوير الفني باستعمال الشخصيات كلون من ألوان هذا التصوير ((والأمثلة على هذا اللون من التصوير هي القصص القرآني كله،فتلك سمة بارزة في هذا القصص،وهي سمة فنيّة محضة...)).(1) والمنهج الفني في القرآن الكريم قد أعطانا مقاييس جديدة في رسم حركات الشخصيةفي القصة.

((...ومن أبرز هذه المقاييس نقل الحياة التي عاشتها الشخصية نقلا حيا أشعرنا ـ ونحن نتابع خطوات الشخصية ـ بأننا نعيش الحياة الممثلة، أو نقف على خبايا أعماق الشخصية الممثلة ونتلمّس زواياها المختلفة، فنأنس إليها وكأنما نجلس معنا،وتشاركنا حياتنا)).(2)

فدقة التصوير في رسم الشخوص جعلتنا نتلمس ملامح منطبقة على شخصيات تعيش واقعنا الحالي،وهذا من عظمة القصة القرآنية ،وقصة يوسف على وجه الخصوص ـ كما سنرى لاحقا ـ وملامح الشخوص تتفق تماما مع الغرض الديني للقصة؛حيث نجد تلاحما بين ملامح الشخصيات والفكرة العامة للقصة((...فالشخصية وصفاتها تتلاحمان مع الفكرة العامة وتكونان غرزة فنية في حبكتها، وتلاؤم الشخصية وتلك الصفات ظاهرة أخرى في المنهج الفني لأحسن القصص[أي قصة يوسف]...)).(3)

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:

(2)خالدأبوجندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:137.

(3)خالدأبو جندي،المرجع السابق،ص:168.

ولتتبع ملامح شخصيات هذه القصةالعظيمة،ومعرفة مدى تطابقها،ونموها مع الفكرة العامة للقصة،ومع الأغراض الدينية التي سيقت من أجلها .نقسم الشخصيات إلى قسمين:

أ ـ شخصية أصلية.

ب ـ شخصيات ثانوية.

المبحث الأول : الشخصية الأصلية وملامحها

لقد كانت شخصية يوسف هي الشخصية الأصلية في قصته؛ حيث تمثل ((الشخصية الرئيسية التي تدور حولها الحوادث،وأما غيرها من الشخصيات فتظهر وتختفي كلمادعت الحوادث...)).(1)

وكان يوسف هو البطل في قصته حيث سيطرت شخصيته((...على مناخ القصة،بحركاتها أو من خلال استعراضها للأحداث،أو استعراض الأحداث لمختلف جوانبها وبهذا[كانت شخصيته] قطب الجذب فلا تفتأ تطل علينا من خلال الحدث والمتسع الزمني، والبيئة المكانية...)).(2)

وعرضت هذه الشخصية في القصة((...عرضا كاملا في كل مجالات حياتها،بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشخصية في هذه الجوانب وفي تلك المجالات. وتعرض أنواع الابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها..ابتلاءات، الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة ،والفتنة بالسلطان،وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات...)).(3)

وهذه الشخصية،تتحرك على مشاهد القصة وفق تكوينها،وفي إطار الغاية العامة من القصة.

فيوسف ـ عليه السلام ـ ((...يتحرك حيال المواقف بما يتفق وناموس تكوينه، فهو نبي معصوم يحميه الله من غائلة الحسد، وهو نبي معصوم يستعصم وينفذ ما تحتمه عصمة النبوة.

---

(1)محمدأحمدخلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:319

(2)خالدأبوحمدي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:168.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1952.

وهو في السجن نبيّ يهدي الناس إلى الله،وهو حكيم كيّس وفطن لا يذهب إلى الملك بمجرد أن يطلبه الأخير...وهكذا نجد حركة يوسف ـ عليه السلام ـ مقننة موجهة إلى حيث تخدم الغاية العامة أعني(اجتباء يوسف ـ عليه السلام ـ).)).(1)

ومع كون شخصية يوسف،تمثل شخصية النبي المعصوم،فإن عرضها في مسرح القصة لايخرجها عن الإطار البشري العادي.

فيوسف((...العبد الصالح ـ الإنسان ـ لم يزوّر الأداء القرآني في شخصيته الإنسانية لمحة واحدة،وهو يواجه الفتنة بكل بَشَرِيَّتِهِ ـ مع نشأته في بيت النبوة وتربيته ودينه ـ وَبَشَرِيَّتُهُ مع نشأته وتربيته ودينه تمثل بمجموعها واقعيته بكل جوانبها...)).(2)

ويكاد يجمع الدارسون،لشخصيات القصص القرآني على اعتبار شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ النموذج الأوفى لتصوير الشخصية الفنية في القصة القرآنية.

حيث يقول الدكتورمحمد أحمد خلف الله في كتابه الفن القصصي:((وإذا أردنا أن نختار إحدى الشخصيات لندرسها ونوضح صورتها، فلن نجد خيرا من شخصية يوسف .ذلك لأنها شخصية فنية واضحة الصورة والمعالم، وبارزة السمات تصلح أن تكون نموذجا لرسم الشخصيات ،وتصويرها على أحسن ما جاء في القرآن)).(3)

المطلب الأول: ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ

وإذا أردنا تتبع ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ،وهي تتحرك على مسرح الأحداث من خلال مشاهد القصة،فإننا نقسّم حياته إلى مرحلتين:

---

(1)خالد أبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:194.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1954.

(3)محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**، ص:381

الفرع الأول: المرحلة الأولى من حياة يوسف

وهي المرحلة التي لم يبلغ فيها أشده؛ والتي تمتد بين مشهد سرد رؤياه على أبيه إلى مشهد المراودة في بيت العزيز؛حيث نرى يوسف ـ عليه السلام ـ وهو فتى صغير يقص رؤياه على أبيه ،ويحذره أبوه من قصها على إخوته، ويظهر أنه لم يعبأ من ذلك التحذير لأنه لم يكن يفقه كنهه لصغر سنه.

ورأيناه ضحية لمؤامرة يدبرها إخوته ضده.بمراودة أبيه عنه،ولكنه لا يعبأ بذلك ولايفكر فيه بل يسرع باكرا مع إخوته نحو اللعب الوهمي..

ونراه فريسة لمؤامرة دنيئة، بإلقائه في الجب من طرف إخوته! فلا تكاد نسمع له همسا! ونراه يتعلق بدلو السيارة ليباع من طرفهم في سوق العبيد، وهو لايفهم ما يجري له.

لنلتقي به أخيراعندالعزيز،يوصي به امرأته بأن تكرم مثواه عسى أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا.

وفي كل هذه المشاهد نراه ((يقف موقفا سلبيا لا يفصح عن عقليته أوعن خلقه ومزاجه)).(1)

ويعود ذلك أساسا إلى:((...حتمية عجز الطفولة فقد تجسد في استسلام يوسف ـ في القسم الأول من القصة ـ لكل ما يحيط به،من ظروف فنية تمثلت في الأحداث الصاخبة التي ألمت به(المكيدة)و(الاسترقاق)...فحركة يوسف في هذا الجزء من القصة تتساوق وفرضيات عجز الطفولة التي كانت بمثابة الظرف الفني الذي تحرك يوسف من خلال حتميا ته، لقد كان يوسف يعيش أحلام الطفولة البريئة عندماذهب مع إخوته(ليرتع ويلعب) وكان طفلا عندما ألقي في غيابة الجب ولم يستطع الخروج منه،وكان طفلا عندما خرج في دلو الوارد الذي أرسلته السيارة للاستسقاء، وكان طفلا عندما بيع ولم يدفع الرق عن نفسه.)).(2)

فالظاهر في هذه المرحلة من حياة يوسف،أن الأحداث كانت تسوقه سوقا ولم يسجل أي رد فعل تتلمس من خلاله بعض ملامح شخصيته.

---

(1)محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:281

(2)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:176.

اللهم إلا بعض الإشعارات الفنية التي نستشفّها من الجمل الاعتراضية الواردة في هذا الفصل من القصة(وقد سبق الحديث عن هذه الجمل الاعتراضية في الفصل السابق).

هذه الإشعارات تكمن في أننا((...كنا نحس أن الحظ قد التفت إلى ذلك البدوي،وأنه في منزل سيد يريد أن يتخذه ولدا،وأن عين الإله قد رعته فمكنت له في الأرض،وعلمته من تأويل الأحاديث)).(1)

الفرع الثاني: المرحلة الثانية من حياة يوسف

وهذه المرحلة تبدأ من مشهد المراودة إلى آخر مشهد في القصة وفيها تظهر شخصية يوسف بشكل آخر ،فبعد أن كانت في المرحلة الأول مستسلمة لكل الأحداث التي تدور حولها أصبحت في هذه المرحلة تتحكم في صيرورة الأحداث،وتسجل مواقفها من كل ما يدور حولها،ومن خلال ذلك تبرز لنا ملامح هذه الشخصية.

وأول رد فعل تسجله هذه الشخصية،موقف يوسف من مراودة امرأة العزيز حيث قال لها بعد أن عرضت عليه نفسها: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.(2)

((...ففي هذا الرد القوي إرادة ثابتة حددتها كلمة(معاذ الله) وأكدتها جملة:إنه (ربي أحسن مثواي)....)).(3)

ولم يكن يوسف ليقف هذا الموقف إلابعد أن((...بلغ أشده وأوتي العلم والحكمة،وبدأ يتصرف التصرف الذي يدلنا على الخلق والمزاج.)).(4)

1 ـ ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ في هذه المرحلة

ونكشف ملامح هذه الشخصية من خلال مواقفها من الأحداث التي دارت حولها بدءا من حادثة المراودة.

وأبرز هذه الملامح هي صفات خلقية، ومزاجية...

---

(1)محمدأحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:281

(2)سورة يوسف/الآية:23.

(3)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:178.

(4)محمدأحمد خلف الله،المرجع السابق،ص:281.

أ ـ العفة والأمانة:

ونلمحها من رد يوسف على مراودة امرأة العزيز حيث رفض إغرائها وطلبها وتصدّى له بقوة...((والرفض هنا قائم على أمرين: الأول،خوف يوسف من الله وخشيته منه، ثم ولاؤه لربه(الذي رباه) وهذا يعني إشعارنا بإيمان يوسف الذي تلقاه من مفهوم النبوة وعفتها وعصمتها وأنه رجل يحفظ الجميل ويحفظ الود فهو مخلص لمن آواه ورباه....)).(1)

وهو بذلك((فتى فاضل، يعرف للبيت حرمته ويحرص على الوفاء لسيده...)).(2)بالرغم من العنت الذي لاقاه((من مراودة امرأة العزيز له(ولكنه) يأبى.إنه في بيت رجل يؤويه، فليحذر مواضع الحرج جميعا...)).(3)

ومع أن أجواء الإغراء كانت متوفرة، ويوسف في ريعان شبابه،لكنه لم يأبه بتلك الأجواء الفتانة والتصق بصفة العفة خوفا من الله،وبصفة الأمانة وفاء لسيده.وتتكرس هاتان الصفتان في مشهد النسوة أيضا حيث يرفض رفضا قاطعا الوقوع بين أحضان النسوة، ويفضل السجن على فتنتهن ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ...﴾.(4)

ب ـ العلم:

لقد أشعرنا السياق القصصي بأن صفة العلم ستكون بارزة في شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ وذلك من خلال قول أبيه له:﴿...وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث...﴾.(5) ،ومن خلال قول الله ـ في الجمل الاعتراضية ـ:﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾.(6)

و لم نلمس هذه الصفة في شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ إلا من خلال مشهد السجن مع صاحبيه وهو يؤول لهما رؤيتاهما. بقوله:﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي...﴾.(7)

---

(1)محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**، ص:178.

(2)محمد أحمد خلف الله،المرجع السابق،ص:282.

(3)سيد قطب،**التصويرالفني في القرآن**،ص:205.

(4)سورة يوسف/الآية:33. (5)سورةيوسف/الآية:6.

(6)سورةيوسف/الآية:22. (7)سورة يوسف/الآية:37.

ونلتمس هذه الصفة أيضا من خلال تأويله لرؤيا الملك التي أدهشت المجتمع المصري... لنجده بعدها يعرض نفسه على الحكم ،ويصف نفسه بالحفظ ،والعلم ﴿**قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾.(1)

وصفة العلم بارزة في شخصية يوسف في كل المشاهد. فنراه في آخر مشهد من قصته متوجها إلى الله حامدا له على نعمائه، وعلى رأسها نعمة **العلم** ﴿**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث** ....﴾.(2) ((فالإلحاح على صفة العلم في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تدرجت من العمومية إلى الخصوصية،حيث نجدها قد وردت بالإجمال تارة ثم بالتفصيل تارة أخرى....)).(3)

ج ـ ملامح أخرى لشخصية يوسف ـ عليه السلام ـ

وإذا كانت الملامح السابقة هي أبرز ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ فقد ظهرت إلى جانبها ملامح أخرى تطل علينا عبر أحداث القصة ومشاهدها.

ذلك لأن شخصية يوسف هي:((الشخصية المحورية في القصة ولذا استأثرت بأوفر حظ من الاهتمام إذ رأيناها لا تنفك عن الجلوس إلينا من خلال القوانين الفنية العامة، والإشعارات الفنية الموحية بسلوكها،وصفاتها،وقيمها ،حتى ودّعناها مع آخر جمل السرد التي أفهمتنا أن القصة قد انتهت هنا)).(4)

ـ فمن الملامح الجسدية لهذه الشخصية أن يوسف كان غلاما صغيرا سيّرته الأحداث وفق ما يريد أبطالها،وماتريد له العناية الإلهية ؛حتى أصبح شابا قد بلغ أشده فأصبح يتحكم في تسيير الأحداث وتوجيهها إلى نهاية قصته.

وقد كان جميل الوجه إلى درجة أنّ النسوة لما رأينه قطعن أيديهن،واعتبرنه ملكا كريما ....

---

(1)سورة يوسف/الآية:55.

(2)سورةيوسف/الآية:101.

(3)خالدأبوجندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:182.

(4)خالد أبو جندي،المرجع السابق،ص:176.

فهو:((...فتى مليح الوجه،حلو القسمات،جميل الصورة إلى حد الفتنة والإغراء...)).(1)

ومما يؤثر أنه قد ((قسم الحسن نصفين، فقسم ليوسف وأمه،والنصف الآخر لسائر الناس)).(2)

ـ ومن الملامح الخلقية إضافة إلى أغلب الفضائل التي سبق ذكرها في مبحث الغرض الديني في القصة، فهو رجل صدق وصبر،وهو رجل أمانة وحلم،و تقوى ودين، ودعوةوعلم،وهو: ((رجل متدين قد أوتي العلم والحكمة وتفسير الأحلام...وهو فتى فاضل يعرف للبيت حرمته ويحرص على الوفاء لسيده...)).(3)

ـ ومن الملامح السلوكية لهذه الشخصية أنها تتصرف بعقل وحكمةبعيداعن ردود الأفعال.وهذه الصفة تواكب شخصيته ـ عليه السلام ـ إلى نهاية القصة...

وهو ما يدل على (..حصافته ورجاحة عقله ـ عليه السلام ...)في كل مشاهد قصته.فقد وجدناه يعقب على اعتراف النسوة ببراءته بقوله:﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ*وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ..﴾.(4)

وفي هذا التعقيب تبدو شخصية((...الرجل الحصيف المقتصد في التعبير،الذي لايبالغ في شيء،إنما يضع الاحتمالات والاحتياطات لكل حالة)).(5)

وسلوكاته كلها تدل على((تصرفات الرجل الواعي الحصيف)).(6)

ولا نكون قدألممنا بمعرفة شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ إلا حينما نقرأ حديثا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجيب أصحابه فيه عن أكرم الناس.

---

(1)محمد أحمد خلف الله،**الفن القصصي في القرآن**،ص:282.

(2)الطبري،**جامع البيان في تفسير القرآن**،ج:12،ص:123.

(3)محمدأحمد خلف الله،المرجع السابق،ص:282.

(4)سورة يوسف/الآية:53.

(5)سيدقطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:207.

(6)سيد قطب،المرجع السابق، للاستزادة في هذا الموضوع يرجع إلى الصفحات:205ـ209.

((قال:أتفاهم،قالواليس عن هذا نسألك، قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله،قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون؟خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)).(1)

فكيف لشخصية كهذه تنحدر من سلالة نبوية ألا تكون بتلك الصفات التي رأيناها من قبل ((إن أثر التربية التي عاشها يوسف في كنف والديه وهو صغير ظل يحرك سلوكه، نحو الخير إلى آخر مدى إذ كان أبوه كما رأينا يذكره بأجداده إبراهيم و إسحاق ليتمثل أعمالهم دائما...)).(2)

وبذلك نكون قد انتهينا من ملامح الشخصية الرئيسية في القصة،لننتقل بعد ذلك إلى ملامح الشخصيات الثانوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)أبي الحسين مسلم بن الحجاج،**صحيح مسلم**(القاهرة:دارالكتاب المصري،دارالكتاب اللبناني)ج:7،ص:103.

(2) أحمد ماهر،**يوسف في القرآن**،ص:96.

المبحث الثاني: الشخصية الثانوية وملامحها

توطئة

أما باقي الشخصيات التي عرضت في القصة، فهي ثانوية بالنسبة للشخصية الرئيسية التي هي: شخصية البطل.وقد ورد التركيز على هذه الشخصيات بدرجات متفاوتة تبعا لدور الشخصية الثانوية في إعلاء الشخصية الرئيسية،وإيصالها إلى الغاية العامة من القصة ـ تحقق النبوة ـ.

فقد عرضت هذه الشخصيات إلى جانب الشخصية الرئيسية ((...بدرجات متفاوتة من التركيز.وفي مساحات متناسبة من رقعة العرض،وعلى أبعاد متفاوتة من مركز الرؤية، وفي أوضاع خاصة من الأضواء والظلال...)).(1)

فهذه الشخصيات كانت تصنع الأحداث ،وتجعلهامعلّلة تعليلا سببيا؛ لتدفع بالشخصية المحورية إلى الغاية المرسومة لها.

فقد رأينا شخصيات إخوة يوسف يدفعون بالأحداث إلى أن ألقوا بيوسف في الجب، ليكون مهيأ لأي قافلة في طريقها ،وتأتي السيارة فتكون حلقة وصل تنقل يوسف من محيط البادية إلى محيط المدينة المتحضرة. وفي قصر أحد سادتها،ثم تأتي بعد ذلك شخصية امرأة العزيز، والنسوة ليكنّ سببا في زج يوسف في السجن ،وإثارة التساؤلات حوله.ثم تأتي شخصية صاحبي السجن ليكونا وسيلة استكشاف لعلم يوسف عند الملك. ثم تأتي شخصية الملك لتكون متوّجة لشخصية يوسف ،وهي بدايات تحقّق النبوّة...

((ومنذ هذه اللحظة التي تجلّت فيها شخصية يوسف مكتملة ناضجة واعية،مطمئنة ساكنة واثقة نجد هذه الشخصية تتفرد على مسرح الأحداث، وتتوارى تماما شخصيات الملك والعزيز والنسوة...)).(2)

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1952.

(2)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:1956.

ولا نجد الاستثناء إلا في شخصية يعقوب، وإخوة يوسف؛لأن تحقّق الهدف العام لا يكون إلا بحضورهم حيث تتحقق الرؤيا التي رآها يوسف في بداية قصته،هذا من حيث أهمية هذه الشخوص في القصة،أما ملامحها العامة فسنذكر بعضا منها وفق الترتيب الموال الذي نعتمد فيه على تقسيم الشخوص إلى: شخصيةمفردة، وشخصية جماعية.

المطلب الأول:ملامح الشخصية المفردة

لقد وردت في القصة عدة شخصيات مفردة ،تتحرك على المسرح بمفردها ،وتتميز عن غيرها بملامح خاصة؛وسنذكرها وفق الترتيب التالي تبعا لأهميتها في القصة.

الفرع الأول: شخصية يعقوب

هذه الشخصية ظهرت على مساحة العرض في بداية القصة مع يوسف ومع إخوته.وفي نهايتها أيضا بين أرض الشام، وأرض مصر .أما في وسط القصة - من لحظة انتقال يوسف إلى أرض مصر إلى غاية ذهاب أبنائه - ويوسف سيدا لها - لم تتحرك هذه الشخصية على مساحة العرض إطلاقا.ولكن الإشعارات جعلت هذه الشخصية حاضرة في أذهان المتلقين يتصورون حالتها،وقد خدعها أبناؤها في ابنها يوسف،كحالة أيّ أب فقد أعز أبنائه وتنكّر له الآخرون. ومن ملامح هذه الشخصية:

1 - قوة الصبر

لقد كان **الصبر** أبرز ملامح هذه الشخصية طوال القصة؛حيث رد على أبنائه بعد ضياع يوسف بقوله:﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ..**﴾.(1) وردّ عليهم بالموقف نفسه،وبصبر أكبر بعد ضياع ابنه الثاني في قوله: ﴿**قَالَ بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هو العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾.(2) ((فقد رأينا يعقوب يمثل الحكمة والصبر الجميل مؤمنا بالله أشد ما يكون الإيمان).(3) وهو بهذا السلوك((...مثلا يحتذي في الصبر؛حيث صبرعلىفراق أحب أبنائه إلى قلبه وصبر علىرؤيةأبنائه الظالمين، وكتم حزنه في قلبه وهو يرى الذين غيبوااأخاهم وكذبواعليه وخدعوه وصبر عليهم عندما كرروا جريمتهم في أخيهم الثاني(شقيق يوسف).

---

(1)سورة يوسف/الآية:18.

(2)سورة يوسف/الآية:83.

(3) أحمد ماهر البقري،**يوسف في القرآن**،ص:106.

فنجد يعقوب يردّ عليهم بصبر ولكن بحزن أكبر...وهنا تبدو قوة احتمال يعقوب ـ عليه السلام ـ أو فداحة الخطب الذي ألم به...)).(1)

حيث ظل صابرا متوكلا على الله رادا إليه أمره،ولم يصدر منه جزع أبدا...وذلك ما نراه في رده على أبنائه بعد أن أنّبوه على الإكثار من ذكر يوسف﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(2) وبقيّ كذلك إلى أن جاءه الفرج،وانكشفت عنه الغمّة فما كان رده على أبنائه إلا أن قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(3)((ففي آخر مواقف المحنة الطويلة للشيخ المبتلى نجد ذات الملامح وذات الواقعية،وهو يشمّ ريح يوسف في قميصه،ويواجه غيظ بنيه وتبكيتهم فلا يشك في صدق ظنه بربه)).(4)

2 - عاطفة الأبوة

ومن أبرز ملامح هذه الشخصية عاطفة الأبوة؛حيث وجدناه يغمر بها يوسف بعد علمه برؤيته فهو((الوالد المحب الملهوف،والنبي المطمئنّ الموصول، وهو يواجه بالاستبشار والخوف معا تلك الرؤيا الواعدة التي رآها يوسف؛وهو يرى فيها بشائر مستقبل مرموق، بينما هو يتوجّس خفية من الشيطان وفعله في نفوس بنيه...)).(5)

و لم يقتصر بهذه العاطفة الأبوية على يوسف وأخيه؛بل تعداهما إلى باقي أبنائه بالرغم من كل ما فعلوا به.ويتجلّى ذلك((...عندما يحث أبناءه أن يتحسسوا من يوسف وأخيه ويوصي أبناءه بأن لا ييأسوا من روح الله، وعندما يتحامل على نفسه. ويتعالى على جراحها ولا ينس أبوته فيوصي أبناءه إذا دخلوا مصر ألا يدخلوا من باب واحد، بل يدخلونها من أبواب متفرقة. إنها الأبوة التي تغفر خطايا الأبناء...)).(6)

---

(1)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:173.

(2)سورة يوسف/الآية:85،86.

(3)سورة يوسف/الآية:96.

(4)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1959.

(5)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:1957.

(6)خالدأبو حندي،المرجع السابق،ص:173.

((وينصحهم أن لايدخلوا من باب واحد وأن يدخلوا من أبواب متفرقة،ويرى البعض أن ذلك خشية أن تصيبهم العين...)).(1)

فقد كانت عاطفة الأبوة ملمحا من ملامح شخصية يعقوب ـ عليه السلام ـ امتدت من بداية القصة إلى نهايتها...وشخصيةيعقوب بتلك الملامح تمثل((...الشخصية الموحدة الخصائص والملامح،الواقعيةالمشاعر والتصرفات ،الممثّلة لكل واقعية ذاتها وظروفها وبيئتها بلا تزوير ولانقص ولا تحريف)).(2)

الفرع الثاني: شخصية امرأة العزيز

تدخل هذه الشخصية إلى أحداث القصة ابتداء من التحاق يوسف بقصر زوجها في مصر. وهي ((سيدة عزيز مصر ـ رئيسها التنفيذي ـ تعيش حياة الترف والبذخ.ومن حولها الخدم والحشم. معيشة أهل القصور الغنية، وسيدة آمرة مطاعة ليس عليهارقيب، وفي بيئة غير مؤمنة بالله تعالى وليس لها تلك القيم الخلقية...)).(3)

وتقوم هذه الشخصية بدور اختبار معدن يوسف الذي حاولت صهره في نار الشهوة والنساء والفاحشة، ولكنه بالرغم من نيرانها الموقدة .بمفردها، أو بمعية نسوة المدينة ظل معدنه صافيا نقيا إلى أن شهدت له في نهاية دورها في القصة.بمعيّة نسوة المدينة﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِالْئَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ،وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.(4)

وبتلك الشهادة يكون دورها قد انتهى في القصة لتكون له تزكية نحو: التألق والتتويج...

ـ أما ملامح هذه الشخصية فإننا نلمسها في العناصر التالية:

---

(1)فضل حسن عباس،**القصص القرآني في إيحائه ونفحاته**، ص:406

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1959.

(3)عبدالحميدمحمدالهاشمي،**لمحات نفسيةفي القرآن**،ص:187.

(4)سورة يوسف/الآية:51.

1 - المرأة التي غلبتها شهوتها

إن أظهر ملمح برز لنا من هذه الشخصية - بعد أن ظننا أنها ستعامل يوسف معاملة الأم لأبنها - أنها امرأة شهوانية بلغ بها شبقها الجنسي إلى الارتماء في أحضان الفاحشة بصورة فاضحة. فهي((...لا تترك وسيلة إلا وتسلكها ليتم لهاما تريد، حاولت إغرائه (أي يوسف) بأنوثتها، وغلبتها. وسيطرت عليها الشهوة البهيمية ﴿راودت﴾ و﴿غلقت﴾ و﴿قالت﴾ كلها كلمات ذات أهداف بعيدة...)).(1) فهي بذلك ((تحاول إغراء يوسف،وتحاول...حتى إذا أعياها الأمر وصلت إلى مرحلة المصارحة بكل ما يغلي فيها من ميول الجنس نحوه...)).(2) وأصبحت في حالة المصروعة بالشهوة ((...التي تعمى عن كل شيء، في اندفاعها الهائج الكاسح فلا تحفل حياء أنثويا ولا كبرياء ذاتيا،كما لاتحفل مركزا اجتماعيا ولا فضيحة عائلية....)).(3)

فقد((...رأيناها تتحرك خلال المشهد الروائي بلا وعي وهي تراود فتاها عن نفسه،فتلّح عليه إلحاحا معيبا،ولا تنفكّ عن هذا السلوك المهين على الرغم من استعصام يوسف - عليه السلام - ثم تخطو نحو التدني خطوة أحدّ إذ (تغلّق) الأبواب...وشيئا فشيئا تدعوه حتى لتعلن هذه الدعوة بكلمة تعوي الشهوة في كل حرف من حروفها (هيت لك)...)).(4)

وهذه الشخصية قد((...انفصلت عن بعلها بالباطن إتباعا للهوى وشهوة نفسها، فلم تبلغ من ذلك مرادها، مع تمكّنها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها)).(5)

2 - المرأة الماكرة:

والملمح الثاني الذي يبرز في هذه الشخصية - المكر والدهاء - فقد رأيناها تندفع اندفاعا حيوانيا نحو يوسف الفار بدينه، وعفته، فلما وجدت زوجها لدى الباب، انقلبت رأسا على عقب،((و بدأت تمارس الكذب وتقلّب الموقف وتتّهم يوسف بالسّوء...)).(6)

---

(1)فضل حسن عباس،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص:398.

(2)(4)(6)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:192،195،195.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1953.

(5)محمدبن عبد الله الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**(بيروت:دار الجيل)ج1،ص416.

((وهنا يظهر كيد المرأة:﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.)).(1)

وما وقفت هذا الموقف إلا لأنها وجدت((نفسها في موقف الرّيب والاتهام ،فتلقى ما في نفسها على يوسف إسقاطا نفسيا مكشوفا على طريقة،رمتني بدائها وانسلّت...)).(2)

وكيد هذه المرأة، ومكرها لم يتوقف عند هذا الموقف، فقد رأيناها تدبر مكيدة أخرى لنسوة المدينة من أجل إسكاتهن، ومشاركتهن لها في ما تصبو ...

فقد استعملت ((...كل مكر الأنثى وكيدها،سواء في تبرئة نفسها أو حماية من تهوى من جرائر التهمة التي ألصقتها به،وتحديد عقوبة لا تؤدي بحياته! أو ردّ الكيد للنسوة من نغرة الضعف الغريزي الشهوي الذي تعرفه فيهن من معرفتها لنفسها!...)).(3)

3 ـ المرأة العاقلة

فبعد أن رأينا،هذه الشخصية في مشهد المراودة الأول،والثاني مع النسوة تحمل ملامح المرأة الشهوانية، والمرأة الماكرة.نلتقي بها بعد السنين التي مكثها يوسف في السجن ،وقد تغيّرت ملامحها،رأسا على عقب ((...حيث تصبح بعد مدة لسان حقّ يعلن في صدق واثق من نفسه براءة يوسف ـ عليه السلام ـ من كل التّهم التي ألصقتها به، ويخبرنا السرد أن موقفها هذا،أصبح يصدر من نفس صافية نقية، بعد أن سكن عنها شيطان الغريزة...)).(4)

فقد اعترفت بكل شيء:﴿قالت امرأت العزيز الئن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه،وإنه لمن الصّادقين﴾.(5) لقد كان هذا الموقف ناتجا عن((...التغيير الطبيعي الواقعي الذي يحدثه الزمن والعمر والأحداث والظروف، وعن تسرّب الإيمان الذي تعرفه من يوسف من خلال تلك المشاعر والمؤثرات جميعا)).(6)

---

(1) فضل حسن،**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**،ص:399.

(2)عبدالحميد محمد الهاشمي،**لمحات نفسية في القرآن**،ص:194.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1953.

(4)خالد أبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:197.

(5)سورة يوسف/الآية:51.

(6)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:1954.

وقولها السابق يعدّ((...مرآة صافية عكست على صفحتها صورة امرأة جديدة على النقيض تماما من المرأة الأولى...)).(1) وبذلك تكون هذه الشخصية قد اكتسبت ملمحا جديدا يختلف جذريا عن ملامحها السابقة.فقد أصبحت امرأة عاقلة تقول الحقّ،ولو كان على نفسها.وذلك من كمال العقل.

الفرع الثالث: شخصية العزيز

هذه الشخصية(2)رأيناها تتحرك على مسرح الأحداث في مشهدين فقط.المشهد الأول: عندما اشترى يوسف،وذهب به إلى زوجته يوصيها به خيرا﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾.(3)

وفي هذا الموقف يؤدي خدمة جليلة لتمكين الشخصية الرئيسية في القصة(يوسف)،وذلك ماتلمسه في التعقيب المباشر على الآية السابقة﴿وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض..﴾.(4)

((..وهذامن لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه،مما يريدأن يؤهله له ويعطيه من خيري الدنيا والآخرة)).(5)

يقول الطبري في تفسيره عن هذه الشخصية((قالوا:وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها،الذي الخزائن مسلمة إليه)).(6)

---

(1)خالد أبوجندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:197.

(2)قال ابن عباس كان اسمه(قطفير)وكان على خزائن مصروالملك يومئذالريان بن الوليد.

(3)سورة يوسف/الآية:21.

(4)سورة يوسف/الآية:21.

(5)اسماعيل ابن كثير،**قصص الأنبياء**(القاهرة:مطبعةالأنوارالمحمدية)ص:237.

(6)الطبري،**جامع البيان في تفسير القرآن**،ج:12،ص:99.

أما المشهد الثاني الذي تحركت فيه هذه الشخصية ،فهو الذي وجد فيه زوجته،ويوسف يتصارعان عند الباب﴿...واسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ...﴾.(1)

وما نطق بشيء إلا بعدما تحققت له براءة يوسف،وإدانة زوجته ((﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾أي لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أي أن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾،ثم قال آمرا ليوسف - عليه السلام - بكتمان ما وقع﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾أي أضرب عن هذا صفحا،أي فلا تذكره لأحد...)).(2)

وفي هذا الموقف أيضا،من شخصية العزيز،دفع لشخصية يوسف،لأنه شهد ببراءته.

- وأما ملامح هذه الشخصية، فإنها تظهر أساسا،من خلال،موقف رجل يجد امرأته متلبسة بخيانته ثم يعفو عنها بذلك الموقف اللين ﴿واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾. وهذا الموقف يعبرعن شخصية العزيز((...بطبيعتها الخاصة،وبطبيعةسمت الإمارة؛ ثم بضعف النخوة،وغلبةالرياء الاجتماعي وستر الظواهر وإنقاذها! وفيه تتمثل كل خصائص بيئته)).(3)

وبذلك تكون أبرز ملامح هذه الشخصية(قلة الغيرة)؛ حيث((روي أنه كان قليل الغيرة)).(4)

الفرع الرابع: شخصية الشاهد

وهذه الشخصية برزت أيضا مرة واحدة لتؤدي دورا متميزا، وهوالتحقيق في التهمة التي ألقتها امرأة العزيز على يوسف،﴿...وشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.(5)

---

(1)سورة يوسف/الآية:25.

(2)أبوا لفداء إسماعيل بن كثير،**تفسير القرآن العظيم**،ج:3،ص:386.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1955.

(4)أبوالقاسم محمودالزمخشري،**الكشاف**(بيروت:دارالمعرفة)ج:2،ص:252.

(5)سورة يوسف/الآيتين:26،27.

وكانت نتيجة التحقيق كما هومعروف تبرئة يوسف وإدانة امرأة العزيز،وبذلك تكون هذه الشخصية أيضا قد أدت دورا ثانويا لإعلاء الشخصية الرئيسية، ثم تختفي بعد ذلك من مسرح الأحداث على غرار باقي الشخصيات .

وهذاالشاهد((قيل كان رجلاقريبا إلى(قطفير)زوجها(أي امرأةالعزيز)وقيل قريبا إليها..)).(1)

((وقيل كان ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه)).(2)

ـ أما ملامح هذه الشخصية،فتتركز أساسا في صفة **الرجل الحكيم العادل**؛الذي يحكم بالعدل ويقول للمسيء أسأت ولو كان قريبا له،وللمحسن أحسنت،ولو كان بعيدا عنه. وقد شهد شهادته هذه((لأنه لما سئل رأيه في الموقف والنزاع المعروض من الجانبين... سميت فتواه هذه شهادة لأنها تساعد على تحقيق النزاع والوصول إلى الحق فيه)).(3)

ويكون قد نال هذه الصفة؛ لأنه كما((قيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره)).(4)

الفرع الخامس: شخصية الملك

مع أن أغلب أحداث القصة قد دارت في أرض مصر،إلا أن ملكها((ملك مصر الريان بن الوليد)).(5) لم يذكر في السياق إلا في مرحلة متأخرة من دخول يوسف لمصر ليؤدي دورا مهما في حياة يوسف، تمثل في تتويجه بالوزارة،ثم ينسحب بعد ذلك من الأحداث نهائيا، ويترك المجال ليوسف يتصرف، وكأنه هوالملك؟ فالمشاهد الذي ذكرفيها الملك كانت قصيرة جدا. فقد رأيناه يروي رؤياه على حاشيته﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...**﴾.(6)

ثم نلتقي به، بعد أن سمع تأويل الرؤيا، يطلب يوسف:﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾.(7)

---

(1)أبو الفداءاسماعيل بن كثير،**قصص الأنبياء**،ص:240.

(2)أبوالقاسم محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:251.

(3)جلال الدين المحلي،جلال الدين السيوطي،**تفسيرالجلالين** (بيروت:دارالجيل)ص:240.

(4)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1982.

(5)أبوالقاسم محمود الزمخشري،**المرجع السابق**،ج:2،ص:251.

(6)،(7)سورة يوسف/الآتين:43،50.

ثم نلتقي به يحقق مع النسوة، بعدأن رفض يوسف إجابته ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ...﴾.(1) وبعد تأكد براءة يوسف، يطلبه للمرة الثانية بإلحاح ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي...﴾.(2)ثم نلتقي به في آخر مشهد،يكلم يوسف:﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ"قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.(3)

ثم يختفي من مسرح الأحداث تماما...

فأنت ترى بأن شخصية الملك، أدخلت في السياق لتسويج يوسف، وتنصيبه على رأس وزارة المال ليس إلا...وذلك ما أكّدته الآيات اللاحقة﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ...﴾.(4)

ـ وأما ملامح شخصية الملك،فإنها تبرزمن خلال إلحاحه على معرفة تفاصيل الرؤيا،وذلك في الحوارالذي داربينه(في قصره)،وبين يوسف(في سجنه)،عن بعد.

وهذا الإلحاح يبرز **اهتمام الرجل بشؤون دولته،ومستقبلهاالغذائي**.((...وقلقه البالغ في الحرص على سلامة الحياة وأمن الإنسان في مملكته)).(5)

وتبرز ملامحه أيضا من خلال إكرامه لأهل العلم،وتقريبهم منه،وتقليدهم أعلى المناصب ((...وهومنهج لعمري لم تأخذبه أمة إلاونجت من شرور النفس؛ فهو لم يستخلص يوسف ويعيّنه أمينا على خزائن مصر،إلا بعد أن تيقّن من صلاحيته)).(6)

الفرع السادس: شخصية صاحبي السجن

ومن الشخصيات الثانوية أيضا،في قصةيوسف ـ صاحبي السجن ـ؛ فقد دخلت هذه الشخصية الثنائية إلى مسرح الأحداث فجأة. وبدون سابق إشعار. فيوسف الذي عوقب بالسجن ظلما يدخل معه السجن فتيان﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾.(7)

---

(1)سورة يوسف/الآية:51.

(2)سورة يوسف/الآية:54.

(3)سورة يوسق/الآية:55.

(4)سورة يوسف/الآية:56.

(5)خالدأبو حندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:200.

(6)خالدأبو حندي،المرجع السابق،ص:200.

(7)سورة يوسف/الآية:36.

((قيل: كان أحدهما ساقي الملك..والآخر خبازه...وكان الملك قد اتهمهما في بعض الأمور فسجنهما...)).(1)وكغيرها من الشخصيات الثانوية،فقد أدت دورا هاما لإبراز الشخصية الرئيسية؛حيث رأينا أحد السجينين ينسحب من المسرح بمجرد سماعه لتأويل رؤياه بعد أن قال له يوسف:((أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطيرمن دماغك)).(2)

ليبقى الثاني كحلقة وصل تربط يوسف بالعالم الخارجي،بعد أن قال له يوسف:((ستخرج من السجن وتصيرعلى شراب الملك وترتفع منزلتك عنده...)).(3)ولذلك نجده قد أوصاه بذكره عند الملك﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾.(4)

وتختفي هذه الشخصية، المتبقية من صاحبي السجن لمدة معينة... لتظهر مرة أخرى،أمام الملك تدلّه على من يؤوّل رؤياه التي حيّرته،وحيّرت من حوله.﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾.(5) وتقوم هذه الشخصية بدور الوساطة بين الملك ويوسف لتكون بذلك وسيلة اكتشاف لعلم يوسف، وتبرئته . ومن ثم تتويجه على رأس الوزارة،فهذه الشخصية((..تكشف لنا عن أسباب منطقية لعبت دورا أساسيا في نجاة يوسف من السجن ووصوله إلى أمانة خزائن مصر،وجعله من المكّنين في الأرض)).(6)

ـ وأما ملامح هذه الشخصية ،فتبرز أساسا في ظاهرة النسيان التي طرأت عليها بعد خروجها من السجن ؛حيث((...ينسى ذكر ربه في زحمة حياة القصر ومهماتها وقد عاد إليها، فنسي يوسف وأمره كله)).(7) والنسيان صفة اعتيادية ،وهي((...نمط من السلوك العفوي..يتلّبس الإنسان الفطن..فيعيقه عن أداءمهمته التي أعد نفسه جيدا للقيام بها)).(8)

---

(1)أبوالفداءاسماعيل بن كثير،**قصص الأنبياء**،ص:243.

(2)،(3)السيدنعمةالله الجزائري،**النورالمبين في قصص الأنبياءوالمرسلين** (ط:3؛بيروت: دارالأندلس،1985) ص:162.

(4)سورة يوسف/الآية:42.

(5)سورة يوسف/الآية:45.

(6)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:228،229

(7)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1992.

(8)خالدأبوحندي،المرجع السابق،ص:229.

الفرع السابع:الشخصية الحاضرة،الغائبة

ومن الشخصيات الحاضرة،الغائبة في قصة يوسف،**شقيقه،وأمه.**

1 - شقيق يوسف

فأما شقيقه فقد لمح لوجوده السرد الروائي ، في بداية القصة. بقول إخوة يوسف:﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ...﴾.(1)

وذكرت هذه الشخصية أيضا في نهايات القصة... ابتداء من طلب يوسف لإحضاره ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ...﴾.(2) إلى احتجازه من طرفه بعد المكيدة،التي دبرها لإخوته.﴿...كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ...﴾.(3)

والمتتبع لمواطن ذكر هذه الشخصية يلاحظ أن الأحداث تتصرف فيها تصرفا مطلقا. دون أن يلمس منها رد فعل،أو قول ؛ شأنها شأن شخصية يوسف في مرحلة الطفولة من حياته.

2 - أم يوسف

أما أمه فحضورها على مسرح الأحداث كان معدوما. ولم نستشعر بوجودها إلا من خلال رؤيا يوسف في بداية القصة((وقدتكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلا سواه، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه)).(4)

وذكرت أيضا من خلال المشهد الختامي الذي تحققت فيه الرؤيا﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾.(5) ((قال ابن إسحاق كانت أمه تحي...)).(6)

فأنت ترى بأن هذه الشخصية كانت حاضرة غائبة طوال القصة، ولم يظهرها السرد تتحرك على مسرح

---

(1)سورة يوسف/الآية:8.

(2)سورة يوسف/الآية:59.

(3)سورة يوسف/الآية:76.

(4)أبوالفداء إسماعيل بن كثير،**تفسير القرآن العظيم**،ج:3،ص:278.

(5)سورة يوسف/الآيتين:99،100.

(6)أبوالقاسم الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:275.

الأحداث إطلاقا . مع أن الأحداث التي وقعت تعنيها بالدرجة الأولى؛ فهي أمّ يوسف الذي وقع له ما وقع... وهي أم أخيه الذي احتجز في مصر...

ولكن السياق يشعرنا فنيّا بتصوّر حال تلك المرأة التي سرق منها صغيرها، وقيل لها بأن الذئب قد أكله ...ورزأت أيضا في ابنها الثاني، باحتجازه في أرض مصر...

فإذا كان السياق قد صوّر لنا حالة يعقوب الأب، فما بالك بحالة **الأم**...

المطلب الثالث:ملامح الشخصية الجماعية

توطئة:الشخصية الجماعية تمثل مجموعة من الأشخاص يتحركون على مسرح الأحداث بالمواقف نفسها،ويكون رأي أحدهم معبرا عن رأي الجميع فالشخصيةالجماعية هي: ((...الجماعة البشرية عندما تتفق أفكارها وأحاسيسها، وتتآلف خطواتها وأفعالها فتتحرك على مسرح القصة بمشاعر وعواطف فرد واحد،وتكون بحركتها تلك كأنها هي شخصية واحدة...)).(1)

والمتأمل في قصةيوسف ـ عليه السلام ـ يجد نماذج متعددة للشخصية الجماعية كإخوة يوسف، والنسوة، والسيارة، وحاشية الملك، وفتيان يوسف.

فكل هذه النماذج تمثل شخصية واحدة،و تحمل الملامح، والقسمات نفسها...

الفرع الأول:شخصية إخوة يوسف

ـ **تمهيد**:لقد طلعت علينا الشخصية الجماعية ــ إخوة يوسف ــ تخطط وتدبر لقتل يوسف ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾.(2)

وظلت هذه الشخصية طوال القصة،تمارس دورها في شكل جماعي،فمن تدبيرها للمؤامرة على يوسف، إلى مراودة يعقوب على ابنه،إلى تنفيذ الجريمة، إلى الكذب على أبيهم في الحلقة الأولى من القصة؛ لنلتقي بهم في الحلقة الأخيرة منها،وهم يمارسون دورهم في شكل جماعي..... فمن دخولهم على يوسف

---

(1)خالد أبو حندي،**الجانب الفني في القصةالقرآنية**،ص:201.

(2)سورة يوسف/الآيتين:8،9.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.(1) ...إلى حوارهم معه...إلى رجوعهم إلى أبيهم ومراودته على ابنه الثاني...إلى عودتهم إلى يوسف في مصر،وتورطهم في المكيدة التي نصبت لهم...إلى عودتهم إلى أبيهم، وإخباره بما وقع لابنه... إلى نهاية القصة.

فهؤلاء الإخوة العشرة ـ عدا شقيق يوسف ـ يتحركون على مسرح الأحداث، وكأنهم رجل واحد؛ يفكرون تفكيرا واحدا، وينطقون كلاما واحدا، وينفذون عملا واحدا...

ـ المتميز من إخوة يوسف

وليس فيهم إلا استثناء واحد خالفهم في رأيهم مرتين: المرة الأولى:عندما أشارعليهم بعدم قتل يوسف، وإلقائه في غيابة الجب ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.(2)وقد أخذوا برأيه فعلا.

والمرة الثانية:عندما توقف لهم في الطريق بعد احتجاز أخيهم.عند يوسف﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.(3)

والظاهرأنه يختلف عليهم في ملامحه، ففيه بقايا من الإيمان والتربية التي تلقاها من أبيه، ومن بيت النبوة فقد رفض كبيرة القتل التي عزم عليها إخوته، واقترح عقوبة أخرى أخف على يوسف.

وقدعرف قيمة العهد والميثاق الذي أخذه عليه أبوه، فاعتبر مقابلته بدون ابنه نقضا للعهد والميثاق...وهي ملامح لانجدها في الشخصية الجماعية.التي سنتناول أهم ملامحها. حيث ((...نجدهم ـ هم هم ـ في كل مواقف القصة... كمانجد موقف أحدهم الخاص من أول القصة إلى آخرها..)).(4)

---

(1)سورة يوسف/الآية:58.

(2)سورة يوسف/الآية:10.

(3)سورة يوسف/الآية:80.

(4)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1953.

أما ملامح الإخوة الآخرين فتكاد تكون واحدة، وأهمها:

1 ـ الحسد والإجرام

أول ملامح هذه الشخصية الجماعية يبرز لنا من أول ظهور لها على مسرح الأحداث.فقد حسدوا يوسف على حب أبيه له، مع أنه صغير وهم كبار!...﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ...﴾.(1)وهذا الخلق المذموم جعل ((...الأحقاد الصغيرة في قلوبهم تكبر وتتضخم حتى تحجب عن ضمائرهم هول الجريمة وبشاعتها ونكارتها وضخامتها...)).(2) حيث((نراهم تأكل الغيرة قلوبهم فتجبرهم على التصريح﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾...)).(3)

2 ـ الكذب والخداع

والغريب في هذه الشخصية أنها كلما برزت على مسرح الأحداث إلا وأظهرت ملمحا من الملامح الذميمة. فقد رأيناهم في مشهد مراودة يعقوب على ابنه يوسف يمارسون الاحتيال والخداع في أشد صوره...فاحتالوا على أبيهم بترك يوسف يذهب معهم ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(4)

فقد ((اختلقوا حيلة واكبت هوى في نفس أبيهم ،أعني الترفيه عن يوسف(المحبوب))).(5)

وقد رأيناهم أيضا يمارسون الكذب في صورة مكشوفة، ومفضوحة، وهذا عندما رجعوا إلى أبيهم، واختلقوا له قصة الذئب التي حذرهم منها.﴿قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.(6)

((والقصة مفتعلة ومختلقة،فما لعبوا،وماكان لهم أن يلعبوا،وما لعب معهم يوسف ولا انفرد ـ ولو لحظة ـ وقد أكدوا صفة الكذب والنفاق والمخادعة في إتيانهم على قميص يوسف ملوثا بالدماء)).(7)

---

(1)سورة يوسف/الآية:8.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1952.

(3)خالدأبو جندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:202.

(4)سورة يوسف/الآية:12.

(5)خالدأبوجندي،المرجع السابق،ص:202.(6)سورة يوسف/الآية:17.

(7)خالدأبوجندي،المرجع السابق،ص:202.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 ـ نقض المواثيق

ومن ملامح هذه الشخصية الجماعية أيضا نقض العهود والمواثيق. فقد رأيناهم يعطون عهودا، ومواثيق لأبيهم وهو أقرب الناس إليهم، ولكنهم يبيتون النية على نقضها،((..فالتحلّل من المواثيق جبلّة في نفوس هؤلاء ألم ينكثوا عهدهم لأبيهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ألم يتحللوا من ميثاقهم الذي أعلنوه: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾...)).(1)

4 ـ العقـــوق

ومن ملامح شخصيتهم عقوق والدهم ،فقد اتهموه في غيابه، بالضـــلال المبين ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.(2) ،ومارسوا ضده كل أشكال الكذب، والخـــداع والأذى؛ فقد آذوه في فلذّة كبده يوسف، بتغييبه عنه وهو طفل صغير فلم يحترموا أبوّته.

وقد رأيناهم،في آخر القصة،يشدّدون اللهجة تجاهه، بتأنيبه،وكتم أنفاسه.﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.(3) وبقولهم هذا :((...فقد أحس يعقوب إنما بدؤوا يخططون لإهلاكه والخلاص منه كمـــا قد خلصوا من بنيه، وأنـــها الخطوة المتوقعة لإخفاء الجريمة وإلقاء ستول النسيان عليها كما هو الشأن في حيـــاة المجرمين الحقيقيين بما لا يخفى...)).(4)

((كذلك نجدهم ـ هم هم ـ بعد مواجهة أبيهم بالفجيعة الثانية في شيخوخته، ونكبتـــه الأليمة...فلما رأوا أباهم يستنشق عبير يوسف، غاظهم هذا الاتصال الباطني الدال على عمق ما بينه وبين يوسف فلم يملكوا أنفسهم أن يكتموه ويؤنّبوه﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ*قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.)).(5)

---

(1)خالدأبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:203.

(2)سورة يوسف/الآية:8.

(3)سورة يوسف/الآية:85.

(4)محمدعلي أبوحمدة،**في التذوق الجمالي لسورةيوسف**،ص:58،59.

(5)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1953.

وعموما فإن ملامح شخصية بنو إسرائيل ،لا تخرج عن دائرة الملامح السيّئة، فقد رأيناهم في كل موقف يقفونه، إلا ويبرز ملمح سيئ في شخصيتهم....

وسبحان الله فما أشبه البارحة باليوم،وما أشبه أبناء يعقوب(إسرائيل)، باليهوداليوم،فكأنهم نسخة طبق الأصل...فهاهم اليهود اليوم،يمارسون السلوكات نفسها التي مارسها أسلافهم. فمن الحقد والحسد إلى المكر و الخداع ،و نقض العهود والمواثيق.ذلك لأن نفوس بنو إسرائيل طبعت ((...على اللؤم و سوء الطبع،وجبلت ذواتهم على الفساد،...لقد أثبتت هذه القصة أن بني إسرائيل لا يرعون الله،ولا يحفظون عهده)).(1)

وتلك سنة ماضية فيهم ، إلى يوم الدين...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)خالد أبو جندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:204.

وقد وردت في القصة شخصيات جماعية أخرى،ولكنها لم تظهر على مسرح الأحداث بالحجم الذي ظهرت به شخصية بنو إسرائيل وهي:

الفرع الثاني: شخصية السيارة

السيارة((هم القوم المسافرون سموا سيارة لأنهم يسيرون في الأرض)).(1) لقد ظهرت هذه الشخصية كطارئ فني ، و لم تكن مقصودة لذاتها؛ إنما كان ورودها كحلقة وصل تنقل يوسف من قاع الجب، ببادية الشام،إلى قصرالعزيز بحاضرة مصر؛ثم تختفي نهائيا...

((والملاحظ هنا أن هذه الشخصية (جماعية) أي قافلة وطبيعة حركتها، التنقل من مكان إلىمكان وورودها إلى الجب كان بهدف السقيا؛ ولكنّها عثرت على يوسف، فحملته بضاعة. ولذا نجد السيارة تختفي من مسرح القصة نهائيا،بعد أن أدت هذا الدور، الهام في ربط أجزاء الفكرة العامة)).(2)

الفرع الثالث: شخصية النسوة

وشخصية النسوة ،ماكانت لتظهر في مسرح الأحداث ،إلا لتزيد في ابتلاء يوسف ـ عليه السلام ـ. فبدخول النسوة ازداد خبر المراودة انتشارا،وازدادت محنةيوسف ـ عليه السلام ـ وابتلاؤه؛ فبعد أن كانت تراوده امرأة العزيز لوحدها...تكاثر العدد إلى نسوة المدينة... و لم نجد ملحأ، من هذه المحنة إلا قوله:﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.(3)

وبعد دخول يوسف السجن لم نلتق بهن، إلا مع الملك يحقق معهن في تهمة يوسف. ويشهدون ببراءته...وبذلك تكون هذه الشخصية، الجماعية قد أدت دورا بارزا، في إعلاء الشخصية المحورية وتزكيتها...

ومن ثم انتهى دورها في القصة،وغابت عن مسرح الأحداث نهائيا....

---

(1)أبي محمدالبغوي الشافعي،**تفسير البغوي**(ط:4؛بيروت:دارالجيل،1995)،ج2،ص:415.

(2)خالد أبوحندي،**الجانب الفني في القصة القرآنية**،ص:169.

(3)سورة يوسف/الآية:33.

أما من حيث ملامح هذه الشخصية؛ فهن((...نسوة هذا المجتمع بكل ملامحه...اللغط بسيرة امرأة العزيز وفتاها الذي راودته عن نفسه، بعدما شغفها حبا! والاستنكار الذي تبدو فيه غيرة النسوة من امرأة العزيز أكثر مما يبدو فيه استنكار الفعلة! ثم وهلتهن أمام طلعة يوسف ثم إقرارهن الأنثوي العميق بموقف المرأة التي كن يلغطن بقصتها و يستنكرن موقفها وإحساس هذه المرأة بهذا الإقرار الذي يشجعها على الاعتراف الكامل وهي آمنة في ظل استسلامهن لأنوثتهن كما تصنعها بيئتهن الخاصة وتوجهها...)).(1)

فتلك أهم ملامح هذه الشخصية الجماعية الأنثوية، وتكاد تتكرر في كل المجتمعات، التي تتصف بذات صفات المجتمع المصري آنذاك.

الفرع الرابع: شخصية حاشية الملك،وفتيان يوسف

ومن الشخصيات الجماعية التي ظهرت أيضا على مسرح الأحداث، شخصية حاشية الملك: فقد ظهرت مع الملك يقصّ عليها رؤيته المثيرة، ويطلب منها أن تفتيه فيها بقوله: ﴿..يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.(2) ويكون رد الملأ عليه بصورة جماعية: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.(3)

فقد جمع الملك((...الكهنة والحادة وكبار دولته وأمرائه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه...)).(4)

وكان ردهم هذا مدعاة لبروز الذي نجا من صاحبي يوسف، وإبلاغهم بمن يؤوّل الرؤيا.

فأنت ترى بأن هذه الشخصية، جاءت أيضا لتؤدي دورا تاتويا يوصل الملك إلى من يدلّه على يوسف ثم تنسحب بعد ذلك من مسرح الأحداث تماما...

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص:1955

(2)سورة يوسف/الآية:43.

(3)سورة يوسف/الآية:44.

(4)أبوا لفداء إسماعيل ابن كثير،**تفسيرابن كثير**،ج:3،ص:391

ومن ملامح هذه الشخصية الجماعية، ما يعرف عندكل حاشية مقربة...

حيث أنها، لاتريد إخبار سيدها بما يسوءه بل **تزيّن** له الأمور دائما.

فقد أحسوا بأن الرؤيا((...تشير إلى سوء لم يريدوا أن يواجهوا به الملك على طريقة رجال الحاشية في إظهار كل ما يسرّ الحكام وإخفاء ما يزعجهم، وصرف الحديث عنه)).(1)

فتلك بعض ملامح هذه الشخصية الجماعية (حاشية الملك).

وعلى نفس النمط تقريبا تبرز شخصية(فتيان يوسف)فهم غلمانه، وخدمه يوجههم حيث يريد ويأمرهم بما يريد . فقد رأيناهم كيف مثلوا مكيدة أخذ يوسف لأخيه بإحكام وهم بذلك كلّه ظلّ لسيدهم ابتداء من قوله لهم:﴿**وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾.(2) إلى نهاية المكيدة، كما هو موضح في الآيات...

وعموما فإن كل الشخصيات،التي ذكرت في القصة، **عملت على إبراز الشخصية الرئيسية** و لم يبق منها في المشهد الختامي للقصة، إلا عائلة يوسف،التي تتحقق بها الرؤيا.

أما باقي الشخصيات، فكل منها يؤدي دوره، في دفع يوسف إلى التتويج، ثم ينسحب. ابتداء من شخصية السيارة، إلى شخصية فتيان يوسف، و لم يكن يوسف ليبلغ غايته لولا الأدوار التي قامت بها شخصيات القصة((...فإخوة يوسف لو لم يحسدوه لما ألقوه في غيابة الجب ،ولو لم يلقوه لما وصل إلى عزيز مصر،ولو لم يعتقد العزيز بفراسة أمانته وصدقه لما أمّنه على بيته ورزقه وأهله، ولو لم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ويستعصم لما ظهرت نزاهته وعرف أمرها ولو لم تحب في كيدها وكيد صواحبها من النسوة لما ألقي في السجن لإخفاء هذا الأمر، ولو لم يسجن لماعرفه ساقي ملك مصر وعرف براعته وصدقه في تعبير الرؤيا ولو لم يعلم الساقي منه هذا لماعرفه ملك مصر وآمن به وجعله على خزائنه ولو لم يتبوأ هذا المنصب لما أمكنه أن ينقذ أبويه وإخوته وأهلهم أجمعين من المخمصة ويأتي بهم إلى أرض مصر فيشاركوه في رياسته وملكه...)).(3)

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن** ،ج4،ص:1955

(2)سورة يوسف/الآية:62.

(3)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**،ج:12،ص:259.

الفصل الرابع

التصوير الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـوطئة:

المبحث الأول: مشهد السيارة.

المبحث الثاني: مشهد النسوة.

المبحث الثالث: مشهد أخذ يوسف لشقيقه.

المبحث الرابع: المشهد الختامي.

الفصل الرابع

التصوير الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ

توطئة

لقد عرضت القصة القرآنية عموما، بصورة ملفتة للانتباه ؛حيث برزت فيها ظاهرة (التصوير الفني)(1) بشكل جلي، فكان ((التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري، لاقصة تروى ولا حادثا قد مضى)).(2)

وقد كان التصوير يمثّل أبرز الخصائص الفنية في القصة،وعرضنا من قبل ((في أسلوب عرض الحوادث)).(3):أن الأسلوب المفضل،لعرض أحداث القصة هو التصوير...

((إن القصة القرآنية تستحيل ـ بواسطة التصوير ـ حادثا شاخصا يقع،ومشهدا حيا يجري، وحركة فنيّة تقوم بها أبطال القصة وشخوصها)).(4)

وإذا كان ذلك هو شأن التصوير في القصة القرآنية عموما، فإنه في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ قد برز أي ما بروز، في عرض أحداثها،وإظهار مشاهدها.

فقد كانت أحداث القصة مقتطعة من واقع الناس المشهود، وكانت أحداثا مثيرة، ابتدأت برؤيا يوسف في المنام، وانتهت بتحقّقها في الواقع. وكانت هذه الأحداث تجري بين أرض الشام وأرض مصر.والملفت في عرض هذه القصة، هو التصوير المبدع، الذي ينقل القارئ والمتتبع لها، إلى الاندماج فيها، وكأنه يعيش مشاهدها الآن، ويتحسّس مشاعر أشخاصها في التوّ...والتعبير القرآني يجعل ((الصورة ماثلة بجملتها في الفكر)).(5)

---

(1)قال ابن منظور(تصوّرت الشيء:توهمت صورته فتصوّر لي)**لسان العرب**،ج:3،ص:492

(2)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:190.

(3)انظر:فصل اللمسات الفنية،مبحث الأحداث ص:106.

(4)صالح عبدالفتاح الخالدي،**نظريةالتصويرالفني** عندسيدقطب(باتنة:دار الشهاب)ص:233

(5)مصطفى صادق الرافعي،**إعجاز القرآن**(بيروت:دارالكتاب العربي)ص:241.

وقد كان لهذا التصوير ألوان عدة:((لون يبدو في قوة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات.وليست هذه الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونيين الآخرين، فيسمى باسمه)).(1)

وقد تناولنا اللون الثالث (**رسم الشخصيات**) في الفصل السابق (**ملامح الشخوص**) بما فيه الكفاية وبقي لنا أن نتحدّث عن اللّونين الآخرين ـ الأول والثّاني ـ.

ولأنّ الحديث عن التصوير الفني (بألوانه)، في كل مشاهد قصة يوسف ـ عليه السلام ـ يحتاج منّا إلى رسالة كاملة ـ علّها تفي بالموضوع ـ.

ولذلك سنكتفي بعدة مشاهد من القصة، تبرز فيها ظاهرة التصوير بلونيها الأول:(قوة العرض والإحياء) والثاني:(تخييل العواطف والانفعالات).

والمشاهد التي سنختارها، يجتمع فيها اللّونان بالضرورة.ولكنّنا سنركّز على ذكر لون، دون آخر، وهذا يرجع إلى طبيعة المشهد.

لقد كان التصوير بارزا أشدّ البروز في كل مشاهد قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .فما يكاد القارئ يقرأهذه القصة بكل مشاهدها ((حتى ترتسم أمام عينيه...معروضة عرضا فنيا متناسقا قويا ويذهب بخياله مع هذه المشاهد مستمتعا متخيّلا متأمّلا متذوّقا. وأبطال القصة تدبّ فيهم الحياة ويدبّون أمام القارئ ويتحرّكون ، وتظهر علامات الحياة على ملامحهم وحركاتهم وتعابيرهم ونفوسهم ويتحرّكون من خلال النصوص جيئة وذهابا: ينشطون ، ويفرحون ويتألمون...ويتحدّثون ويجادلون وكأنهم أمام القارئ على خشبة المسرح)).(2)

فالعرض في مشاهد القصة كان قويّا، رسم لنا الشخصيات على مسرح الأحداث بصورة بارعة وكأن الحياة تدبّ فيها...لقد رأينا يوسف الصغير يروي رؤياه على أبيه، ورأينا إخوته يخططون لمؤامرتهم،وينفّذونها،ورأينا السيارة تأتي وتنقل يوسف من أرض إلىأرض ورأينا امرأة العزيز تراوديوسف

---

(1)سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:190.

(2)سيد قطب،المرجع السابق،ص:190.

وتستعمل شتى الوسائل والحيل، ورأينا يوسف يجالس صاحبيه في السجن ويحكي لهم، ورأينا مساعدي الملك غدوا ورواحا بين قصره وسجن يوسف، ورأينا إخوة يوسف يتحركون ذهابا وإيابا بين مصر والشام، ورأيناهم رأي العين يدخلون مصر لآخر مرة مع أهلهم أجمعين، وقد رأيناهم جميعا يحقّقون رؤيا يوسف بسجودهم له...فكل هذه المشاهد لم تكن تعرض عرضا ميتا، على سبيل الرواية، إنما كانت تعرض عرضا قويا تدبّ فيه الحياة، حتى ليشعر القارئ والسامع وكأنّ المشاهد تعرض أمامه عرضا سينمائيا حيّا،و ((يظن أن المشهد حاضر يحسّ ويرى...)).(1)

ونضرب أمثلة على ذلك من المشاهد التالية:

المبحث الأول: مشهد السيارة

﴿وجاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلامٌ...﴾.(2)

لقد علمنا من المشاهد السابقة لهذا المشهد، أن يوسف ألقي به إخوته في البئر، وعلمنا أيضا من خلال كلام أحد إخوة يوسف ، أنه بعد إلقائه في البئر، يمكن أن تأتي سيارة فتلتقطه(3)

﴿قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجبّ يلتقطه بعض السّيارة...﴾.(4)

فقد كان القارئ مهيأ لمجيء هذه السيارة، بل وينتظر مجيئها.وهذا نتيجة ما يسميه النقاد (بالسابقة)،فـ:((السابقة عملية سردية تتمثّل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا:هذه العلمية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث anticipation)).(5)

وتبرز هنا روعة التصوير، بقوة العرض والإحياء....

---

(1)الالتقاط تناول الشيء من الطريق،ومنه اللّقطة واللّقيطة، ذكره الطوسي في:**التبيان في تفسيرالقرآن** (بيروت: داراحياءالتراث العربي)ج:6 ص:103.

(2)صالح عبد الفتاح الخالدي،**نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**،ص:233.

(3)سورة يوسف/الآية:19.

(4)سورة يوسف/الآية:10.

(5)سميرالمرزوقي،جميل شاكر،**مدخل إلىنظريةالقصة**(ط:1؛الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية) ص:80.

لقد ألقيّ يوسف الصغير في غيابة الجب، وكان((في حفرة بعيدة عن العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا...)).(1) وكان المتتبّع للقصة،يتألم من هذا الوضع المأسوي الذي أصبح فيه الغلام البريء، وينتظر لحظة الفرج التي أشعره السياق بها من قبل...

وإذا بالسيارة تطلع من هناك ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾...

﴿وَجَاءَتْ﴾أي إلى((ذلك المكان الذي كانوا فيه)).(2) ﴿سَيَّارَةٌ﴾ أي((قافلة.وسميت سيارة من السير الطويل كالكشافة والجوّالة والقنّاصة)).(3)

ويترك السياق المجال لخيال المتلقي، يتصوّر ما في هذه القافلة من إبل، وأشخاص ومتاع...و يسلّط أضواء التصوير،على من سيقوم بدور إنقاذ يوسف وإخراجه من غيابة الجب.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ يصوّرلنا السياق أن هذه القافلة قد انتدبت شخصا معيّنا وهو الوارد ((الذي يرد الماء ليستسقي للقوم)).(4) ثم أرسلت به إلى البئر،وفي هذه اللفظة﴿أَرْسَلُوا﴾ تصوير دقيق نتحسّس من خلاله حركة الوارد، وهو يتقدّم نحو البئر بدلوه، وبخطواته المعتادة.ويصور لنا السياق أيضا حركة إدلائه بالدلو داخل البئر﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ ((أي أرسله ودلاّه في ذلك الجب)).(5) وهو تصوير دقيق نكاد نتلمسه أيضا.

ولكن الرجل لم يكن يدري ما يخفي له البئر بدل الماء؟ ـ على عكس المتلقي ـ ((ويحذف السياق حركة يوسف في التعلق بالدلو احتفاظا بالمفاجأة القصصية...)).(6)

ويترك ذلك لخيال المتلقي لأنه من مقتضيات تمام القصة.

---

(1)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:247.

(2)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**،ج:12،ص:270.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1976.

(4)محمود الزمخشري،المرجع السابق،ج:2،ص:247.

(5)محمد رشيد رضا،المرجع السابق،ج:12،ص:270.

(6)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:1976.

ويصوّر لنا السياق حالة الوارد،وهو يجذب دلوه من داخل الجب مثقلا...يظن على عادته أنه ماء...فإذا به يفاجأ مفاجأة كبرى، صارخا﴿يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾...

وبهذا التصوير الدقيق، يجد القارئ نفسه يشارك الوارد في دهشته من حيث لا يدري...

وهكذا يعرض هذا المشهد عرضا قويا تدب فيه الحياة، ويحس المتلقي وكأنه يشاهده الآن، بل وكأنه يشاركه الآن، مع قصر كلماته...وهذا من عظمة القرآن وإعجازه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مشهد النسوة

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.(1)

لقد صوّر لنا السياق في المشهد السابق، امرأة العزيز تراود فتاها، وتدعوه إلى نفسها بصورة مكشوفة، وصوّر لنا انكشاف أمرها أمام زوجها، والذّي هو من أهلها.

ثم ينتقل بنا إلى مشهد آخر، فيصوّره تصويرا دقيقا، يبرز فيه قوة العرض والإحياء، وتخييل المشاعر والأحاسيس أيضا...

إن حادث المراودة لم ينته عند قصر العزيز،بل انتشر خبره إلى القصورالمجاورة ...

فإن : ((...للقصورجدرانا وفيها خدم وحشم. وما يجري في القصور لايمكن أن يظل مستورا وبخاصة في الوسط الأرستقراطي، الذي ليس لنسائه من همّ إلا الحديث عما يجري في محيطهن وإلا تداول هذه الفضائح ولوكها على الألسن في المجالس والسهرات والزيارات)).(2)

ويترك لنا السياق،تصوّرعملية انتشار هذه الفضيحة الأخلاقية، بهذه الجملة المختصرة : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...﴾.(3)

والنسوة((...جمع قلة للمرأة...ولم يبين لنا التنزيل عددهن ولا أسمائهن ولا صفاتهن... وكأن من الطبيعي أن يعرفن نبأها معه ويكون حديثهن الشاغل لهن في مجالسهن الخاصة وكان خلاصته الوجيزة المؤدية لمرادهن منه ما حكاه التنزيل عنهن وهو قولهن: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾...)).(4)

---

(1)سورة يوسف/الآيتين:30،31.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1983.

(3)سورة يوسف/الآية:30.

(4)سورة يوسف/الآية:30.

ومن دقائق التصويرفي قولهن﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾.أن امرأة العزيز((...بعد أن افتضح أمرها وعرف به سيدها وزوجها،وعاملها بالحلم،وأمرها باستغفار ربها،لاتزال مصّرة على ذنبها،مستمرة على مراودتها،وهو ما أفاده قولهن(تراود)وهو فعل المضارع الدال على الاستمرار)).(1)

ومن لفتات التصوير أيضا،قولهن﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي قد ((خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى فؤادها.والشغاف حجاب القلب...)).(2)فحب يوسف قد وصل إلى((شغاف قلبها أي غلافه المحيط به، وغاص في سويدائه ، فملك عليها أمرها)).(3) والتصق حبه بقلبها التصاق الحجاب به.

فإذا كان هذا هو حال النسوة، بعد سماعهن الخبر.فكيف صور القرآن موقف امرأة العزيز من قولهن:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا..﴾.(4)

لقد انتشر الخبر في المدينة انتشار الضياء؛ وسمعت المعنية بالأمر ذلك،وعلمت بالمصدر الذي يلوك الفضيحة، ويوجّه لها اللّوم.إنهن نسوة في المدينة...

ولردكيدهنّ، أي غيبتهنّ لها ((وسميت الغيبة مكرا لاشتراكهما في الإخفاء)).(5) كشف السياق لنا((عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة،التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهنّ وكيد من كيدهنّ...لقد أقامت لهن مأدبة في قصرها...)).(6)

---

(1)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**،ج:12،ص:290،291.

(2)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:252.

(3)محمدرشيد رضا،المرجع السابق،ج:12،ص:291.

(4)سورة يوسف/الآية:31.

(5)محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**ج:3،ص:21

(6)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1984.

و[illegible]دعتهن إلى الطعام في دارها،ومكرت بهن كما مكرن بها...)).(1)

ويشير لنا السياق بد قّة حيثيات هذا المجلس الذي أعدّته لهن.فقد((هيأت لهن ما يتكئن عليه إذا جلسن، من [illegible]رسي والأرائك، وهو المعتاد في دور الكبراء...وكان ذلك في حجرة مائدة الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن به مايأكلن به من لحم أو فاكهة...)).(2)((ويبدو أنهن كنّ يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحاشايا على عادة الشرق في ذلك الزمان **وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا**)).(3)

و[illegible]لتات التي نكتشفها في هذا المشهد،أنّ التصوير سلّط الأضواء على السكاكين التي أعطيت للنسوة، و[illegible]سلطها على الطعام الذي قدّم لهن،على غير العادة.

فلم يعرفنا السياق بنوعيّة الطعام الذي قدم لهن، أهو فاكهة، أم لحم، أم غير ذلك؟...ولم يذكره حتى إذا كان من المعتاد أن يذكر الطعام،دون السكاكين، لأن هذه الأخيرة وسيلة لتسهيل أكل الطعام ليس [illegible]...

و[illegible] في ذلك،أنّ تسليط الضوء على الطعام لايخدم الغرض الذي أرادت امرأة العزيز أن تصل إليه بقدر ما يخدمه تسليط الضوء على السكاكين. فـ ((المراد من إعطائها لكل واحدة سكينا ما سيقع منهن من تقطيع بعضهن)).(4) ((قيل إنها قدمت إليهن فاكهة وأعطتهن سكّينا ليقطّعن الفاكهة...فلمّا رأينه دهشن وقطعن أيديهن)).(5)

وهو ما حدث بالفعل؛ حيث أمرت فتاها **﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا**..)).(6)

---

(1)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**،ج:12،ص:292.

(2)محمد رشيد رضا،المرجع السابق،ج:12،ص:292.

(3)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1984.

(4)محمد علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:21.

(5)الطوسي،**التبيان في تفسير القرآن**،ج:6،ص:110.

(6)سورة يوسف/الآية:31.

ولنتأمل هذا المشهد المفعم بالحركة والحياة... النسوة في مجلس امرأة العزيز ...في حالة استرخاء ،وتجاذب لأطراف الحديث ، والطعام موضوع أمامهن ،والسكاكين في أيديهن يقشرن بها الفواكه ويقطعن بها اللحم .وبينما هن غارقات في سمرهن إذا بامرأة العزيز تتحين الفرصة وتأمر يوسف بالخروج إلى مجلسهن...ونتصور حركة يوسف بالخروج على النسوة،وهن في تلك الحال من الانبساط. ((فعلم من هذا أنها تعمدت أن يفاجئهن وهن مشغولات بما يقطّعنه ويأكلنه عالمة بما يكون لهذه المفاجأة من تأثير الدهشة)).(1) وهنا تكون المفاجأة الكبرى...إن النسوة المنشغلات بسمرهن، تتحول أبصارهن في لحظة واحدة نحو يوسف، فإذا بهن، بهن لطلعته، ودهشن، ولايتوقف ذلك الاندهاش عند أفكارهن بل ينعكس على جوارحهن،الواحدة تلو الأخرى،فبدل تقطيع الطعام، قطّعن أيديّهن! وهذا من شدة تأثير المفاجأة ؛حيث ((جرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجأة)).(2) ويكون تبريرهن لذلك الموقف الآ إرادي، في صيحة جماعية﴿**قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾.(3)((تستعمل حاشا لتبرئة الاسم الذي بعدها عند ذكر سوء في غيره أو فيه...)).(4)((...ماهذا بشرا حال تعظيم له وتعجب مما يشاهدمنه من حسن خلق،أو خلق.وكان الغرض أنه ملك بطريق الكناية..)).(5)

فالتصوير في هذا المشهد كان قويا ،مفعما بالحركة والحياة؛حتى إنه يجعل المتلقي،وكأنه جزء من مجلس النسوة، يتابع حركات أشخاصه عن قرب،ويلاحظ السكاكين تقطّع أيدي النسوة والدم يسيل منها، وهن في غفلة عن ذلك، لشدة ما أصابهن من الإعجاب بطلعة يوسف.وصورلنا السياق جمال يوسف الباهر،الذي فعل فعلته في النسوة فأكبرنه.

---

(1)محمد رشيد رضا،**تفسير المنار**،ج:12،ص:253.

(2)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:1984،وذكره ابن كثيرفي**لبدايةوالنهاية**،ج:1. ص:205، والجلالين في:**تفسيرالجلالين** ،ص:239

(3)سورة يوسف/الآية:31.

(4)أبوحيان التوحيدي،**البصائروالذخائر**(ط:1؛بيروت:دارصادر،1988م)ج:5،ص:202.

(5)الخطيب القزويني،**الإيضاح في علوم البلاغة**(ط3؛بيروت:دارالجيل1993م)ج3،ص114.

أي((أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق،قبل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء)).(1)

وبذلك تكون ريشة التصوير الفني،قد فعلت فعلها،في هذاالمشهد،فأخرجته من دائرة الرواية الجامدة،إلى دائرة التجسيد الحيّ،بقوّة عرضه،وبتخييل أحاسيسه ومشاعره أيضا.

المبحث الثالث: مشهد أخذ يوسف لشقيقه

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ*قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ...﴾.(2)

هذا المشهد من مشاهد القصة،غنيّ بتصوير حركات الأشخاص على مسرح الأحداث ويحيل حركات الأبطال وأعمالهم، إلى صورة حيّة وكأنها تحدث الآن.

إنهم إخوة يوسف يدخلون أرض مصر للمرة الثانية (بعد مجيئهم بأخيهم).وفي هذه المرة ينفذون وصية أبيهم﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ.﴾.(3)

وما أروع تصوير السياق لحركة دخولهم على مصر ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ..﴾ ((أي من الأبواب المتفرقة و لم يجتمعوا داخلين من باب واحد)).(4).

إنها صورة حية، فإخوة يوسف، أحد عشر رجلا، جاءوا إلى مصر بقافلتهم ليكالوا... فلنتصور توزعهم على أبواب المدينة، ودخولهم إليها من أبواب متفرقة، ثم اجتماعهم فيما بعد داخل المدينة قبل الدخول على عزيزها(يوسف)،وما في ذلك المشهد من تلاحم وانسجام،وإثارة وتشويق.

---

(1)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:253.

(2)سورة يوسف/الآيات:69إلى76.

(3)سورة يوسف/الآية:67.

(4)محمدبن علي بن محمدالشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:41.

ثم ينتقل السياق إلى تصوير حركة دخولهم على يوسف،وفي هذه المرة بصورة جماعية ﴿**ولما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون**﴾.(1) والدخول في هذه المرة إلى((منزله ومحلّ حكمه،وهذا الدخول غير الدخول السابق،فإن المراد به دخول المدينة)).(2)ويتركنا السياق نتصور حركة الدخول وما يتبعها،((بعجّل بضم يوسف لأخيه في المأوى وإطلاعه أنه أخوه...يعجل السياق بهذا،بينما الطبيعي والمفهوم أن هذا لم يحدث فور دخولهم على يوسف.ولكن بعد أن يختلي يوسف بأخيه)).(3) ويركز التصوير على حركة إيواء يوسف، لأخيه ﴿آوى إليه أخاه﴾((قال الحسن: ضمه إليه وأنزله معه)).(4)وأخبره بأنه هو يوسف.وقال له:﴿**لا تبتئس**﴾أي((لا تحزن ولا تيأس)).(5)

ويذكر ابن الأثير في كتابه(الكامل في التاريخ)أن: ((بنيامين (شقيق يوسف) لما علم أن يوسف أخوه قال: لا أفارقك. قال يوسف:أخاف غمّ أبوينا ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بأمر فضيع، قال: افعل. قال: فإني أجعل الصواع في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لآخذك منهم. قال: افعل.)).(6)

ونحن بذلك كلّه، نتصوّر كيف استطاع يوسف، أن يختلي بأخيه، بصورة أو بأخرى(وقد نقل المفسرون كثيرا من الروايات، عن التوراة.ولكن لانرى حاجة في ذكرها).فالمهم هو أن السياق تركنا، نتصور يوسف يختلي بأخيه، ويعلمه بكل شيء ، ويهيّئه نفسيا للحيلة التي يستعملها لأخذه من اخوته، فقد صور لنا السياق، حركة ((إيوائه إليه وإخباره له سرا عنهم بأنه أخوه وأمره بكتم ذلك عنهم، وسلاه عمّا كان منهم من الإساءة إليه)).(7)

---

(1)سورة يوسف/الآية:96.

(2)الشيخ أحمد الصاوي،**حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**،ج:2،ص:235،وذكره الزركشي في:

التبيان في إعراب القرآن(ط:2؛بيروت:دار الجيل،1987)ج:2،ص:738

(3)سيد قطب.**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2018..

(4)الطوسي،**التبيان في تفسير القرآن**،ج:6،ص:168.

(5)جلال الدين السيوطي،**الدر المنثور**(بيروت:دار المعرفة)ج:4،ص:26

(6)ابن الأثير،**الكامل في التاريخ**(ط6؛بيروت:دار صادر،1995)ج:1،ص:150.

(7)ابن كثير،**البداية والنهاية**،ج1،ص:213.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثم ينتقل التصوير إلى الفصل الموالي،من المشهد:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ...﴾.(1) لقد جاء إخوة يوسف، هذه المرة بأخيهم، ليزدادوا كيلا،وتلك الغاية من رحلتهم كلها... ولذلك انتقل التصوير إلى هذا الفصل،ليبيّن لنا يوسف ـ عليه السلام ـ(ومن معه من خدمه) يعدّ لهم زادهم، ويوفي لهم الكيل ((أخبر الله تعالى أن يوسف لما جهز إخوته بجهازهم يعني الطعام الذي اشتروه ليحملوه إلى بلدهم)).(2) ويتركنا السياق نتخيّل تفصيلات هذا التجهيز. ومن ملء للأوعية، وحمل على الجمال والحمير،وربط للمتاع،وما تحمله كلمة ﴿جهز﴾من معان. ويدقق التصويرفي هذه الجزيئات؛حيث إنه في غمرة التجهيز﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾.(3)((والسقايةوالصواع واحد جعلت في وعاء طعام بنيامين)).(4) والسقاية هي ((مشربةسقي بها،وهي الصواع،قيل كان يشرب بها الملك،ثم جعلت صاعا يكال به..)).(5)

ويتركنا السياق،نستمتع بهذه الحركة، حركة دسّ السقاية في وعاء شقيق يوسف، والإخوة غافلون عما يدبّر،ويحاك لهم...بينما يوسف، وشقيقه، وفتيانه، على علم بها.

ويظن الإخوة، أنهم حفظوا أخاهم، وازدادوا كيل بعير،ويتركنا السياق نتصور حالهم تلك وهم ينطلقون سالمين غانمين ، في رحلتهم الطويلة تجاه أرض الشام؛حيث إنهم ((ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا،وقيل خرجوامن العمارة)).(6) وبينما هم في غمرة الفرحة، والغبطة إذا بمناد ينادي من ورائهم﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.(7)

((أي نادى مناد قائلا:﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾...والعير الإبل المرحولة المركوبة،﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾إن حالكم حال السارقين كون الصواع صار لديكم...)).(8)

---

(1) سورة يوسف/الآية:70.

(2)محمدبن الحسن الطوسي،**التبيان في تفسيرالقرآن**،ج:6،ص:169.

(3)سورة يوسف/الآية:70.

(4)،(6)أبو محمدالبغوي الشافعي،**تفسيرالبغوي**،ج:2،ص:439.

(5)محمودالزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:267.وذكر في **حاشيةالصاوي**،ج:2،ص:235.

(7)سورة يوسف/الآية:70.

(8)محمدبن علي بن محمد الشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:42.

فقد أرسل إليهم المنادي((بعد انفصالهم عن مجلس يوسف)).(1)

فما أروع هذا المشهد...لقد أمهلهم يوسف حتى انطلقوا في سيرهم،وخرجوا من العمارة ((ليكون ذلك أبعد للتهمة ، وأبلغ في الحيلة)).(2) ((ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم)).(3) ونتصوّر حالة ذلك المنادي وهو يتجه نحوهم مسرعا، ينادي بأعلى صوته﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ..﴾ فما أروعه من مشهد حي،يعرض بقوة،كأنه الآن...

فما يكون حال إخوة يوسف، بعد أن نغّص عليهم هذا المنادي نشوتهم؟ ((ويرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذي يتهمهم بالسرقة ـ وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب)).(4)

والمشهد إلى غاية هذه اللحظة ((مثير حافل بالحركات والانفعالات والمفاجآت كأشد ما تكون المشاهد حيوية وحركة وانفعالا ، غير أن هذا صورة من الواقع يعرضها التعبير القرآني هذا العرض الحي الأخاذ)).(5)

ثم ينتقل السياق إلى عرض الحوار الذي دار بين يوسف، وفتيانه من جهة، وإخوته من جهة أخرى. فالطرف الأول في موقف ادعاء، والطرف الثاني في موقف اتهام ينفي التهمة عنه. وينتهي الأمر باتفاق بينهما وهو:أن تفتش القافلة،ومن وجدت السقاية في رحله يكون جزاء لها.أي ((جزاء السرقة للصواع.أخذ من وجد في رحله)).(6)

ثم ينتقل السياق ليصور لنا فصلا آخر من هذا المشهد، المليء بالحركة والحياة....لقد اتفق الجميع على ضرورة تفتيش القافلة﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.(7)

---

(1)جلال الدين المحلي،جلال الدين السيوطي،**تفسير الجلالين**،ص:244.

(2)ابن كثير،**البداية والنهاية**،ج:1،ص:213.

(3)أبو محمد البغوي الشافعي،**تفسير البغوي**،ج:2،ص:439.

(4)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2019.

(5)سيد قطب،المرجع السابق،ج:4،ص:2019.

(6)محمد الشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:43.

(7)سورة يوسف/الآية:76.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فلنتصور جميعا حركة التفتيش هذه...إن القافلة مجهّزة ، وانطلقت في سيرها ؛ وإذا بها توقف وتحتحز،ومن ثم، ينقض غزلها من بعد قوّة أنكاثا ،فتنزل الأكياس من على ظهور الجمال ويحلّ رباطها وعاء بعد آخر، (ويظهر من خلال السياق أن عدد الأوعية بعدد إخوة يوسف الأحد عشر)،ثم يفتّش كل وعاء بدقة...ومن حصافة يوسف((أن يبدأ برحالهم قبل رحل أخيه كي لايثير شبهة في نتيجة التفتيش)).(1) حيث((بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه بنيامين لنفي التهمة،حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله ما نتركه حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا...)).(2)

والتعبيرالقرآني صرح بتفتيش أوعية الإخوة، و((لم يصرح بتفتيش وعاء أخيه حتى يعيد ذكره مضمرا، فأظهره ليكون ذلك تنبيها، على المحذوف، فتقديره ثم فتّش وعاء أخيه...)).(3)

ومع هذا المشهد الحي(مشهد التفتيش) تتصوّر أحاسيس ومشاعر الأبطال...

إن يوسف وفتيانه يدركون بأن هذه العملية كلّها مسرحية، تمثيلية، على إخوة يوسف يراد بها توريط شقيق يوسف، أمامهم؛لتبريربقائه،بينما إخوته يتابعون ذلك المشهد بسذاجة تامة، ولايعلمون ما يحاك لهم.وتنتهي عملية التفتيش هذه بـ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.(4)،وتتصوّرحركة استخراج الصواع من وعاء أخيه،بعد أن أفرغت كل الأوعية وفتّشت.إنه لمشهد حي،مليء بالحركة والإثارة...

فما يكون موقف إخوة يوسف، الذين مثلت عليهم المسرحية؟((فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكّس إخوته رؤوسهم من الحياء..)).(5) ((ويدعنا السياق نتصوّر الدهشة بالمفاجأة العنيفة لأبناء يعقوب الموقنين ببراءتهم، الحالفين، المتحدين،فلا يذكر شيئا عن هذا،بل يتركه يتملاّه الخيال على الصورةالتي تكمل رسم المشهد بانفعاله..)).(6)

---

(1)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2020.

(2)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:268.

(3)عبدالله بن الحسين العكبري،**التبيان في إعراب القرآن**،ج:2،ص :740

(4)أبي محمدالبغوي الشافعي،**تفسيرالبغوي**،ج:2،ص:440.

(5)سورة يوسف/الآية:76.

(6)سيد قطب،**المرجع السابق**،ج:4،ص:2020.

تم ينتقل السياق إلى التعقيب على هذه الحيلة التي استعملها يوسف، حتىلاتكون مثار تساؤل ليؤكّد الله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾.(1) ((يعني علّمناه إياه، وأوحينا به إليه)).(2)

وبعد هذا التعقيب،ينتقل السياق إلى تصوير حالة إخوة يوسف،(وهم على وقع الصدمة) يبررون أنفسهم،ويلحقون التهمةبيوسف وشقيقه..ثم يترجون يوسف بأن يعفو عن أخيهم أو يأخذ أحدهم مكانه.

ثم ينتقل السياق إلى تصوير فصل حي آخر - مع قصره - يظهر حركةإخوة يوسف وهم يغادرون مصر يائسين﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾.(3)

وقوة الحركة تظهر في﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾.لقد أعطت هاتان الكلمتان،صورةً حية مليئة بالحركة والحياة، تبين حالإخوة يوسف، الجسدية،والنفسية،وهم يغادرون مصر يائسين. لقد﴿خَلَصُوا﴾أي((اعتزلوا وانفردوا عن الناس،خالصين لايخالطهم سواهم)).(4).﴿نَجِيًّا﴾ (جعل النجيّ للجماعة)(5) أي في((صورة التناجي...وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم)).(6)

فقد((خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لايخالطهم غيرهم)).(7)

((وهذا من عجيب فصاحة القرآن الخارقة للعادة لأن بقولهم ﴿خَلَصُوا﴾ دل على...معنى الكلام الطويل)).(8) لقد كان مشهدا رائعا، صوّر حالتهم، وهم ينسحبون من مجلس يوسف يائسين...يفكرون في موقفهم المحرج أمام أبيهم.

---

(1)سورة يوسف/الآية:76.

(2)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:268.

(3)سورة يوسف/الآية:80.

(4)محمود الزمخشري،المرجع السابق،ج:2،ص:269.

(5)الأخفش،**معاني القرآن**(ط:1:عالم الكتب)ص:593.

(6)محمود الزمخشري،المرجع السابق،ج:2،ص:269.

(7)أبو محمد البغوي الشافعي،**تفسير البغوي**،ج:2،ص:442.

(8)محمدبن الحسن الطوسي،**التبيان في تفسير القرآن**،ج:6،ص:178.

المبحث الرابع: المشهد الختامي

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ*وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.(1)

لقد جاء هذا المشهد متوّجا لكل المشاهد السابقة في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ .وكان ملخصا لها، وقد حلّ تلك العقدة الفنية، التي طرحت في بداية القصة؛ واستمرت خيوطها تتفكك خيطا بعد آخر، إلى أن حلّت نهائيا في هذا المشهد.

وهذا المشهد تبرز فيه ظاهرة التصوير بقوّة، من خلال قوة عرض الأحداث، ومن خلال تصوير المشاعر والأحاسيس أيضا.

لقد أشعرنا السياق في المشاهد السابقة، أن الإخوة قد تعرّفوا على يوسف، وطلب منهم بأن يأتوه بأبيه ــ بعد ارتداد بصره ـ وبأهلهم أجمعين... وقد حصل ذلك؛ حيث عادوا إلى بلدهم ونفّذوا ما أوصاهم به يوسف...ويترك السياق للمتلقي تصوّر حالهم، وهم راحلون من الشام إلى مصر في صورة جماعية، لم يتركوا ورائهم أحدا.ويسلّط الأضواء على حركة دخولهم إلى مصر.﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(2) فـ((هاهنا أولاء نرى يعقوب وبنيه في مصر بعد أن كانوا منذ لحظة معنا في أرض كنعان)).(3) ويتركنا نتصوّر قبيلة بأكملها ـ برجالها ونسائها ومتاعها ــ قادمة من البدو، تدخل إلى مصر وهي في أوج الحضارة آنذاك.((قيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة...)).(4)وما يصحب ذلك من انبهار...

---

(1)سورة يوسف/الآيات:99،100،101.

(2)سورة يوسف/الآية:99.

(3)عبد الكريم الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**،ص:486

(4)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:275.

وتصوّر لنا الآيات موقف التقاء يوسف بأبويه، في حركة تمزج بين قوّة العرض، وتصوير المشاعر...

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾.نقد كانت هذه الحركة جسدية؛ حيث ((ضمهما إليه واعتنقهما)).(1) وكانت حركة ترسم المشاعر والأحاسيس...إنه لقاء الأبوين بابنهما المحبوب ((بعد كرّ الأعوام وانقضاء الأيام وبعد اليأس والقنوط، وبعد الألم والضيق، وبعد الامتحان والابتلاء وبعد الشوق المضني والحزن الكامد واللّهف الظامئ والشديد)).(2)

وبعد أن صوّر المشهد هذه الحركات الصامتة، المملوءة بالحركة والحياة والمشاعر والأحاسيس؛يفصح لنا عن قول يوسف لأهله:﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾(3) والفرق بين دخولهم الأول،وطلب يوسف لهم بالدخول ،هو أن الأول دخول حسّي، وأما الثاني فهو دخول معنوي ((قيل إنه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر،وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها، أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها)).(4)

ثم يعود السياق لتسليط الضوء على حركة أخرى تنبض بالحيوية والتحسيد.﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾(5) ونكاد نرى يوسف وهو يرفع أبويه على العرش تكريما لهما ((يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف، والرفع النقل إلى العلو)).(6)

---

(1)محمود الزمخشري،**الكشاف**،ج:2،ص:275.

(2)سيدقطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2029

(3)سورةيوسف/الآية:99.

(4)علي بن محمدالخازن(اختصار محمدعلي قطب)،**مختصرتفسيرالخازن**(ط1؛بيروت:دار المسيرة،1987)

ج:2،ص:653.

(5)سورة يوسف/الآية:100.

(6)علي بن محمدالخازن،المرجع السابق،ج:4،ص:653،وذكره ،عبدالرزاق بن همام، **تفسيرعبد الرزاق**

(ط1بيروت:دارالمعرفة،1991)ج:1،ص:285.

ونكاد نرى الجميع في حالة سجود تكريما ليوسف ـ عليه السلام ـ ((والخرور في اللّغة المقيّد بالسجود لايكون إلاّ بوضع الوجه على الأرض)).(1)

وهذا النوع من السجود هو سجود تكريم وليس سجود عبادة. فقد سجد الملائكة((سجود سلام وتحية وتشريف لآدم وإكراما له بذلك،كسجود يعقوب لابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ)).(2)

فالتصوير في هذا الجزء من المشهد الختامي كان قويا، وكأنما نحن نشهده الآن، لا قبل اليوم بأجيال وأزمان.

ثم يروي السياق كلام يوسف، لذلك الجمع الذي خرّ له ساجدا،في شكل خطاب رسمي (والخطاب كان موجها لأبيه ، لكنه عني به الجميع) ذكر فيه بأن هذا المشهد هو تأويل لرؤياه السابقة، ثم ذكّرهم بأهمّ المراحل التي مرّ بها، وكانت محطات ضرورية لتحقق الرؤيا.

وفي خضم ذلك الخطاب الموجّه ليعقوب وبنيه،يحول السياق وجهة كلام يوسف.

فينتقل مباشرة إلى الدعاء ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ...﴾.(3)

وقد أجرى الشهيد سيد قطب تحليلا أدبيا أبرز فيه روعة التصوير،على مشهد مماثل لهذا الذي بين أيدينا، ـ وهو مشهد إبراهيم إذ يابني الكعبة مع ابنه إسماعيل ـ وسنحاول إسقاط بعض فصول ذلك التحليل على هذا المشهد الختامي.

ـ هنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء،هي التي أحيت المشهد وردته حاضرا. فالخبر:﴿وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ...﴾.(4)

والدعاء:﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾.(5)

---

(1)محمد الشوكاني،**فتح القدير**،ج:3،ص:56.

(2)ابن حزم الظاهري،**الفصل في الملل والأهواء والنحل**(بيروت:دارالجيل)ج:5،ص:78.

(3)سورة يوسف/الآية:101.

(4)سورة يوسف/الآية:100.

(5)سورة يوسف/الآية:101.

وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز فني بارز. وكم كانت الصورة تنقص لو قيل: قال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل...وقال رب قد ءاتيتني من الملك ... إنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة. وهذا هو الفارق الكبير...

إن الحياة في النص لتشب متحركة حاضرة. وسرّ الحركة كلّه في حذف لفظة واحدة... وذلك هو الإعجاز.(1)

وهكذا يكون هذا المشهد الختامي من أكثر المشاهد تصويرا؛فهو((مشهد حافل بالانفعال والخفقات والفرح والدموع! وياله من مشهد ختامي موصول بمطلع القصة؛ ذلك في ضمير الغيب، وهذا في واقع الحياة، ويوسف بين هذا كلّه يذكر الله ولا ينساه)).(2)

إن مشاهد القصة حافلة بظاهرة التصوير، وقد اكتفينا بهذه المشاهد الأربع كنماذج حيّة تقاس عليها باقي المشاهد، في إظهار هذه الظاهرة الفنية؛ التي تعدّ الوسيلة المفضّلة للتعبير القرآني.

وبالانتهاء من هذا الفصل نكون قد انتهينا من البحث كله

والحمد لله رب العلمين.

(1)انظر : سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**،ص:57.

(2)سيد قطب،**في ظلال القرآن**،ج:4،ص:2029.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نختم هذا البحث المتواضع ، نود أن نلخص أهم النتائج المتوصل إليها .

أولا : لقد كان الغرض الديني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ هو الغرض الأساس بدءا بالجو الدعوي الذي نزلت فيه على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو في شدة المحنة مما يلاقيه من قومه وعشيرته .فكانت هذه القصة تسرية وتسلية له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن خلاله أصحابه ، وأتباعه إلى يوم الدين .

وقد كانت هذه القصة بمثابة المعين الذي لا ينضب ، في التوجيهات الدينية بمختلف أشكالها وأنواعها ؛حتى لو أن الباحث ظل يعد هذه التوجيهات لم ينته منها ...

وعلى العموم فقد قسمنا هذه التوجيهات إلى عدة محاور .

1 ـ لقد دعت القصة إلى الإسلام ، وإلى تثبيت المحاور الكبرى للعقيدة الإسلامية كالإيمان بالله ، والتوحيد ، والإيمان باليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وإثبات الوحي.

2 ـ كما دعت إلى مجموعة من الفضائل الأخلاقية ، كالعفة ، والأمانة ، والصبر والاعتراف بالخطأ . وهذه الفضائل ظهرت أساسا في أخلاق سيدنا يوسف وكذلك والده يعقوب ـ عليهما السلام ـ .

وحذرت أيضا من جملة رذائل سلوكية ، كالحسد والقتل ، والكذب ، ونقض العهود و المواثيق ، وعقوق الوالدين ، والسقوط في أحضان الشيطان والفاحشة ...

3 ـ وقد تضمنت هذه القصة العظيمة مجموعة من الأحكام الشرعية التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية ـ باعتبار أن شرع من كان قبلنا هو شرع لنا ، ما لم ينسخ ـ .

منها أحكام اللقطة ، والحيل الشرعية ، والحكم بالأمارات والأدلة ، إلى غير ذلك من الأحكام التي تم التفصيل فيها خلال البحث.

4 ـ ومن أهم محاور الغرض الديني في هذه القصة ، تلك الدروس العملية التي قدمها يوسف ـ عليه السلام ـ للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان ...

فقد صبر على البلاء ... وظل داعيا إلى الله في أحلك الأوقات ـــ السجن ـــ ،وقد استغل أول فرصة أتيحت له؛ من أجل المشاركة في تسيير دواليب الحكم ، لعلمه أنه يستطيع التغيير من موقع الحاكم لا من موقع المحكوم .

وقد أعطى للدعاة درسا عظيما تمثل في ذلك الموقف الإيماني الذي التجأ فيه إلى محراب العبودية لله حامدا وشاكرا ، ومتذللا ، وهو في أوج العظمة والتتويج ....

ثانيا : إن بروز الغرض الديني في القصة بالشكل الذي ذكرنا سابقا ، لم يمنع ظهور الغرض الفني الجمالي في عرض هذه القصة الكريمة .

فقد تميز ت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بالكمال الفني المطلق ؛ حيث بنيّت بناء فنيّا محكما ، وحبكت أحداثها حبكا لا مثيل له ، وتجلّى ذلك من خلال :

1 ـ طريقة عرضها المتميزة ؛ فهي قصة تبدأ برؤيا ، وتسير أحداثها بعد ذلك في نطاق تلك الرؤيا . تفكك خيوطها ، الواحد تلو الآخر ، حتى إذا تحققت الرؤيا انتهت معها القصة ...

2 ـ وقد اتسمت هذه القصة بكل العناصر الفنية المتعارف عليها ، من أحداث وشخوص ، وحوار ، وأضافت إليها عنصرا آخر لا يتوفر عليه كل القصص الفني ، وهو عنصر القوة الغيبية التي تتدخل في ثنايا القصة ، فتوجهها عن إدراك ووعي . بما ستؤول إليه الأمور ، وليس ذلك بغريب على قصة يوسف ؛لأن القاص هو الله تعالى الذي لا تخفى عنه خافية ...

3 ـ زد على ذلك دقة هذه القصة في التعامل مع عنصر الزمن ؛ الذي وزعته على أحداث القصة ومشاهدها توزيعا محكما يتفق مع الغاية العامة لها، وهي إثبات الغرض الديني بكل أبعاده ؛ ولذلك وجدناها تترك كل المقاسم الزمنية التي لا تفيد القارئ في شيء ، ولا توجهه إلى الوجهة التي أرادتها ، وهو ما أسميناه في هذا البحث بالفجوات الزمنية .

4 ـ ومن العناصر الفنية المشوقة في هذه القصة تلك المفاجآت التي تواجه أبطال القصة وتواجه المتلقين لها أيضا ؛ في أشكال وطرق متنوعة ، تزيد في روعتها ، وجمالها وجلالها ...

5 ـ و أهم ما يميز هذه القصة الكريمة أنها قصة مقتطعة من واقع الحياة ، لا من محض الخيال ، فأبطالها أشخاص حقيقيون ، ساهمت القصة في إبراز ملامحهم ، وأخلاقهم وسلوكياتهم ...

حتى أنها من خلالهم رسمت للمتلقين نماذج إنسانية تعيش في كل زمان ومكان ...

6 ـ وأبرز ظاهرة فنية في هذه القصة ـــ كما في غيرها من القصص القرآني ـــ أسلوب " التصوير الفني " في عرض أحداث ومشاهد القصة .

فالأحداث لم تعرض عرضا روائيا جافا ، لا حركة فيه ولا حياة . إنما عرضت بطريقة تصويرية دقيقة ، تبرز فيها قوة عرض الحدث وإحيائه ، حتى يشعر المتلقي وكأنه يعيشه أو يشاهده في التو ـــ كما رأينا ذلك في مشهد النسوة ، والمشهد الختامي ـــ .

وتبرز فيها أيضا دقة رسم مشاعر وأحاسيس أبطال هذه القصة . فمن خلال المشاهد يتطلع المتلقي إلى ما تختلج به أنفس هؤلاء الأبطال ، من مشاعر الحقد والبغض ،

والشفقة والرأفة ، والشهوة الجامحة ، والتطاول والكبرياء ، والشوق واللهف ،والإيمان والورع...إلى غير ذلك من المشاعر التي تتوزع على شخصيات القصة .

ثالثا : وما كان الغرض الفني في هذه القصة مستقلا عن الغرض الديني ... فقد خضع له خضوعا تاما، دون أن ينقص منه ذلك شيء ، بل زاد القصة جمالا وكمالا.

ومن آثار خضوع القصة للغرض الديني ، البدء في العرض والانتهاء منه . فقد عرضت في فترة محددة من حياة سيدنا يوسف ، وهذه الفترة هي التي تؤدي الغرض الديني منها .

كما أنها تضمنت في ثناياها إرشادات وتوجيهات دينية ركز عليها السرد القصصي تركيزا مقصودا ...

وعموما فقد تناسق الغرض الديني ،مع الغرض الفني في هذه القصة تناسقا لا مثيل له؛حيث أدت القصة غرضها الديني الأساس على أكمل وجه ؛ و لم يؤثر ذلك في أدائها للغرض الفني الذي جاء مكتملا، لا تطا له أي قصة على وجه الأرض .

وتعالى الله الذي أحكم كل شيء .....

والحمد لله أولا وآخرا

وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

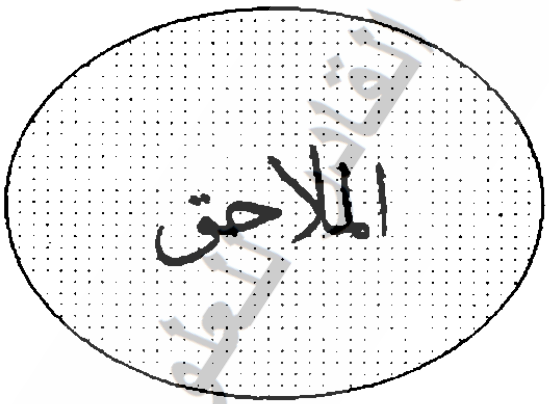

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجـــــع

01- **القرآن الكريم**.رواية حفص.المدينة المنورة:بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

02- أحمد ماهر محمود البقري.**يوسف في القرآن**.الإسكندرية:مؤسسة الثقافة الجامعية.

03- أحمد بن تيمية.**إقتضاء الصراط المستقيم**.ط1.بيروت:دارالجيل،1993م.

04- أبو حيان التوحيدي.**البصائر والذخائر**.ط1.بيروت:دار صادر،1988م.

05- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.**المحلى**.بيروت:دار الجيل.

06- أبو الحسن مسلم بن الحجاج.**صحيح مسلم**.القاهرة.بيروت:دارالكتاب المصري. دارالكتاب اللبناني.

07- أبو عثمان الجاحظ.**البيان والتبيين**.تحقيق وشرح عبد السلام هارون.ط4.القاهرةمكتبة الخانجي.1975م.

08- أبو بكرمحمدبن الطيب الباقلاني.**إعجاز القرآن**.تحقيق السيد أحمد صقر.ط3. القاهرة: دار المعارف.

09- أبو القاسم محود الزمخشري.**الكشاف**.بيروت:دارالمعرفة.

10- أبو الفداء إسماعيل بن كثير.**قصص الأنبياء**.القاهرة:مطبعة الأنوار المحمدية.

11- أبو الفداء إسماعيل بن كثير.**تفسير القرآن العظيم**.الجزائر:دار الثقافة للنشر والتوزيع.

12- أبو محمد البغوي الشافعي.**تفسير البغوي**.بيروت:دارالمعرفة،1995م.

13- أبو بكر جابر الجزائري.**عقيدة المؤمن**.القاهرة:دار الكتب السلفية،1985م.

14- أبو حامد الغزالي.**إحياء علوم الدين**.بيروت:المكتبة العصرية،1992م.

15- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.**صحيح البخاري**. بيروت:المكتبة الثقافية.

16- أبو بكر أحمد الجصاص.**أحكام القرآن**.بيروت:دارالفكر.1993.

17- أبو الحسن الماوردي.**أدب الدنيا والدين**.بيروت:المكتبة الثقافية.

18- إبن سعد.**الطبقات الكبرى**.بيروت:دار صادر.

19- إبن منظور،**لسان العرب المحيط**.بيروت:دار الجيل،ودار لسان العرب،1988م.

20- إبراهيم السامرائي.**من بديع لغة التنزيل**.ط.2.بيروت:مؤسسة الرسالة،1986م.

21- إبن حزم الظاهري.**الفصل في الملل والأهواء والنحل**.بيروت:دارالجيل.

22- إبن الأثير .**الكامل في التاريخ**.ط6.بيروت:دار صادر،1995م

23- أنو رالجندي ،**خصائص الأدب العربي** .ط2.بيروت:دار الكتاب اللبناني ،1985م

24- بكري شيخ أمين.**التعبير الفني في القرآن**.ط4.بيروت:دار الشروق،1980م.

25ـــ جـــلال الديـــن الســـيوطي.**أســـباب النزول**.بيروت:دار بن زيد للطباعة والنشر.

26ـ جلال الدين السيوطي.**الإكليل في إستنباط التنزيل**.القاهرة:دارالكتاب العربي.

27ـ جلال الدين السيوطي.**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**.بيروت:دارالمعرفة.

28ـ جلال الدين المحلي،جلال الدين السيوطي.**تفسير الجلالين**.ط2.بيروت: **دار الجيل** 1995م.

29ـ حسن محمد مخلوف.**صفوة البيان لمعان القرآن**.ط3.الكويت:وزارة الأوقاف، 1987م.

30ـ الحافظ ابن كثير.**البداية والنهاية**.ط2.بيروت:مكتبة المعارف،1990م.

31ـ خالد أحمدأبو جندي.**الجانب الفني في القصة القرآنية**.باتنة/الجزائر:**دار الشهاب**.

32ـ الخطيب القزويني.**الإيضاح في علوم البلاغة**.ط3.بيروت:دار الجيل،1993م.

33ـ زكي مبارك.**الأخلاق عند الغزالي**.ط1.بيروت:دارالجيل،1988م.

34ـ سيد قطب.**مشاهد القيامة في القرآن**.بيروت:دار الشروق.

35ـ سيد قطب.**التصوير الفني في القرآن**.ط8.بيروت:دار الشروق،1973م.

36ـ سيد قطب.**في ظلال القرآن**.ط10.بيروت:دار الشروق،1982م.

37ـ السيد عبد الحافظ عبد ربه.**بحوث في القصص القرآني**.ط1.بيروت:**دارالكتاب اللبناني**.1972 م.

38ـ سمير المرزوقي،جميل شاكر.**مدخل إلى نظرية القصة**.ط1.الجزائر:**ديوان المطبوعات الجامعية**.

39ـ سعيدحوى.**المستخلص في تزكيةالأنفس**.الجزائر:دارالسلام(بتفويض:دارالفكر) 1992 م.

40ـ سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي(الأخفش).**معاني القرآن**.ط1.بيروت:**عالم الكتب**.

41ـ السيد نعمة الله الجزائري.**النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين**. ط3.بيروت: دارالأندلس،1985م.

42ـ سميح عاطف الزين.**قصص الأنبياءفي القرآن الكريم**.ط4.الشركة العالمية للكتاب ،1988م.

43ـ سليمان ابن الأشعث السجستاني.**سنن أبي داود**. بيروت:دار الجيل،1992م.

44ـ الشيخ أحمد بن محمد الصاوي.**حاشية الصاوي على تفسيرالجلالين**.بيروت:دار الجبل.

45ـ صلاح عبد الفتاح الخالدي.**نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**.باتنة:**دارالشهاب**.

46ـ طول محمد.**البنية السردية في القصص القرآني**.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية1991م.

47ـ عبد الكريم الخطيب.**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**.بيروت:**دار الكتاب**

48ـ عفيف عبد الفتاح طبارة.**روح الدين الإسلامي**.ط26.بيروت:**دار العلم للملايين**1985 م.

49ـ عفيف عبدالفتاح طبارة.**مع الأنبياء في القرآن الكريم**.ط14.بيروت:دار العلم للملايين.1985م.

50ـ عبد الحميد محمد الهاشمي.**لمحات نفسية في القرآن الكريم**.الجزائر:مكتبة رحاب.

51ـ عبد الوهاب النحار.**قصص الأنبياء**.بيروت:دار الفكر.

52- علي بن أبي طالب(رضي الله عنه). **نهج البلاغة**. جمعه ونسق أبوابه العلامة الشريف الرضى. شرحه وضبط نصوصه الإمام محمد عبده. بيروت: مؤسسة المعارف.

53- عز الدين بليق. **منهاج الصالحين**. ط5. بيروت: دار الفتح، 1987م.

54- عبد الرزاق بن همام الصنعاني. **تفسير القرآن العزيز**. ط1. بيروت: **دار المعرفة**، 1991م.

55- علي بن محمد الخازن(إختصار محمد علي قطب). **مختصر تفسير الخازن**. ط1. بيروت: دار المسيرة، 1987م.

56- عبد الله بن الحسين العكبري. **التبيان في إعراب القرآن**. ط2. بيروت: دار الجيل، 1987م.

57- علي بن محمد الواحدي النيسابودي. **أسباب النزول**. الجزائر: مطبوعات ميموني.

58- فضل حسن عباس. **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**. الجزائر: شركة الشهاب، 1989م.

59- محمد كامل حسن المحامي. **القرآن والقصة الحديثة**. ط1. بيروت: دار البحوث العلمية 1970م.

60- محمد سعيد رمضان البوطي. **منهج تربوي فريد في القرآن**. باتنة/الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر، 1985م.

61- محمد حسن فضل الله. **الحوار في القرآن**. قسنطينة/الجزائر: دار المنصوري للنشر.

62- محمد عثمان الخشب. **فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية**. الجزائر: دار رحاب.

63- محمد علي أبو حمدة. **في التذوق الجمالي لقصة يوسف**. عين مليلة/ الجزائر: دار الهدى، 1992م.

64- محمد الغزالي. **نظرات في القرآن**. باتنة/الجزائر: دار الشهاب، 1986م.

65- محمد الغزالي. **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**. ط1. بيروت: دار الشروق، 1993 م.

66- محمد الغزالي. **خلق المسلم**. باتنة/الجزائر: دار الشهاب.

67- محمد أحمد خلف الله. **الفن القصصي في القرآن الكريم**. ط3. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965م.

68- مصطفى صادق الرافعي. **إعجاز القرآن**. بيروت: دار الكتاب العربي.

69- محمد بن علي بن محمد الشوكاني. **فتح القدير**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

70- محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا. **مختصر تفسير الطبري**. ط2. الجزائر: مكتبة رحاب، 1987م.

71- محمد علي الصابوني. **مختصر تفسير بن كثير**. ط7. بيروت: دار القرآن الكريم، 1981م.

72- محمد علي الصابوني. **صفوة التفاسير**. ط4. بيروت: دار القرآن الكريم، 1981م.

73- محمد الصاحبي، عوض الله. **حياة وأخلاق الأنبياء**. ط2. بيروت: دار إقرأ.

74- محمد رشيد رضا. **تفسير المنار**. بيروت: دار المعرفة، 1993م.

75- محمد بن عبد الله ابن العربي. **أحكام القرآن** . بيروت:دار الجيل.

76- محمد أبو زهرة . **المعجزة الكبرى<القرآن>**.بيروت:دار الفكر.

77- محمد بن جرير الطبري.**جامع البيان في تأويل القرآن**.القاهرة:دار المعارف.

78- محمد بن عيسى بن سورة.**الجامع الصحيح(سنن الترميذي)**. بيروت:دار العمران.

79- محمد بن عبد الله الزركشي.**البرهان في علوم القرآن**.بيروت:دار الجيل،1988م.

80- منصور علي ناصف. **التاج الجامع للأصول** .بيروت:دار الجيل.

81- محي الدين النووي. **رياض الصالحين**. بيروت:المكتبة العصرية،1995م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــرس الـــتـــفـــصـــيـــلي

الفهـرس العـــام:.....أ

مقدمـــة البحـث:.....ج

التمهيد:.....1

المبحث الأول: مفهوم الفن والدين في القصة القرآنية.....2

المبحث الثاني: شبهات حول القصة القرآنية.....5

المطلب الأول: التكرار في القصص القرآني.....6

المطلب الثاني: نفي الحقيقة التاريخية عن القصة القرآنية.....8

المطلب الثالث: الخيال في القصة التمثيلية القرآنية.....12

المطلب الرابع: الأسطورة في القصة القرآنية.....14

المبحث الثالث: المقدمات الضرورية التي لابد منها لدارس القصة القرآنية.....17

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.....17

المطلب الثاني: مكانة القصة القرآنية.....19

المطلب الثالث: أهداف القصة القرآنية.....20

المطلب الرابع: عناصر القصة القرآنية.....22

الفصل الأول: قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بين الغرض الديني والغرض الفني.....26

المبحث الأول: الغرض الديني في القصة.....27

المطلب الأول: تخفيف المحنة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.....28

المطلب الثاني: تثبيت المحاور الكبرى للعقيدة الإسلامية.....30

الفرع الأول: إثبات الوحي والرسالة.....30

الفرع الثاني: بيان أن الدين كله من عند الله،وأن وسائل الأنبياء موحدة.....31

الفرع الثالث: بيان أن الدين كله موحد الأساس والمنطلق.....33

الفرع الرابع: بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية.....34

الفرع الخامس: بيان قدرة الله على الخوارق.....36

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع السادس:تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان.....37

الفرع السابع:الدعوة إلى بعض أركان العقيدة الإسلامية.....41

1ـ الدعوة إلى الإسلام.....41

2ـ الدعوة إلى التوحيد.....41

أ ـ الدعوة إلى الإيمان بالله.....42

ب ـ الدعوة إلى عبادة الله وحده.....42

جـ ـ الدعوة إلى الإحتكام إلى الله وحده.....43

د ـ التحذير من الشرك والكفر.....43

3ـ الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.....45

4ـ الدعوة إلى الإيمان بالقدر خيره وشره.....47

المطلب الثالث:الدعوة إلى الفضائل والتحذير من الرذائل.....48

توطئة:.....48

الفرع الأول:فضائل العلم.....49

1ـ الدعوة إلى العلم.....49

2ـ الدعوة إلى عدم إدعاء العلم بغير علم.....50

3ـ الدعوة إلى إحترام أهل الإختصاص(في العلم).....50

4ـ دعوةالحكام إلى إحترام أهل العلم 50

5ـ دعوة العالم إلى تزكية نفسه للحكم.....50

الفرع الثاني:فضائل الأدب مع الله.....50

1ـ الإستغاثة بالله عند الشدائد والمحن.....50

2ـ دعاء الله عند الحاجة.....50

3ـ الإستغفار من الذنب.....51

4ـ التوكل على الله.....51

5ـ الأمل في الله.....51

6ـ الشكوى إلى الله.....52

7ـ شكر الله على النعم.....52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8- التقوى.....52
الفرع الثالث: فضائل الأدب مع الوالدين.....52
1- عقوق الوالدين.....52
2- برّ الوالدين.....53
الفرع الرابع: فضائل المعاملة مع الناس.....53
1- الصبر.....53
2- الإحسان.....54
3- العفة.....55
4- الوفاء.....57
5- الوفاء بالعهود والمواثيق.....57
6- كظم الغيظ.....59
7- التصدق على الفقراء.....59
8- اتهام النفس.....60
9- الإعتراف بالخطإ.....60
10- المسامحة والمغافرة.....61
الفرع الخامس: التحذير من الرذائل.....62
1- التحذير من الحسد.....63
2- التحذير من الغيرة.....63
3- التحذير من جريمة القتل.....64
4- التحذير من الكذب والخداع.....65
5- التحذير من الفاحشة.....66
6- التحذير من الإفساد في الأرض.....67
7- التحذير من الظلم.....67

المطلب الرابع: إستنباط بعض الأحكام الشرعية.....68
الفرع الأول: جواز تفسير الرؤيا.....68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثاني:تفسير الرؤيا ظني لاقطعي.....68
الفرع الثالث:جواز ترك إظهار النعمة.....68
الفرع الرابع:بيان أحكام اللقيط.....69
الفرع الخامس:بعض أحكام الكذب.....69
الفرع السادس:البكاء ليس دليلا على الصدق.....70
الفرع السابع:ضرورة النظر إلى الأمارات والأدلة.....70
الفرع الثامن:جواز السعي لتبرئة النفس.....71
الفرع التاسع:جواز إستعمال الحيلة للوصول إلى الحق أو المباح.....72
الفرع العاشر:جواز الجعالة.....72
الفرع الحادي عشر:جواز الضمان والكفالة.....73
الفرع الثاني عشر:جواز شهادة الرفقة.....73
الفرع الثالث عشر:جواز البكاء على الميت.....73
المطلب الخامس:دروس عملية للدعاة إلى الله.....74
الفرع الأول:درس في طريقة الدعوة الفردية.....74
الفرع الثاني:على الداعية أن يسعى لإزالة التهمة عنه.....77
الفرع الثالث:قصة يوسف ومبدأ المشاركة السياسية.....78
الفرع الرابع:موقف الداعية المنتصر من خصومه.....81
الفرع الخامس:الداعية المنتصر في محراب العبودية.....82
المبحث الثاني:الغرض الفني في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....83
المطلب الأول:الكمال الفني لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....84
المطلب الثاني:الغرض الفني في إفراد قصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....87
المطلب الثالث:الحبكة الفنية للقصة.....89
المبحث الثالث:آثار خضوع قصة يوسف ـ عليه السلام ـ للغرض الديني.....93
المطلب الأول:عرض القصة بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض الديني.....93
الفرع الأول:الابتداء في عرض القصة.....93
الفرع الثاني:الانتهاء من عرض القصة.....94

الفرع الثالث:الإطناب والتفصيل.....94
المطلب الثاني:مزج التوجيهات الدينية بسياق القصة.....95
المطلب الثالث:التناسق بين الغرض الديني والغرض الفني في القصة.....98
الفرع الأول:التناسق في عرض قصة يوسف مع قصص الأنبياء الآخرين.....98
الفرع الثاني:تناسق آخر مشهد مع أبرز غرض ديني.....99
الفرع الثالث:التناسق بين المطلع والختام.....100
الفصل الثاني:اللمسات الفنية لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ.....102
توطئة:.....103
المبحث الأول:طريقة عرض القصة.....104
المبحث الثاني:العناصر الفنية في القصة.....106
المطلب الأول:الأحداث.....106
الفرع الأول:طبيعة الأحداث.....106
الفرع الثاني:تسلسل الأحداث.....108
الفرع الثالث:أسلوب عرض الأحداث.....109
الفرع الرابع:الأحداث والزمن.....109
1ـ إرتباط الأحداث بفترات زمنية محددة.....110
2ـ توزيع الزمن على مشاهد القصة.....112
الفرع الخامس:الأحداث والمكان والبيئة.....114
1ـ مكان الأحداث.....114
2ـ بيئة الأحداث.....115
المطلب الثاني:الشخوص(الأشخاص).....116
المطلب الثالث:الحوار.....117
الفرع الأول:موضوعات الحوار.....118
الفرع الثاني:طريقة عرض الحوار.....120
الفرع الثالث:الأسلوب الأدبي في الحوار.....122
المطلب الرابع:القوى الغيبية.....126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الأول:النظم القرآني.....126
الفرع الثاني:الخوارق والمعجزات.....128
الفرع الثالث:التعقيبات على الأحداث.....129
الفرع الرابع:المناجاة.....133
الفرع الخامس:القدر وحسابه في قصة يوسف.....134
المبحث الثالث:الفجوات الزمنية.....138
المطلب الأول:الفجوة الأولى.....139
المطلب الثاني:الفجوة الثانية.....140
المطلب الثالث:الفجوة الثالثة.....140
المطلب الرابع:الفجوة الرابعة.....141
المطلب الخامس:الفجوة الخامسة.....142
المطلب السادس:الفجوة السادسة.....142
المطلب السابع:الفجوة السابعة.....143
المطلب الثامن:الفجوة الثامنة.....144
المطلب التاسع:الفجوة التاسعة.....145
المطلب العاشر:الفجوة العاشرة.....146
المطلب الحادي عشر:الفجوة الحادية عشرة.....146
المطلب الثاني عشر:الفجوة الثانية عشرة.....147
المطلب الثالث عشر:الفجوة الثالثة عشرة.....148
المطلب الرابع عشر:الفجوة الرابعة عشرة.....148
المطلب الخامس عشر:الفجوة الخامسة عشرة.....149
المطلب السادس عشر:الفجوة السادسة عشرة.....149
المطلب السابع عشر:الفجوة السابعة عشرة.....150
المطلب الثامن عشر:الفجوات المتبقية.....151
المبحث الرابع:المفاجأة ـ وتنوع طريقة عرضها ـ.....153
المطلب الأول:مواجهة المتلقين بالمفاجأة مباشرة.....154

الفرع الأول:مفاجأة المتلقين بالمؤامرة التي دبرها إخوة يوسف.....154
الفرع الثاني:مفاجأة المتلقين بدخول السيارة في السرد القصصي.....154
الفرع الثالث:مفاجأة المتلقين بمراودة المرأة ليوسف.....155
المطلب الثاني:مواجهة المتلقين،والأبطال بالمفاجأة مباشرة.....156
الفرع الأول:مفاجأة المتلقين،ويوسف وامرأة العزيز بسيدها.....156
الفرع الثاني:مفاجأة المتلقين والنسوة بجمال يوسف.....156
الفرع الثالث:مفاجأة المتلقين،ويوسف بصاحبي السجن.....158
المطلب الثالث:كشف سر المفاجأة للمتلقين وكتمانها عن الأبطال.....159
الفرع الأول:مفاجأة يوسف بتنفيذ المؤامرة من إخوته.....159
الفرع الثاني:مفاجأة يعقوب بخبر قتل يوسف.....160
الفرع الثالث:مفاجأة وارد السيارة بالغلام في الدلو.....161
الفرع الرابع:مفاجأة الإخوة برد بضاعتهم.....161
الفرع الخامس:مفاجأة إخوة يوسف بإستخراج السقاية من رحل أخيهم.....162
الفرع السادس:مفاجأة يعقوب بفقدان ابنه الثاني.....163
الفرع السابع:مفاجأة الإخوة بمعرفة يوسف.....164
الفرع الثامن:مفاجأة ارتداد بصر يعقوب.....165
المطلب الرابع:كتمان سر المفاجأة عن الأبطال والمتلقين.....166
الفرع الأول: مفاجأة رؤيا يوسف.....166
الفرع الثاني:مفاجأة رؤيتي صاحبي السجن.....167
الفرع الثالث:مفاجأة رؤيا الملك.....168
الفصل الثالث:ملامح الشخوص في قصة يوسف عليه السلام.....170
توطئة:.....171
المبحث الأول:الشخصية الأصلية (المحورية) وملامحها.....172
ا لمطلب الأول: ملامح شخصية يوسف عليه السلام 173
الفرع الأول:المرحلة الأولى من حياة يوسف.....174
الفرع الثاني: المرحلة الثانية من حياة يوسف.....175

ا- ملامح شخصية يوسف في هذه المرحلة.....175
أ - العفة والأمانة.....176
ب - العلم.....176
ج - ملامح أخرىلشخصية يوسف.....177
المبحث الثاني:الشخصية الثانوية وملامحها.....180
المطلب الأول:ملامح الشخصية المفردة 181
الفرع الأول:شخصية يعقوب عليه السلام.....181
1 - قوة الصبر.....181
2 - عاطفة الأبوة.....182
الفرع الثاني:شخصية امرأة العزيز.....183
1 - المرأة التي غلبتها شهوتها.....184
2 - المرأة الماكرة.....184
3 - المرأة العاقلة.....185
الفرع الثالث:شخصية العزيز.....186
الفرع الرابع: شخصية الشاهد.....187
الفرع الخامس:شخصية الملك.....188
الفرع السادس:شخصية صاحبي السجن.....189
الفرع السابع:الشخصية الحاضرة الغائبة.....191
1 - شقيق يوسف.....191
2 - أم يوسف.....191
المطلب الثالث:ملامح الشخصية الجماعية:.....192
الفرع الأول:شخصية إخوة يوسف(بنوا إسرائيل).....192
- المتميز من إخوة يوسف..... 193
1 - الحسد والإجرام.....194
2 - الكذب والخداع.....194
3 - نقض المواثيق.....195

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ـ العقوق.....195

الفرع الثاني: شخصية السيارة.....197

الفرع الثالث: شخصية النسوة.....197

الفرع الرابع: شخصية حاشية الملك،وفتيان يوسف.....198

الفصل الرابع:التصوير الفني في قصة يوسف عليه السلام.....200

توطئة.....201

المبحث الأول: مشهد السيارة.....203

المبحث الثاني:مشهد النسوة.....206

المبحث الثالث:مشهد أخذ يوسف لشقيقه.....210

المبحث الرابع: المشهد الختامي 216

الخاتمة:.....220

قائمة المصادر والمراجع.....225

الفهرس التفصيلي.....229

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية